

عدنان الطرشة

ماذا يحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وماذا يكره...؟

العبيكان
Obeikan

عدنان الطرشة

ماذا يحب النبي محمد ﷺ وماذا يكره؟

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطرشة، عدنان

ماذا يحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وماذا يكره./ عدنان الطرشة.-

ط٨.- الرياض، ١٤٣٤هـ

٤٣٨ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ١-٥١٠-٣-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الترغيب والترهيب في الإسلام أ. العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ٣٢٥٥ / ١٤٣٤

الطبعة الثامنة

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان Obeikan على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

الحمد لله الذي أرسل لنا محمدًا نبيًا ورسولاً، والحمد لله الذي جعلنا من أتباع خاتم أنبيائه ورسله، والحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس وهي آخر الأمم إلى قيام الساعة، والحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ التي هي ثلث أو نصف أهل الجنة، والحمد لله الذي جعل اتباع رسوله محمد ﷺ دليلاً على حب الله وابتغاء مرضاته، وجعل جزاء اتباعه نيل محبة الله ومغفرته للذنوب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وجعل التولِّي عن طاعة الله ورسوله دليلاً على الكفر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به**»[3]؛ ولهذا جعل الصحابة هواهم تبعًا لما جاءهم به رسول الله ﷺ، فأطاعوه فيما أمر به، واجتنبوا ما نهى عنه وزجر، وقلدوه في هيئته وحركاته وسكناته، وأحبوا ما أحب، وكرهوا ما كره؛ فكان جزاؤهم أن أحبهم الله ورضي عنهم وجعلهم من سادات أهل الجنة.

إن من صفات المحب الصادق أنه يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه؛ فالذي يحب الله تعالى ويحب أن يكون مؤمنًا يجب عليه أن يتَّبع رسول الله ونبيه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١ . (٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٣) قال النووي: رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وصفيه من خلقه محمداً ﷺ، ويجب عليه أن يسير على نهج الرسول ﷺ ويقتفي أثره وخطاه ويتأسى به في كل شيء ويجعل هواه تبعًا لما جاء به؛ ومن ذلك أن يحب ما يحبه النبي ﷺ ويكره ما يكرهه.

وفي سبيل تسهيل الطريق على المسلم لكي يحب ما يحبه النبي ﷺ ويكره ما يكرهه، وعونًا له على العمل بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1]؛ حتى يحبه الله ويرضى عنه ويغفر له ذنوبه ويجعله من أهل الجنة؛ كان هذا الكتاب: «**ماذا يحب النبي محمد ﷺ وماذا يكره**». ولا شك أن ما يحبه النبي ﷺ أو يكرهه من الناس والأمور والأشياء وغير ذلك كثير جداً ويصعب حصره؛ ولهذا فقد اتبعت منهجًا خاصًا ووضعت شرطًا لكتابة أي موضوع وهو أن يكون الحديث الشريف المبني عليه الموضوع صحيحًا ويتضمن لفظ الحب أو الرضى أو الإعجاب، أو لفظ البغض أو الكره، واستبعاد أي حديث لم يُذكَر فيه واحد من هذه الألفاظ حتى وإن كان يُفهم منه الحب أو البغض.

وقد جاءت موضوعات الكتاب منوعة تنويعًا كبيرًا وشيقًا حيث كانت هناك موضوعات في العبادات، والفقه، والتاريخ، والقصص، والناس، والطعام، واللباس، والبلاد، والأمور، والأشياء وغير ذلك.

واحتوى الكتاب على أكثر من مئة وخمسين موضوعًا مختلفًا؛ منها ما يصلح أن يكون خطبة جمعة، ومنها ما يصلح أن يكون محاضرة، أو درسًا دينيًا، أو كتابًا ونحو ذلك. ويمكن أن تُقرأ هذه الموضوعات في مجالس الرجال أو مجالس النساء، وكذلك يمكن أن تُقرأ على الأطفال، خاصة الموضوعات التي تتحدث عن حياة الصحابة. كما أن الكتاب يمكن أن يكون مرجعًا سريعًا في الموضوعات التي تضمنها. واحتوى الكتاب على حوالي ثلاث مئة آية قرآنية وقريبًا من الألف حديث شريف.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

أدعو الله الكريم المنان أن ييسر لنا اتباع رسوله الأمين محمد ﷺ، ويجعل هوانا تبعًا لما جاء به، وأن يجعل نبيه محمدًا ﷺ أحب إلينا من أنفسنا ووالدينا وأولادنا والناس أجمعين. كما أرجو من الله - تبارك وتعالى - أن ينفع بهذا الكتاب كل من يقرأه من المسلمين، وأن يجعله من العلم الذي يُنتَفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

عدنان الطرشه

www.adnantarsha.com



ما يحب النبي ﷺ من العبادات

ما يحب النبي ﷺ من العبادات

تمهيد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فقد خلق الله تعالى الناس لتوحيده وعبادته بأنواع العبادات التي فرضها عليهم في كتابه الكريم أو على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ. والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وقد كان النبي ﷺ أكبر العاملين بهذه العبادات وأكثر المحبين لها، فكان ﷺ يحب كل عبادة ذكرت الأحاديث الشريفة أن الله تعالى يحبها مثل: الفرائض، والصلاة على وقتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم، وصلاة الجماعة، وقيام الليل، وغيرها من العبادات.

إن رسول الله ﷺ يحب كل عبادة شرعها الله تعالى، سواء وردت أحاديث شريفة تنص على حب النبي ﷺ لها أم لم ترد؛ ولكن قد وردت أحاديث تنص على حب النبي ﷺ لعبادة معينة؛ ولهذا سيكون التركيز فيما يأتي من موضوعات على العبادات التي ورد ذكر الحب أو نحوه في الأحاديث الخاصة بها.

يحب النبي ﷺ الإيمان

قال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا**»[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٥٤٣١، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٧.

الإيمان:

للإيمان ستة أركان وقد سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[(١)]. قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[(٢)].

والإيمان قول وفعل، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[(٥)]، وغير ذلك من الآيات. والحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله من كمال الإيمان، قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**[(٦)].

وللإيمان حلاوة لا يجدها إلا من كان فيه ثلاث خصال؛ قال النبي ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**[(٧)].

وللإيمان شعب كثيرة، قال ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٣١.
(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩١٥.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان.

الإيمان»[١]، وحب الرسـول ﷺ من الإيمان، قـال ﷺ: **«لا يؤمن أحـدكم حـتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**[٢].

أما أركان الإيمان الستة فهي[٣]:

الإيمان بالله: هو التوحيد، أي إفراد الله بالعبادة وهو ثلاثة أنواع:

- **توحيد الألوهية:** وهو توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة، والذبح، والنذر، والدعاء، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة.
- **توحيد الربوبية:** وهو توحيد الله بأفعاله كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والبعث.
- **توحيد الأسماء والصفات:** الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة؛ من أسماء الله، وصفاته التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة، وعدم التعرض لها بشيء من التكييف، أو التمثيل، أو التشبيه، أو التأويل، أو التحريف، أو التعطيل. واعتقاد أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤]. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٥].

وملائكته: الإيمان بالملائكة وهم القائمون بأمر الله تعالى الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، الموكلون بالسماوات والأرض وبأصناف المخلوقات، كالجبال والسحاب والمطر والرحم والإنسان والموت والسؤال في القبر والأفلاك والشمس والقمر والجنة والنار، ومنهم ملائكة الرحمة والعذاب وحملة العرش وعمار السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحياء شعبة من الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.

(٣) راجع: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٢٩٩-٣١٢، والعقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة الإخلاص.

ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل. والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم.

وكتبه: الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فالإيمان بما سمَّى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، والإيمان بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى. والإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره. قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾(١).

ورسله: الإيمان بمن سمَّى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٢). والإيمان بمحمد ﷺ خاتم النبيين، وتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

واليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه؛ والقيامة الكبرى، وإعادة الأرواح إلى الأجساد، وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، والحوض المورود للنبي ﷺ، والصراط المستقيم المنصوب على متن جهنم، والحساب والثواب والعقاب، والجنة والنار.

القدر خيره وشره: الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٣). وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة غافر، الآية: ٧٨.
(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٥١.

رضي النبي ﷺ بخمس صلوات

قال رسول الله ﷺ: «... ثم فرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله. فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم. قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأُسَلِّم. قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»[1].

الصلوات الخمس:

لقد فرض الله تعالى على عباده خمسين صلاة كل يوم، أي بمعدل ثلاث صلوات في الساعة بعد إخراج بضع ساعات في اليوم لأجل النوم؛ فإن قيل: هذا يعني أن الإنسان سيظل طوال يومه وعمره في صلاة وعبادة؛ فالجواب: وهل خلق الله الإنسان إلا لأجل العبادة؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، فإن قيل: فكيف ومتى سيسعى الإنسان خلف رزقه وإطعام نفسه وعياله؟ فالجواب: قال الله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[3]. فالله عز وجل خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، ولم يخلقهم لاحتياجه إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٧-٥٨.

ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ قد رجع إلى ربه عدة مرات يسأله التخفيف لأمته، وفي كل مرة يضع الله تعالى عنه من الصلوات حتى صارت في الأخير خمس صلوات في اليوم والليلة، فرضي النبي ﷺ بذلك وسلَّم، فأمضى الله عز وجل فريضته وخفف عن عباده، فصارت خمس صلوات بالعدد والفعل وبقيت خمسين في الأجر والثواب؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها. قال رسول الله ﷺ: **«يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضته عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك»**[(١)]، وفي رواية: **«قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة»**[(٢)].

لقد خفف الله - تبارك وتعالى - عن عباده المؤمنين حتى جعل الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة بدلاً من خمسين صلاة تستغرق اليوم بأكمله، فالشقي من ترك هذه الصلوات بالرغم من تخفيفها إلى الخمس التي لا تأخذ سوى ساعة واحدة من يومه، والسعيد من أدَّى هذه الصلوات الخمس كل يوم؛ لأنه قد أطاع أمر ربه بإقامة الصلاة، فحصل على ما فيها من الخيرات والبركات، والثواب والحسنات، والفوائد النفسية والبدنية؛ قال رسول الله ﷺ: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»**[(٣)]؛ فبالصلوات الخمس يمحو الله الخطايا والذنوب، وهي كفارات لما بينها إذا اجتنبت الكبائر، قال ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»**[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عزَّ وجلَّ: **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾**.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفرض الصلوات.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ثواب المشي إلى الصلاة .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

وكلما ذهب المسلم إلى المسجد لأداء واحدة من هذه الصلوات الخمس في المسجد مع الجماعة فإن تسجيل الحسنات وحط الخطايا ورفع الدرجات يكون مع كل خطوة يخطوها في طريق الذهاب وطريق العودة. قال رسول الله ﷺ: **«من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه، إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»**[١].

ومن فضل الله تعالى على من يواظب على أداء الصلاة أنه بالرغم من أن هدف الصلاة الأول والأخير هو عبادة الله عز وجل، وهو تعالى يجزي من أقامها وأحسن أداءها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وذلك في الآخرة، فقد جعل له أيضًا فوائد نفسية وبدنية كثيرة يحصل عليها في الدنيا، وهي فوائد عاجلة لا تحصى يحصل عليها المسلم بالصلاة بطريقة تلقائية دون أن يلقي إليها بالاً؛ فأما بالنسبة للفوائد البدنية فإن المسلم حين يؤدي أركان الصلاة وهيئاتها فإنه يستخدم جسمه بحركات تشمل جميع الجسم، وفي كل حركة من هذه الحركات هناك عضلات ومفاصل وأوتار وأربطة..إلخ تشترك جميعًا في تأدية الحركة مما ينتج عنه تقويتها وتنشيطها ومن ثَم اكتساب فوائد بدنية كثيرة لا داعي لذكرها هنا؛ لأنني قد أفردت لذلك كتابًا مستقلاً هو **«الصلاة والرياضة والبدن»**. يقول ابن القيم: «الصلاة رياضة النفس والبدن جميعًا، إذ كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة من الانتصاب، والركوع، والسجود، والتورك، والانتقالات وغيرها من الأوضاع التي يتحرك معها أكثر المفاصل، وينغمز معها أكثر الأعضاء الباطنة، كالمعدة، والأمعاء، وسائر آلات النفس، والغذاء، فما يُنكر أن يكون في هذه الحركات تقوية وتحليل للمواد، ولا سيما بواسطة قوة النفس وانشراحها في الصلاة.. ولا ريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته ما هو أنفع شيء له سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة، وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ثواب المشي إلى الصلاة .

(٢) زاد المعاد ٤/٢١٠، ٢٤٧-٢٤٨.

والصلوات الخمس هي: صلاة الفجر؛ وعدد ركعاتها اثنتان، وصلاة الظهر؛ وعدد ركعاتها أربع، وصلاة العصر؛ وعدد ركعاتها أربع، وصلاة المغرب؛ وعدد ركعاتها ثلاث، وصلاة العشاء؛ وعدد ركعاتها أربع؛ فهي خمس صلوات؛ وعدد ركعاتها سبع عشرة ركعة. ثلاث صلوات منها جهرية وهي: الفجر والمغرب والعشاء؛ يجهر الإمام بقراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن في الركعتين الأوليين منها، ويسر في البقية. واثنتان سرية هي: الظهر والعصر؛ يسر الإمام بالقراءة في جميع ركعاتها.

والصلوات الخمس موزعة على مدار اليوم توزيعًا دقيقًا ومنظمة تنظيمًا فريدًا من نوعه لا يوجد له مثيل في أي ملة غير ملة الإسلام؛ ولكل صلاة من الصلوات الخمس وقت مخصوص تؤدى فيه فإن فات هذا الوقت لم تسقط تلك الصلاة عن المسلم بل يجب عليه قضاؤها.



أحب المحبوبات إلى النبي ﷺ الصلاة

قال رسول الله ﷺ: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[1].

الصلاة:

لقد جُعلت الصلاة من أحب المحبوبات إلى رسول الله ﷺ وجُعلت قرة عينه فيها.. فهي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة.. وعمود الدين.. ورأس القربات.. وغرة الطاعات.. والصلة التي بين العبد وربه.. والعلامة التي يتميز بها المؤمن من الكافر.. قال رسول الله ﷺ: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر»**[2]، وقال ﷺ: **«إن بين الرجل وبين الشرك والكفر، ترك الصلاة»**[3]. وهي أول الأعمال التي يحاسب العبد بها يوم القيامة كما قال رسول الله ﷺ: «إن

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣١٢٤.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢١١٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب حكم تارك الصلاة.

أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»[١].

فللصلاة في الإسلام منزلة عظيمة جدًا؛ ولهذا فقد عني بها عناية خاصة وأمر بإقامتها والمحافظة عليها في الحضر والسفر، في السلم والحرب، في الأمن والخوف، في الصحة والمرض، فقال الله تعالى: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾**[٢]. والصلاة عبادة تتضمن أقوالاً باللسان وأفعالاً بالبدن، ولمن أقامها وداوم عليها وأحسن أداءها وخشوعه فيها من الأجر والفضل والإكرام، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وبالصلاة يمحو الله الخطايا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»**[٣]، وعنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما لم تُغش الكبائر»**[٤]. والصلاة سبب عظيم للانتهاء عن الأفعال المحرمة والفاحشة والمنكرة.. قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾**[٥]. كذلك الصلاة علاج للتوتر والأمراض النفسية، ولا يتوقف فضلها على إزالة أو تخفيف المرض، بل يتعدى فضلها إلى منح الاطمئنان القلبي والراحة النفسية؛ قال الله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى**

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٠٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب ثواب المشي إلى الصلاة.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

الْخَاشِعِينَ﴾[١]، وقال تعالى: **﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[٢]، و**«كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلّى»**[٣]، وكان ﷺ يقول لمؤذنه بلال: **«قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»**[٤].

يقول ابن الأثير: أراد بقوله: «أرحنا بها»، قيل: كان اشتغاله بالصلاة راحة له، فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبًا، فكان يستريح بالصلاة، لما فيها من مناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»** وما أقرب الراحة من قرة العين»[٥].

ويقول الحافظ الذهبي: «وكثيرًا ما تسر الصلاة النفس وتمحق الهم، وهي تطفئ نار الغضب، وتفيد الإحباب للحق والتواضع للخلق، وترق القلب، وتحبب العفو وتكره قبح الانتقام... ففي الصلاة خير الدنيا والآخرة بما نازل القوة من تجليات باريها وخالقها، فعند ذلك تدفع ما عندها من الأمراض والأسقام البدنية، وينكشف لها أخلاق النفس الدنية فتتشمر لتكميلها وتركيبها»[٦].

ويقول ابن القيم: «أما الصلاة، فشأنها في تفريح القلب وتقويته، وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شأن، وفيها من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظه منها، واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاورتهم، وانجذاب قوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة - ما صارت به من أكبر الأدوية والمفرحات والأغذية التي لا تلائم إلا القلوب الصحيحة. وأما القلوب العليلة، فهي كالأبدان العليلة لا تناسبها الأغذية الفاضلة.

فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطردة للداء عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٧٠٣.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٧٢.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول ٦/٢٦٤.

(٦) الطب النبوي ٢٨٣-٢٨٤.

الجسد، ومنوِّرة للقلب، ومبيِّضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة، وكاشفة للغمة، ونافعة من كثير من أوجاع البطن»[١].



أحب الصلاة إلى النبي ﷺ الدائمة

قالت عائشة رضي الله عنها: «**وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قَلَّتْ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها**»[٢].

الصلاة الدائمة: وهي هنا صلاة التطوع، فقد كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى صلاة تطوع أثبتها وداوم عليها، وكان يحب الصلاة الدائمة وإن كانت قليلة، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: «**أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قالت: الدائم**»[٣]. وقالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا عمِل عملاً أَثْبَتَه**»[٤]، وقالت: «**كان عمله ديمة**»[٥].

فالمستحب أن يداوم المسلم على ما اعتاده من الصلاة من غير تفريط، ويكره قطع الصلاة وإن لم تكن واجبة، وإن الطريق الموصل إلى دوام الصلاة هو الاقتصاد فيها، والأخذ منها بقدر ما يطيق المرء، أما التشديد فيها والإكثار منها فقد يؤدي إلى تركها وهو مذموم، وإلى ذلك نبَّه رسول الله ﷺ لما قيل له عن امرأة لا تنام الليل وتقيمه كله، فقال ﷺ: «**مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»[٦]، أي عليكم من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفي قوله ﷺ في جواب ذلك «**مه**» إشارة إلى كراهة ذلك خشية الفتور والملال على فاعله لئلا ينقطع عن عبادة التزمها فيكون رجوعًا عما بذل لربه من نفسه، وفيه دليل على الحث على

(١) زاد المعاد ٤/٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم شعبان.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يخص شيئًا من الأيام.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة.

الاقتصاد في العبادة والاقتصار على ما يطاق، واجتناب التعمق وتكلف ما لا يطاق؛ ولهذا يقول النبي ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**»[(١)].

ومن المهم التنبه إلى أنه ليس المراد منع الإكثار من التنفل وصلاة التطوع فإنه من الأمور المحمودة، وقد قال الله تعالى: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه**»[(٢)]، بل المراد منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

والنبي ﷺ يكره ترك صلاة لمن كان يصليها، ويحب المواظبة عليها، وقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل**»[(٣)].

فالمداومة على الصلاة وإن قلت أولى من جهد النفس في كثرتها إذا انقطعت، فالقليل الدائم أفضل من الكثير المنقطع غالبًا. والأفضل من ذلك كله الكثير الدائم لمن علم من نفسه قوة على المداومة كما كان رسول الله ﷺ؛ إذ تقول عائشة: «**كان نبي الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة**»[(٤)].



---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

يحب النبي ﷺ الصلاة حيث أدركته

عن أنس بن مـالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ **«كـان يحب أن يصلِّي حـيث أدركـتـه الصلاة»**[١].

لقد أعطى الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ خمسًا لم يعطهن أحد قبله، ولن يكون ذلك لأحد بعده؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول رب العالمين إلى الناس أجمعين، وما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

فمن هذه الخمس جُعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا فكان يحب أن يصلِّي حيث أدركته الصلاة وأمر بذلك أمته فقال ﷺ: **«جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ»**[٢]. فكل جزء من الأرض يصلح أن يكون مكانًا للسجود، ويصلح أن يُبنى فيه مكان للصلاة، إلا ما استثنى النبي ﷺ من الصلاة في المقابر والحمام وغيرها من المواضع التي فيها النجاسة كالمزبلة والمجزرة ...

قال النووي: «قوله ﷺ مسجدًا معناه أن من كان قبلنا إنما أبيح لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبِيع والكنائس. قال القاضي رحمه الله تعالى: وقيل إن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض، وخصصنا نحن بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته»[٣].

لقد جعلت الأرض للنبي ﷺ مسجدًا بوفور الحظ البارز على جميع الرسل من الله تعالى، ولأمته من حظه ما برزوا به على جميع الأمم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية، ويُتخذ مكانها مساجد؟.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب التيمم.
(٣) شرح صحيح مسلم ٥/٤.
(٤) فيض القدير للمناوي ٣/٣٤٩.

يحب النبي ﷺ صلاة السنة في البيت

عن عبد الله بن سعد؛ قال: سألت رسول الله ﷺ: أيما أفضل؟ الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: «**ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه من المسجد! فلأن أصلي في بيتي أحب إليَّ من أن أصلي في المسجد. إلا أن تكون صلاة مكتوبة**»(١).

لقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يصلي في بيته إلا أن تكون إحدى الصلوات الخمس المفروضة فيصليها في المسجد؛ وهذا ما سنَّه النبي ﷺ لأمته «**فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة**»(٢).

فهو ﷺ يحب أن تحيا بيوت المسلمين بالصلاة ولا تكون مهجورة كالقبور التي ليست محلاً للصلاة، أو تُتخذ هذه البيوت أوطانًا للنوم لا يُصلَّى فيها؛ ولهذا يوصي النبي ﷺ أمته قائلاً: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**»(٣)، وهو ﷺ يحث على صلاة النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وأصون من المحبطات، وليتبرك البيت بذلك، وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان، ويكون فيه الخير، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً**»(٤).

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً للبيت الذي يُصلَّى ويُذكَر الله فيه والبيت الذي لا يُذكَر الله فيه فقال ﷺ: «**مثل البيت الذي يُذكَر الله فيه والبيت الذي لا يُذكَر الله فيه مثل الحي والميت**»(٥)، ففي هذا الحديث حث على ذكر الله تعالى في البيت وأن لا يُخلى من الذكر. وأخبرنا ﷺ أن الشيطان ينفر من البيت الذي يُذكَر الله فيه ويُقرأ فيه بعض سور القرآن، قال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»(٦).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب صلاة الليل.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في البيت.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في البيت.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في البيت.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في البيت.

وبالرغم من أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من ألف صلاة في غيره؛ فقد جعل النبي ﷺ صلاة النافلة في البيت أفضل منها في مسجده ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا، إلا المكتوبة**»[١].

ركعتان أحب إلى النبي ﷺ من الدنيا

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «**لهما أحب إليَّ من الدنيا جميعًا**»[٢]. وقال ﷺ: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[٣].

ركعتا الفجر[٤]:

هما الركعتان اللتان قبل الفجر، بين الأذان والإقامة، «**كان يصلي ركعتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح**»[٥].

وكانت سنة رسول الله ﷺ أن يخففهما؛ قالت عائشة: «**كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر إذا سمع الأذان ويخففهما**»[٦]، وفي الحديث أن سنة الفجر لا يدخل وقتها إلا بطلوع الفجر، واستحباب تقديمها في أول طلوع الفجر وتخفيفها. وعن قدر تخفيفها تقول عائشة: «**كان النبي ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول: هل قرأ بأم الكتاب**»[٧]. فهذا الحديث دليل على المبالغة في التخفيف، والمراد المبالغة بالنسبة إلى عادة النبي ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٩٢٢.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.
(٤) راجع : شرح صحيح مسلم للنووي ٦/٣-٤، وفتح الباري للعسقلاني ٤٣/٣، ٤٦.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما يُقرأ في ركعتي الفجر.

من نوافله. واختلف في حكمة تخفيفهما فقيل: ليبادر إلى صلاة الصبح في أول الوقت، وقيل: ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل ليدخل في الفرض أو ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام، والله أعلم.

وكان النبي ﷺ يقرأ في الركعة الأولى من سنة الفجر سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية سورة الإخلاص؛ وقال ﷺ: **«نعم السورتان هما يُقرآن في الركعتين قبل الفجر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»**[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: **«أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد»**[2]، وكان ﷺ يقرأ فيهما غير هاتين السورتين كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **«كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: قولوا آمنَّا بالله وما أُنزل إلينا، والتي في آل عمران تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم»**[3]. ولكنه ﷺ كان أكثر ما يقرأ فيهما هاتين السورتين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **«رمقت النبي ﷺ شهراً فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾»**[4]

وكان من عادة رسول الله ﷺ أنه يضطجع على يمينه في بيته بعد الفراغ من سنة الفجر، فعن عائشة قالت: **«كان النبي ﷺ إذا صلَّى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن»**[5]، قال ابن حجر: قوله «على شقه الأيمن» قيل الحكمة فيه أن القلب في جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نومًا لكونه أبلغ في الراحة، بخلاف اليمين فيكون القلب معلقًا فلا يستغرق. وفيه أن الاضطجاع إنما يتم إذا كان على الشق الأيمن.

وكان رسول الله ﷺ يتعاهد هاتين الركعتين ولا يدعهما أبدًا، فتقول عائشة رضي الله عنها: **«لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ منه تعاهداً على**

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٧٧٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٤١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر.

ركعتي الفجر»[١]، وقالت: «**ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سراً ولا علانية: ركعتان قبل صلاة الصبح**»[٢]، وقالت: «**ولم يكن يدعهما أبداً**»[٣].



يحب النبي ﷺ المواظبة على أربع ركعات قبل الظهر[٤]

عن قابوس عن أبيه قال: «**أرسل أبي امرأة إلى عائشة يسألها: أي الصلاة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ أن يواظب عليها؟ قالت: كان يصلي قبل الظهر أربعًا يطيل فيهن القيام، ويحسن فيهن الركوع والسجود**»[٥].

لقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يحافظ على أربع ركعات قبل صلاة الظهر حتى إنه إذا فاتته هذه الركعات قبل صلاة الظهر صلاها بعدها، إذ تقول عائشة رضي الله عنها: «**كان إذا لم يصل أربعًا قبل الظهر، صلاهن بعدها**»[٦]، فالحديث يدل على مشروعية المحافظة على السنن التي قبل الفرائض وعلى امتداد وقتها إلى آخر وقت الفريضة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صلَّى قبل الظهر أربعًا حرَّمه الله على النار**»[٧]، وظاهر قوله أن التحريم يحصل بمرة واحدة لكن الرواية الآتية بلفظ «**من حافظ**» تدل على أن التحريم لا يحصل إلا للمحافظ؛ قال ﷺ: «**من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حَرُمَ على النار**»[٨]، والأربع ركعات بعد الظهر اثنتان منها مؤكدة، وركعتان مستحبة، وقد اختلف في معنى حرم على النار وفي

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر، ومن سماها تطوعًا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يصلي بعد العصر من الفوائت ونحوها.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب المداومة على ركعتي الفجر.

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي ١٠٤/٤، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٤١٢/٢.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٤٠٤٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٥٠.

(٧) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٥١.

(٨) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١١٣٠.

رواية: حرمه الله على النار، هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً أو أنه وإن قدر عليه دخولها لا تأكله النار أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه وإن مست بعضه كما في بعض طرق الحديث، والحمل على الحقيقة أولى وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار، وفضل الله تعالى أوسع ورحمته أعم.

والحديث يدل على تأكد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك.

يحب النبي ﷺ أن يليه العقلاء [(١)]

قال رسول الله ﷺ: «**لِيَلِيَنِّي منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق**»، وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يعجبه أن يَلِيَهُ المهاجرون والأنصار، ليحفظوا عنه[(٢)].

كان رسول الله ﷺ يحب أن يقف المهاجرون والأنصار خلفه مباشرة في الصلاة ليحفظوا عنه، وقد سنَّ ﷺ أن يلي الإمام في الصلاة البالغون العقلاء أصحاب الحلم والسكون والوقار والأناة والتثبت في الأمور وضبط النفس عن هيجان الغضب ويراد به العقل؛ لأنها من مقتضيات العقل وشعار العقلاء، ثم الذين يقربون منهم في هذا الوصف، ولا يقف خلف الإمام الأطفال والنساء.

ومن الحكمة في ذلك أن الإمام قد يخطئ بالقراءة أو يسهو بالصلاة فيتفطن من يليه لتنبيهه، أو قد يحدث به عارض ما ويريد أن يخرج من الصلاة فيحتاج إلى أن يقدم أحدًا ممن خلفه ليؤم المصلين ويكمل ما بقي من الصلاة، ولا يصلح للإمامة إلا من كان لديه قدرة على ذلك من علم بالصلاة وحفظ للقرآن، ولا يقدر على ذلك إلا البالغون العقلاء؛ ولذلك كان من اللازم أن يلي الإمام ممن ينطبق عليه هذا

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٥٥/٤، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٧/٢، وعون المعبود للعظيم آبادي ٢٦٢/٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩.

الوصف، أو ممن يقرب منه، قال القاري: كالمراهقين أو الذين يقربون الأولين في النهى والحلم، ثم الذين يلونهم كالصبيان المميزين والذين هم أنزل مرتبة من المتقدمين حلمًا وعقلاً والمعنى هلم جرا.

قال النووي: في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام؛ لأنه أولى بالإكرام؛ ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى؛ ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس وليقتدي بأفعالهم من وراءهم.

ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة أن يُقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة في ذلك الباب والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك.



يحب النبي ﷺ تأخير صلاة العشاء[١]

عن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ **«كان يَسْتَحِبُّ أن يُؤَخِّرَ الْعِشَاءَ التي تدعونها العَتَمَة»**[٢].

لقد كان رسول الله ﷺ يستحب تأخير صلاة العشاء إلى نصف الليل أو إلى ثلثه، وقد «أخر رسول الله ﷺ العشاء ذات ليلة إلى شطر الليل أو كاد يذهب شطر الليل ثم جاء فقال: **«إن الناس قد صلَّوْا وناموا، وإنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة»**[٣].

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٦/٥، ١٣٨، وفتح الباري للعسقلاني ٤٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء.

ولولا أن رسول الله ﷺ يخشى المشقة على أمته لأمرهم بتأخير العشاء كما صرَّح بذلك فقال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه**»(١).

فلولا المشقة خاصة على الضعيف والمريض وذي الحاجة لصلَّى بهم ﷺ في هذا الوقت المتأخر؛ لأنه وقت صلاة العشاء، كما بيَّن ذلك عليه الصلاة والسلام؛ فقد قالت عائشة: «أعتم النبي ﷺ ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل، وحتى نام أهل المسجد، ثم خرج فصلَّى فقال: «**إنه لوقتها لولا أن أشقَّ على أمتي**»(٢)، وقال أيضًا: «**إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم، ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة**»(٣)، وفي رواية أخرى: «**لولا أن يَشُقَّ على أمتي لأمرتهم أن يصلوها كذلك**»(٤).

ولكن رسول الله ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، فلم يأمر أمته بتأخير صلاة العشاء على الدوام؛ ولهذا اختلف العلماء هل الأفضل تقديمها أم تأخيرها، وهما مذهبان مشهوران للسلف وقولان لمالك والشافعي.

فمن قال بتفضيل التقديم قال: لو كان التأخير أفضل لواظب عليه ولو كان فيه مشقة. واحتج بأن العادة الغالبة لرسول الله ﷺ تقديمها، وإنما أخرها في أوقات يسيرة لبيان الجواز، أو لشغل، أو لعذر، وفي بعض الأحاديث الإشارة إلى هذا والله أعلم.

ومن قال بالتأخير احتج بهذه الأحاديث وقال: قد نبه على تفضيل التأخير بهذا اللفظ «**إنه لوقتها لولا أن أشقَّ على أمتي**» وصرَّح بأن ترك التأخير إنما هو للمشقة. ومعناه - والله أعلم - أنه خشي أن يواظبوا عليه فيفرض عليهم ويتوهموا إيجابه؛ فلهذا تركه كما ترك صلاة التراويح وعلل تركها بخشية افتراضها والعجز عنها، وأجمع العلماء على استحبابها لزوال العلة التي خيف منها، وهذا المعنى موجود في العشاء.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤١.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء.

قال عطاء: **«أَحَبُّ إليَّ أن أصليها إمامًا وخلوًا مؤخرة كما صلاها النبي ﷺ ليلتئذ، فإن شقَّ عليك ذلك خلوًا أو على الناس في الجماعة وأنت إمامهم فصلِّها وسطًا لا معجلة ولا مؤخرة»**(١).

وقال الخطابي وغيره: إنما يستحب تأخيرها لتطول مدة انتظار الصلاة، ومنتظر الصلاة في صلاة.

وقال ابن حجر: فعلى هذا من وجد به قوة على تأخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على أحد من المأمومين فالتأخير في حقه أفضل.. ولكن قال ابن بطال: ولا يصلح ذلك الآن للأئمة؛ لأنه ﷺ أمر بالتخفيف، وقال: **«إن فيهم الضعيف وذا الحاجة»**(٢)؛ فترك التطويل عليهم في الانتظار أولى.

وعن أبي سعيد الخدري قال: صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة العتمة فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال: **«خذوا مقاعدكم»** فأخذنا مقاعدنا، فقال: **«إن الناس قد صلُّوا وأخذوا مضاجعهم، وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة، ولولا ضعف الضعيف، وسقم السقيم، لأخرت هذه الصلاة إلى شطر الليل»**(٣).

واعلم أن التأخير المذكور في الأحاديث تأخير لم يخرج به عن وقت الاختيار وهو نصف الليل أو ثلث الليل، ولم يقل أحد من العلماء أن تأخيرها إلى ما بعد نصف الليل أفضل؛ وقد قال رسول الله ﷺ: **«فإذا صليتم العشاء فإنه وقت إلى نصف الليل»**، وقال ﷺ: **«ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل»**(٤)؛ معناه وقت لأدائها اختيارًا، ونصف الليل هو آخر الوقت المختار لصلاة العشاء.

وهناك خلاف بين العلماء في الوقت الذي بعد نصف الليل إلى أذان الفجر، هل هو وقت جواز لصلاة العشاء أم لا وتصير قضاء؟ وليس هنا محل بسطه.

بقي أن نعرف في أي ساعة يكون نصف الليل؟.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٧.

(٤) أخرجهما مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس.

وسبب السؤال هو أن كثيرًا من الناس يعدون الساعة الثانية عشرة ليلاً بالتوقيت الزوالي هي نصف الليل، وهو التوقيت المعتمد لدى معظم الناس خاصة الغربيين من غير المسلمين، حيث يبدأ اليوم عندهم من هذه الساعة وهي عندهم الساعة الرابعة والعشرون، أي آخر ساعات اليوم وأول ساعات اليوم الجديد، وهو توقيت ثابت لا يتغير، أما الحساب الإسلامي فهو متغير، وحسب وقت غروب الشمس، فلمعرفة موعد نصف الليل يُحسب عدد ساعات الليل من المغرب إلى الفجر، ثم تُقسم على اثنين. ومثال على ذلك: وقت أذان المغرب الساعة السادسة مساءً، ووقت أذان الفجر الرابعة فجرًا، فيكون عدد ساعات الليل بينهما هو عشر ساعات، نصفها خمس ساعات، وعلى هذا يكون نصف الليل بعد خمس ساعات من وقت أذان المغرب، أي هو في الساعة الحادية عشرة ليلاً. وبالطريقة نفسها يُعرف ثلث الليل، فيُقسم عدد ساعات الليل على ثلاثة، فيكون الناتج ثلاث ساعات وثلث، فيكون ثلث الليل في الساعة التاسعة والثلث ليلاً.

ولأن عدد ساعات الليل يتغير بمرور الأيام، فلا بد من حسابه وقسمته على اثنين لمعرفة وقت نصف الليل، أو قسمته على ثلاثة لمعرفة ثلث الليل.



يحب النبي ﷺ التخفيف عن أمته

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «**كان النَّبيُّ ﷺ يُصلِّيهما ولا يُصلِّيهما في المسجد مخافة أن يُثَقِّلَ على أمَّته، وكان يحبُّ ما يخفِّفُ عنهم**»[1].

لقد كان رسول الله ﷺ كما وصفه الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[2]؛ فمن رأفته ورحمته وشفقته بأمته أنه ﷺ كان يحب أن يخفف عنهم من الأعمال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وذلك خوفًا من أن يشق أو يثقل عليهم. وكان ﷺ يأمر بالتخفيف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يصلي بعد العصر من الفوائت ونحوها.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

عن الناس والتيسير عليهم فقال ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وسكِّنوا ولا تنفروا**»[١]؛ ذلك لأن التنفير يصاحب المشقة غالبًا وهو ضد التسكين، والتبشير يصاحب التمكين غالبًا وهو ضد التنفير. وكان من عادة النبي ﷺ أنه «**ما خُيِّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما**»[٢].

وكان ﷺ يقول: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا...**»[٣]، ففيه الدعوة إلى عدم مشادة الدين، والتزام الصواب من غير إفراط ولا تفريط، والعمل بما يقرب من الكمال إن لم يكن بالاستطاعة الأخذ به، ثم الثواب على العمل الدائم وإن قل.

وكان ﷺ يدع العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يُفرض على الناس، وعن ذلك تقول عائشة: «**إن كان رسُولُ الله ﷺ لَيَدَعُ الْعمل وهو يحب أن يعمل به خَشْيَةَ أن يعمل به النَّاس فَيُفْرَضَ عليهم**»[٤].

وعندما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء وأُمر بخمسين صلاة ظل ﷺ يتردد إلى ربه يسأله التخفيف لأمته فيضع الله - عزَّ وجلَّ - عنه عشرًا بعد عشر ثم خمس حتى صار عددها خمس صلوات في اليوم والليلة[٥].

وذات ليلة تأخر النبي ﷺ بصلاة العشاء إلى قريب من منتصف الليل فخرج عمر فقال: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان. فخرج ورأسه يقطر يقول: «**لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة**»[٦]. وقال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه**»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**».
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، وقوله تعالى ﴿**لو أن لي بكم قوة**﴾.
(٧) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤١.

ولولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عن النبي ﷺ في الجهاد، وأنه لو خرج ما بقي أحد فيه خير إلا انطلق معه، وفي ذلك مشقة عليه ﷺ وعليهم - لما تخلف ﷺ عن سرية تغدو في سبيل الله، وقال: «**ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل**»[1]؛ وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم وأنه كان يترك بعض ما يتمنى رفقًا بالمسلمين وتخفيفًا عنهم، وسعيًا في زوال المكروه والمشقة عنهم.

أما السواك فلولا أنه يريد التخفيف على أمته وعدم تكليفهم بما يشق عليهم لأمرهم بالسواك عند كل وضوء، وعند كل صلاة؛ قال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**»[2]. قال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**»[3]، وذلك لما في السواك من الفوائد.

وهكذا كان رسول الله ﷺ في الأمور والأعمال الأخرى يحب التخفيف عن أمته رأفة بهم، وشفقة عليهم، ورحمة بهم، وحرصًا عليهم، كما قال الله تعالى عنه: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[4].



يحب النبي ﷺ التوجه نحو الكعبة

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهرًا، وكان رسول الله ﷺ **يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة**، فأنزل الله: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ**﴾[5] فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ﴿**مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب سواك الرَّطب واليابس للصائم.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

﴿وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]. فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعد ما صلى فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال هو يشهد أنه صلَّى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة. فتحرَّف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة»[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة - واليهود أكثر أهلها - يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فنزلت.

الكعبة [٣]:

الكعبة هي بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين أينما كانوا في أرجاء الكرة الأرضية، يتوجهون إليها في الصلوات الخمس المفروضة، وغيرها من الصلوات، يحجون إليها مرة كل عام، ويعتمرون على مدار العام، لا يتوقف طوافهم بها، ولا الدعاء عندها، وهي أول بيت وُضع للناس لعبادة الله وتوحيده.

بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة:

أمر الله - عزَّ وجلَّ - إبراهيم عليه السلام ببناء بيت الله الحرام، وقد انطلق إبراهيم حتى أتى مكة فقام هو وابنه إسماعيل ورفعا القواعد كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[٤]. وبني البيت في المكان المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السماوات والأرض، وقيل إن الكعبة بحيال البيت المعمور ومعابد السماوات السبع، التي يوجد منها في كل سماء بيت يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة.

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ١/١٩٢-١٩٨، ٢/٤٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٥-١٩٦، ١/٣٩١، والبداية والنهاية لابن كثير ١/١٦٣، ٨/٢٢٤، ٢٥٠، ٣٢٩، ١١/١٦٠، وفتح الباري للعسقلاني ٧/١٤٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1]. يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي: لعموم الناس، لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده - للذي بمكة يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي اليهود والنصارى أنهم على دينه ومنهجه ولا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه مع أنه ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي دلالات ظاهرة على قيام إبراهيم ببناء هذا البيت وآية بينة باقية إلى قيام الساعة. فقد بقي بجانب الكعبة مقام إبراهيم أي الحجر الذي كان يقف عليه قائمًا لما ارتفع البناء عن قامته، وقد بقيت آثار قدمي إبراهيم الخليل في الحجر، يعني أن رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة.

كسوة الكعبة:

قيل: إن إسماعيل هو أول من كسا الكعبة مطلقًا، وأن عدنان أول من كساها الأنطاع، وأن تُبَّع تبان أسعد هو أول من كساها الوصائل، وهي ثياب حبرة من اليمن، ثم كساها الناس بعده في الجاهلية، وكانت قريش في زمن الجاهلية تشترك في كسوة الكعبة، ثم كساها رسول الله ﷺ الثياب اليمانية، ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وقيل: إن أول من كساها الديباج معاوية أو ابن الزبير أو الحجاج بأمر عبد الملك بن مروان. وذُكر أن أول من كساها الديباج الأبيض المأمون بن الرشيد، وكساها محمد بن سبكتكين ديباجًا أصفر، وكساها الناصر العباسي ديباجًا أخضر، ثم كساها ديباجًا أسود فاستمر إلى الآن.

بناء قريش للكعبة:

بعد إبراهيم عليه السلام قامت قريش ببناء الكعبة قبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنوات، أي عندما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦-٩٧.

فقد كانت الكعبة في زمن رسول الله ﷺ عبارة عن حجارة مرصوصة فوق بعضها البعض من غير ملاط، وارتفاعها فوق قامة الرجل بقليل، ولم يكن لها سقف، فأرادت قريش إعادة بناء الكعبة ورفعها وتسقيفها، خاصة بعد أن تعرض كنزها للسرقة، وخيف عليها من السيل الذي يأتي من أعلى مكة فيصيب الكعبة فيتساقط من بنائها، ولكنهم كانوا يهابون هدمها فاجتمعوا لذلك، وكانت حية لها رأس كرأس الجدي تخرج من بئر الكعبة كل يوم وتتسلق جدار الكعبة وتتشمس، فكان لا يدنو منها أحد إلا رفعت رأسها وصوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض وفتحت فاها، وكانوا يهابونها. فبينما هي ذات يوم تتشمس على جدار الكعبة، بعث الله إليها طائرًا فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا. فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أحدهم فتناول من الكعبة حجرًا، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبًا، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

وكانوا يهابون هدم الكعبة، فابتدأ بالهدم الوليد بن المغيرة، فأخذ المعول وقال: اللهم لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء، فقد رضي الله صنعنا، فهدمنا. فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر داخل بعضها في بعض، فقيل إن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر اهتزت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزؤوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة من قريش جزءًا منها. فجمعت كل قبيلة الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر الأسود، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى انحازت كل قبيلة إلى جهة، وأعدّوا للقتال؛ فقرّبت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي

على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسُموا (لعَقَة الدم). فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا. فقال بعضهم: يا معشر قريش. اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ؛ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: هلم إليَّ ثوبًا. فأتي به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا. ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ ثم بني عليه.

وقصرت بقريش النفقة الطيبة فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوًا من سبعة أذرع، وهي التي تسمى بالحِجر والحطيم، وجعلوا بناء الكعبة مربعًا تقريبًا بعد أن كان شبه بيضاوي، وبلغ ارتفاعه خمسة عشر مترًا، وطول ضلعه الذي فيه الحجر الأسود والمقابل له عشرة أمتار، والضلع الذي فيه الباب والمقابل له اثنا عشر مترًا، وجعلوا للكعبة بابًا واحدًا ورفعوه عن الأرض حوالي المترين ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا. والحجر الأسود موضوع على ارتفاع متر ونصف من أرضية المطاف. أما مساحة المسجد الحرام فقد بلغت ست مئة وأربعة أمتار مربعة.

المسلمون والكعبة:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١). فقد كان المصطفى ﷺ إذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر به، وكان يحب أن يصلي إلى قِبل الكعبة فكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجَّه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام، فأنزل الله تعالى أمره إلى حبيبه وصفيه من خلقه بأن يولِّ وجهه نحو المكان الذي يحبه والقبلة التي يرضاها وأمر المسلمين بأن يولُّوا وجوههم نحوها. فإلى الكعبة يولِّي المسلمون وجوههم في صلواتهم حيثما كانوا في شرق الأرض وغربها شمالها وجنوبها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

إن الله تعالى له بعبده ورسوله محمد ﷺ وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٢). لقد هدى الله أمة محمد ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام وجعله مجمعًا للناس وأمنًا ومحلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطرًا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾(٣).

في السنة الثامنة للهجرة فتح رسول الله ﷺ مكة، فجاء إلى الكعبة فطاف بها سبعًا على راحلته، ثم دخل الكعبة فصلَّى بها وأمر بطمس الصور التي في داخلها وتحطيم الأصنام التي من حولها. وقيل إن رسول الله ﷺ كان يشير بقضيب في يده إلى الأصنام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٤)؛ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع.

وكان رسول الله ﷺ يرغب في هدم الكعبة وإعادة بنائها على أساس إبراهيم لولا أن قريشًا حديثو عهد بشرك وجاهلية؛ ولهذا قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: **«إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه»،** فأراها قريبًا من سبعة أذرع. وقال ﷺ: **«ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيًا وغربيًا، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟»** قالت: لا، قال: **«تعززًا أن لا يدخلها إلا من**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٧-٤٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط»[١].

عمر والمسجد الحرام:

كانت الكعبة محاطة بالدور على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فضاق المسجد الحرام على الناس، فوسعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واشترى دورًا فهدمها، وأعطى من رفض أن يبيع ثمن داره، ثم أحاط عليه بجدار قصير دون القامة، ورفع المصابيح على الجدر. وكان ذلك سنة سبع عشرة هجرية، وكانت التوسعة عبارة عن إضافة تسع مئة وخمس وأربعين مترًا مربعًا، لكي تستوعب ازدياد أعداد المصلين. وهي التوسعة الأولى للمسجد الحرام. وفي شهر ذي الحجة من سنة ثماني عشرة حوَّل عمر مقام إبراهيم الذي كان ملصقًا بجدار الكعبة، فأخَّره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين ويعيقوا طوافهم.

عثمان والمسجد الحرام:

في سنة ست وعشرين هجرية، ولما كان أعداد الحجاج يزداد يومًا بعد يوم، نتيجة لانتشار الإسلام في بلاد جديدة، قام أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالتوسعة الثانية للمسجد الحرام، وبلغت التوسعة ألفًا وسبع مئة وخمسة أمتار مربعة.

جيش يزيد والكعبة:

كانت الكعبة لا تزال على بناء قريش حتى احترقت في سنة أربع وستين هجرية؛ وذلك لما حاصر جيش يزيد بن معاوية عبد الله بن الزبير. فقد نصبوا المجانيق ورموا بها حتى بالنار، فاحترقت الكعبة، وقيل: إنما احترقت؛ لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة، فعلقت النار في بعض أستار الكعبة فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت، وقيل: إنما احترقت؛ لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام، فرُفعت نار على

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها.

رمح لينظروا مَن هؤلاء الذين على الجبل، فأطارت الريح شرارة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة، فعلقت في أستارها وأخشابها فاحترقت.

ابن الزبير والكعبة:

بعد موت يزيد بن معاوية عاد جيشه من حيث أتى، فقام ابن الزبير بهدم الكعبة؛ لأنها وهت من أعلاها إلى أسفلها حتى إن الطير ليقع عليها فتتناثر حجارتها، ومال جدارها من حجارة المنجنيق، واسود الركن وانصدع الحجر الأسود من النار التي كانت حول الكعبة. فهدم ابن الزبير الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم، قيل إنهم لما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحجر مشبكًا كأصابع اليدين، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا، فلما ضربوا بالمعاول في تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة فتركه على حاله، ثم أسس عليه البناء. وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير، وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب عند الخزان، ثم بناها على قواعد إبراهيم عليه السلام، وعلى ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل، كما سمع ابن الزبير ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ. فأدخل فيها الحِجر وجعل لها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا ملصقين بالأرض، باب يدخل منه وباب يخرج منه، ووضع الحجر الأسود بيده، وشده بفضة؛ لأنه كان قد تصدع، ولطخ جدران الكعبة بالمسك وسترها بالديباج، ثم اعتمر من مساجد عائشة وطاف بالبيت وصلَّى وسعى، وأزال ما كان حول الكعبة من الزبالة، وما كان حولها من الدماء.

وقيل إن الذي وضع الحجر الأسود في موضعه هو حمزة بن عبد الله بن الزبير؛ وذلك لأنه أحس من الناس التنافس في وضع الحجر الأسود وخاف الخلاف، فاغتنم شغل الناس عنه بالصلاة وأبوه يصلي بهم، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن، فأقره أبوه. وقام عبد الله بن الزبير أيضًا بزيادة إتقان المسجد الحرام وتوسعته التوسعة الثالثة وقد بلغت خمسة آلاف وثمان مئة وثلاثين مترًا مربعًا.

وأخرج مسلم قصة بناء ابن الزبير للكعبة عن عطاء فقال: «لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير

حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجرِّئهم أو يحرِّبهم على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس أشيروا عليَّ في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فُرِق لي رأي فيها، أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتًا أسلم الناس عليه وأحجارًا أسلم الناس عليها وبُعثَ عليها النبي ﷺ. فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يُجِدَّه فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثًا ثم عازم على أمري. فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء حتى صعده رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول إن النبي ﷺ قال: «**لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يُقوِّي على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحِجر خمس أذرع، ولجعلت لها بابًا يدخل الناس منه وبابًا يخرجون منه**» قال: فأنا اليوم أجد ما أُنفق ولست أخاف الناس، قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحِجر حتى أبدى أُسًّا نظر الناس إليه فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعًا فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشر أذرع وجعل له بابين أحدهما يُدْخَل منه والآخر يُخْرَج منه»(١).

الحجاج والكعبة:

ولم تزل الكعبة كذلك مدة إمارة عبد الله بن الزبير حتى جاء الحجاج في أول شهر ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وحاصر ابن الزبير ومن معه. واستمر الحصار خمسة أشهر وسبعة عشر يومًا، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة وكان معه الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقًا كثيرًا، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان. وجعلت حجارة المجانيق تقع في الكعبة. وبعد أن قُتل ابن الزبير قام الحجاج بردِّ الكعبة إلى ما كانت عليه بأمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان له بذلك. فهدم الحائط الشمالي وأخرج الحِجر كما كان أولاً، وأدخل الحجارة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها.

التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيها، ورفع الباب الشرقي وسد الغربي، فصارت بالشكل الذي هي عليه الآن.

قال عطاء: «فلما قُتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أُسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة. فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء، أما ما زاد في طوله فأقِرَّه، وأما ما زاد فيه من الحِجر فرُدَّه إلى بنائه وسُدَّ الباب الذي فتحه. فنقضه وأعاده إلى بنائه»(١).

ولم يكن عبد الملك بن مروان قد بلغه حديث النبي ﷺ عن رغبته في بناء الكعبة على قواعد إبراهيم ورد ما تركوا منها لولا حداثة عهد قريش بالشرك، فلما سمع الحديث ندم وقال: «**لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير**»(٢). وقد زاد عبد الملك في ارتفاع جدران المسجد الحرام وسقفه بالساج. وقيل: بل الذي صنع ذلك ولده الوليد.

وبعدما رجع الأمر إلى هذا الحال كره بعض العلماء أن يغير عن حاله حتى لا تصبح الكعبة ملعبة للملوك بعضهم ينقضها ويبنيها على قواعد إبراهيم كما رغب بذلك النبي ﷺ وفعله ابن الزبير، وبعضهم ينقضها فيبنيها على بناء قريش الذي تركها عليه النبي ﷺ؛ وذُكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين! لا تجعل كعبة الله لعبة للملوك لا يشاء أحد إلا نقضها وبناها، فترك أمير المؤمنين ذلك.

توسعة المنصور للحرم:

قام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بالتوسعة الرابعة للمسجد الحرام بمقدار خمسة آلاف وأربع مئة وخمسة وأربعين مترًا مربعًا، وذلك في السنة المئة والثمانية والثلاثين للهجرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها.

توسعة المهدي للحرم:

قام الخليفة العباسي محمد المهدي بتوسعتين متلاحقتين للمسجد الحرام، أولاهما في السنة المئة وواحد وستين للهجرة؛ وذلك بتوسعة الجانبين الشمالي والشرقي. وهي التوسعة الخامسة.

إضافة المعتضد والمقتدر للحرم:

في سنة مئتين وأربع وثمانين للهجرة، أدخل المعتضد العباسي جزءًا من دار الندوة، وبعد ذلك ضم الجزء الباقي من الدار وسمي باب الزيارة. وفي العام نفسه أدخل المقتدر جزءًا من باب إبراهيم، وقد بلغ مجموع التوسعتين ألفين وثلاث مئة متر مربع. وبذلك اتسع المسجد الحرام إلى المساحة التي بقيت حتى القرن العاشر للهجرة.

القرامطة والكعبة:

في حج سنة ثلاث مئة وسبع عشرة انقض القرامطة على حجاج بيت الله فانتهبوا أموالهم وقتلوا كثيرًا منهم في كل مكان حتى في جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي على باب الكعبة، وسيوف رجاله في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف.

ثم أمر القرمطي بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فمات، فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقَّل في يده وقال: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه معهم إلى بلادهم. وكان ذلك في زمن الخليفة المقتدر بالله.

وفي شهر ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وبعد ثنتين وعشرين سنة رُد الحجر الأسود إلى مكانه في البيت، وكان الأمير بجكم التركي قد بذل لهم خمسين ألف دينار على أن يردوه إلى موضعه فلم يفعلوا، وقالوا: نحن أخذناه بأمر

فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره. فلما كان هذا العام حملوه إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس، وكتب أخو أبي طاهر كتابًا فيه: إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم. ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قعود، فوصل في ذي القعدة من هذه السنة، ففرح المسلمون لذلك فرحًا شديدًا. وقد ذكر غير واحد أن القرامطة لما أخذوه حملوه على عدة جمال فعطبت تحته واعترى أسنمتها القرح، ولما ردوه حمله قعود واحد ولم يصبه أذى. وكان ذلك في زمن الخليفة المطيع لله.

توسعة سليم العثماني:

في سنة تسع وسبعين وتسع مئة هجرية (١٥٧١م) قام السلطان سليم العثماني بتجديد المسجد الحرام كله تجديدًا كاملاً. ثم في سنة أربع وتسعين وتسع مئة (١٥٨٦م) قام السلطان سليم بتوسعة فناء الحرم إلى مساحة قدرها سبع وعشرون ألفًا وخمس مئة واثنان وخمسون مترًا مربعًا. والكعبة بشكلها الحالي بنيت في عام تسع وثلاثين وألف هجرية (١٦٢٨م) في عهد الدولة العثمانية.

توسعة عبد العزيز آل سعود:

كان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية راغبًا في توسعة المسجد الحرام. وفي عام خمس وسبعين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٩٥٦م) بدأ العمل بالتوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام، التي تقع حول الجزء الذي احتفظ به من المسجد القديم ويشمل مساحة مسقوفة قدرها مئة وخمس وعشرون ألفًا وخمس مئة وخمسون مترًا مربعًا للصلاة في البدروم والدور الأرضي والدور الأول. كما أنها تشمل مناطق مكشوفة حول المسجد. كما تم توسعة المطاف حول الكعبة وإزالة العوائق من مسطحه ومن ذلك هدم المبنى الذي كان يغطي بئر زمزم ونقل مكان مشرب ماء زمزم إلى بدروم صغير تحت المطاف، وبذلك أمكن توسيع المطاف إلى مساحة قدرها ثلاثة آلاف وثمانية وخمسون مترًا مربعًا حول الكعبة، وصار يتسع لحوالي ثمانية آلاف وخمس مئة شخص من الطائفين، وفي موسم الحج يمكن أن يستوعب نحو أربعة عشر ألف شخص.

توسعة فهد بن عبد العزيز:

في عهد فهد بن عبد العزيز آل سعود خادم الحرمين الشريفين تم إضافة جزء جديد على مبنى المسجد الحرام من الناحية الغربية، مكون من ثلاثة أدوار تبلغ مساحتها مع السطح مئة وثمانية عشر ألف متر مربع، وتتسع لحوالي مئتين وتسعين ألف مصلٍ. ويشمل مشروع التوسعة تجهيز الساحات الخارجية ومنها الساحة المتبقية من الجهة الغربية والمساحة الواقعة شرقي المسعى بما يصل في مجمله إلى واحد وخمسين ألف متر مربع تكفي لاستيعاب مئة وسبعة آلاف مصلٍ، وتصبح بذلك مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد توسعته والأسطح وكامل الساحات ثلاث مئة وعشرين ألف متر مربع تتسع لحوالي سبع مئة وعشرة آلاف مصلٍ. هذا مع أعمال أخرى تتعلق بالمداخل والمآذن وحركة المصلين والأعمال الكهربائية والإنارة وشبكة الإذاعة الداخلية والأعمال الميكانيكية والسلالم المتحركة والخدمات الأخرى.

ذو السويقتين والكعبة:

في آخر الزمان، يأتي رجل من الحبشة، أسود، أصلع، معوج المفاصل، دقيق الساقين بعيد ما بينهما، نقيض إبراهيم عليه السلام؛ فإن كان إبراهيم قد أتى إلى مكة وبنى الكعبة، بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين في كل مكان، فإن هذا الحبشي ذو السويقتين سيأتي إلى مكة ويهدم الكعبة ويقلعها حجرًا حجرًا بمعوله ومجرفه، فقد قال رسول الله ﷺ: **«يُخَرِّبُ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»**[1]، وقال ﷺ: **«كأني به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا»**[2]. وسيخرب هذا الحبشي الكعبة خرابًا لا تَعْمُرُ بعده أبدًا، وهو الذي يستخرج كنزها، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، كما أخبر بذلك النبي ﷺ: **«ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمُرُ بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب هدم الكعبة .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب هدم الكعبة.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٧٨٩٧، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

وربما ذلك سيقع عندما لا يبقى في الأرض أحد يقول الله الله كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»[١]. فلا أحد يطوف بالكعبة أو يستقبلها بصلاة أو دعاء، ولا تعد للكعبة قيمة دينية في نفوس الناس؛ وعند ذلك تصبح الفرصة مهيأة لهذا الحبشي لهدم الكعبة، ولن يجد في مكة من يمنعه من ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال هذه الأمة بخير ما عظَّموا هذه الحُرمة حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هَلَكوا**» الحُرمة: يعني الكعبة. وفي رواية: «**فإذا تركوها وضيعوها هَلَكوا**»[٢].

يحب النبي ﷺ أن يكون عبداً شكوراً

عن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**»[٣].

قال الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٤]. إن الله تعالى اصطفى من الناس رسوله محمد ﷺ وأرسله رحمة للعالمين، وجعله سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، ومع أن الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ إلا أنه - إلى جانب أدائه للصلوات المفروضة وسننها القبلية والبعدية وصلاة الضحى وغير ذلك من الصلوات - يقوم الليل طويلاً حتى تتشقق قدماه من القيام في الصلاة؛ وذلك ليكون عبدًا شكورًا يشكر الله تعالى على نعمه عليه. وفي المقابل نجد شخصًا لم يبلغه أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه أو ما تأخر؛ يترك الصلوات حتى المفروضة منها وربما يرتكب المعاصي ما ظهر منها وما بطن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل مكة. حسنه ابن حجر العسقلاني.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢.

ومع ذلك لسانه يردد: إن الله غفور رحيم. نعم؛ إن الكَيِّس من حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله.

العبد الشكور:

لقد سن رسول الله ﷺ أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه، وليس هناك أضر بالبدن من الموت أثناء أداء عبادة هي الجهاد في سبيل الله، الذي لا يعدله شيء من الصلاة والصيام، وقد حث عليه الله ورسوله؛ وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾**[1]؛ فما كان من العبادات دون الموت في الجهاد فهو أيسر وأقل شدة بكثير. ثم إن رسول الله ﷺ إذا أخذ على نفسه الجهد الشديد في العبادة وقيام الليل حتى تتشقق قدماه مع علمه بغفران الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن من لا يعلم بذلك فضلاً عمن لا يأمن أنه قد يستحق النار لهو أولى بالإكثار من العبادة شكرًا على نعم الله الكثيرة التي أنعم الله بها عليه، وهي نعم لا تعد ولا تحصى، قال الله تعالى: **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**[2].

فالإكثار من العبادة والتنفل وصلاة التطوع من الأمور المحمودة، وهو أمر مطلوب لمن يريد شكر الله على نعمه والتقرب إليه، ورجاء نيل رحمة الله في الآخرة، وبلوغ الدرجات العليا في الجنة. وقد قال الله تعالى: **«وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»**[3]، ولكن على ألا يفضي ذلك إلى الملل أو إلى ترك الأفضل، وإلا فإن **«أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»**[4]، فعمل قليل دائم خير من كثير منقطع غالبًا وخير من ترك العمل مطلقًا؛ لأن حال النبي ﷺ كانت

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم.

أكمل الأحوال، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه، بل قال ﷺ: «**وجُعِلت قرة عيني في الصلاة**»(١). فأما غير النبي ﷺ إذا خشي الملل فلا ينبغي له أن يُكره نفسه، وعليه يُحمل قوله ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»(٢).

فإذا أراد الإنسان أن يكون عبدًا شكورًا؛ والشكر في عبارات العلماء معناه: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية، فليعلم أن للشكر فضائل كثيرة جليلة منها أن الله تعالى قرنه بالذكر، وأمر به، ونهى عن ضده؛ فقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾(٣)، ونبه أنه لا يعذب الشاكر المؤمن، فقال تعالى: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾(٤)، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه؛ فقال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ**﴾(٥)، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾(٦)، ووعد أهله بأحسن جزائه فقال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾(٧)، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، فقال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾(٨)، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(٩).

ولأن رتبة الشكر عالية ورفيعة جدًا كان الشاكرون قليلين، فقال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾(١٠)؛ وقلة الشاكرين في العالمين تدل على أنهم هم خواصه؛

---

(١) صحيح الجامع، رقم: ٣١٢٤.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٧.
(٥) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠-١٢١.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٨) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٩) سورة إبراهيم، الآية: ٥، ولقمان: ٣١، وسبأ: ١٩، والشورى: ٣٣.
(١٠) سورة سبأ، الآية: ١٣.

ولهذا طعن إبليس اللعين في بني آدم وفرح بقوله: ولا تجد أكثرهم شاكرين. وقد اشتق الله للشاكرين اسمًا من أسمائه، فالشكر خُلُق من أخلاق الربوبية، والشكور اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾(١)، وسمى الله نفسه «شاكرًا» و«شكورًا»، وسمى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً. وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورًا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾(٢)، وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾(٣)، وجعله آخر دعواهم، فقال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤).

أما رسول الله ﷺ فقد قال: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**»(٥)، وهذا من تفضل الله تعالى على عباده أن جعل للطاعم إذا شكر الله على ما أنعم به عليه ثواب الصائم الصابر. وفي الحديث الحث على شكر الله على جميع نعمه إذ لا يختص ذلك بالأكل.

وليعلم من يريد أن يكون عبدًا شكورًا أن الشكر ينتظم من علم وحال وعمل؛ فالعلم هو الأصل فيورث الحال، والحال يورث العمل؛ فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان. أما بالقلب: فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق. وأما باللسان: فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته(٦).

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٧.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٢١.

(٦) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٨٠-٨٤.

ومن نعم الله تعالى على الإنسان هذا الجسم بكل ما فيه من أعضاء وأجهزة وحواس وغير ذلك؛ فيسخرها فيما يحبه الله ويرضاه من العبادات والطاعات على أنواعها وبذل الجهد فيها، ويجنبها ما يبغضه الله ويكرهه من المعاصي والآثام، وذلك شكرًا لله على هذه النعم الغالية التي لا يقدرها حق قدرها إلا من فقدها أو أصابه ضر فيها، ولكي يقترب الإنسان قليلاً من شعور تقدير نعم الله عليه فليسأل نفسه مثلاً: أيسره أن لا يكون له يد أو رجل، عين أو أذن، أنف أو لسان، وله من المال الآلاف والملايين؟. ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

وليعلم أيضًا الذي يريد أن يكون عبدًا شكورًا أن الشكر على ثلاث درجات[2]: الأولى: الشكر على المحاب؛ وهو الاعتراف بنعم الله عز وجل، والثناء عليه بها، والإحسان إلى خلقه منها. وهذا بلا شك يوجب حفظها على الشاكر والمزيد منها. والثانية: الشكر على المكاره؛ وهو أشد وأصعب من الشكر على المحاب؛ ولهذا كان فوقه في الدرجة، وهذا الشاكر أول من يُدعىٰ إلى الجنة؛ لأنه قابل المكاره - التي يقابلها أكثر الناس بالجزع والسخط، وأوساطهم بالصبر، وخاصتهم بالرضى - فقابلها هو بأعلى من ذلك كله؛ وهو الشكر. فكان أسبقهم دخولاً إلى الجنة، وأول من يدعى منهم إليها. والثالثة: أن لا يشهد العبد إلا المنعم؛ وهذه الدرجة يستغرق صاحبها بشهود المنعم عن النعمة، فلا يتسع شهوده للمنعم ولغيره.

وأخيرًا فليعلم الذي يريد أن يكون عبدًا شكورًا أن الله تعالى قد وعد وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٤.

(٢) راجع تفاصيل هذه الدرجات في كتاب مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٤٢ وما بعدها.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

رضي النبي ﷺ بالآخرة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدَم حشوها ليف، وإن عند رجليه قَرَظًا مصبوبًا، وعند رأسه أهَب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: **«ما يبكيك»**؟ فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: **«أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»**(١).

لقد كان رسول الله ﷺ أزهد الناس بالدنيا، ولو شاء لكان أغنى الناس؛ ذلك لأنه ﷺ رضي أن تكون هذه الدنيا الفانية لغيره في مقابل أن تكون الآخرة الباقية له، وهذا ما رضيه ﷺ لأمته، ولطالما حذرهم من الدنيا وخاف عليهم منها ورغبهم في الآخرة.

الدنيا والآخرة (٢):

قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾(٣).

لقد ضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة، وهي تُعجب الكفار؛ لأنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، وهي كمثل النبات الذي يصفر بعدما كان خضرًا ثم يصير بعد ذلك كله يبسًا متحطمًا، وهكذا الإنسان يولد فينشأ فيقوى فيكسب المال والولد ويرأس، ثم يأخذ بعد ذلك في الانحطاط فيشيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب من مرض ونقص مال وعز، ثم يموت فيضمحل

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا..﴾.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٥٩-٣٦٠، ٤/٣٣٥، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/٥٠٣، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٧٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧/١٩٢، ١٨/٩٣، والفوائد لابن القيم ١٢٣-١٢٤.

(٣) سورة الحديد، الآيتان: ٢٠-٢١.

أمره ويصير ماله لغيره وتغير رسومه. ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فليس في الآخرة القريبة إلا إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان، أما الحياة الدنيا فهي متاع فانٍ غار لمن ركن إليه فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة؛ قال رسول الله ﷺ: **«لقاب قوس أحدكم - أو موضع قدم - من الجنة خير من الدنيا وما فيها. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولَنَصيفها - يعني الخمار - خير من الدنيا وما فيها»**[1]؛ ولهذا حث الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات، من فعل الطاعات وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات، وتحصل له الثواب والدرجات، ليكون من أهل هذه الجنات التي عرضها كعرض الأرض والسماوات.

وقد ذم الله تعالى الدنيا وزهَّد فيها في كثير من الآيات، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا والزهد فيها وصرف الخلق عنها وترغيبهم في الآخرة ودعوتهم إليها. قال الله تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**[2]، يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين وحب المال والخيل والإبل والبقر والغنم والأراضي، وأن ذلك إنما هو زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة، وأن الله عنده حسن المرجع والثواب، ثم أخبر بما هو خير مما زُيِّن للناس، للذين اتقوا عند ربهم جنات تتخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر والعسل وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ماكثين فيها أبد الآباد، وأزواج مطهرة من الدنس والخبث والأذى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤-١٥.

والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا، ورضوان من الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

وقال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(١)، فهذا من الله - جلَّ وعلا - تزهيد في الدنيا وتقليلها وتحقيرها وترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة التي هي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقد توعد الله عز وجل أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(٢). وعيَّر سبحانه من رضي بالدنيا من الآخرة من المؤمنين، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾(٣)

كذلك ذم رسول الله ﷺ الدنيا وبيَّن قدرها عند الله تعالى فقال ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»(٤)؛ فهذا مثل للقلة والحقارة، فلو كان للدنيا أدنى قدر عند الله ما متع الكافر منها أدنى تمتع، فإن الكافر عدو الله والعدو لا يُعطى شيئًا مما له قدر عند المعطي. وقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من الدنيا التي ليس لها قدر عند الله ومع ذلك يقتل الناس بعضهم بعضًا من أجلها، قال ﷺ: «**فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(٥). فالتنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، ويقع الهلاك بسبب أن المال

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٧-٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب ١٢.

مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك. قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا، والفقير آمن من ذلك.

وبيَّن ﷺ عاقبة من تكون الآخرة همه ومن تكون الدنيا همه فقال ﷺ: **«من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له»**[1]. فالغنى الحقيقي هو غنى النفس وليس كثرة المال، قال ﷺ: **«ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس»**[2]، قال ابن بطال: معنى الحديث: ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب، فكأنه غني. وقال القرطبي: معنى الحديث: إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه؛ فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل. وقال ابن حجر: وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره فيتحقق أنه المعطي المانع، فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ويفزع إليه في كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى، والغنى الوارد في قوله ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[3] يتنزل على غنى النفس، فإن الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تُفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٨.

وحرص رسول الله ﷺ على إيصال الخير لأمته وحض على الزهد في الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه؛ فعن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر يقول: «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء. وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**»(١). ففي الحديث حث على الزهد في الدنيا وعدم الركون إليها، والاحتقار لها، وعدم اتخاذها وطنًا، وعدم التعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، أو عابر السبيل الذي لا يريد الاستقرار فيها بل يريد مواصلة السير إلى بلد الإقامة التي هي الآخرة. وهكذا كان رسول الله ﷺ الذي يقول: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»(٢).

ورغَّب ﷺ في الآخرة؛ لأنها هي دار المقر وما الدنيا فيها إلا كما قال ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع**»(٣)، فما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

قال علي بن أبي طالب: «**ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل**»(٤).

إن إيثار الدنيا على الآخرة يكون إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب. فقد عُرضت على النبي ﷺ مفاتيح كنوزها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**».
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٣٦.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله.

فردًّا، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذَّن بالرحيل. قال عليه الصلاة والسلام: **«الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»**(١). فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان. وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»**(٢)، فقد زهد ﷺ بالدنيا ورضي بالآخرة. وهذا ما اختاره أيضًا أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وقد سرَّه وأعجبه ﷺ أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فعن عائشة قالت: «أتاني رسول الله ﷺ فقال: **«إني سأعرض عليك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تشاوري أبويك»** فقلت: وما هذا الأمر؟ قالت: فتلا عليَّ **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**(٣) قالت عائشة: فقلت: وفي أي ذلك تأمرني أشاور أبويَّ؛ بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: فسُرَّ بذلك النبي ﷺ وأعجبه، وقال: **«سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك»** قالت: فقلت له: فلا تخبرهن بالذي اخترت. فلم يفعل. وكان يقول لهن كما قال لعائشة ثم يقول: **«قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة»**(٤).

قال الله تعالى: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٢٥٣٩٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

أحب الشهور إلى النبي ﷺ للصيام شعبان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ: أن يصومه؛ شعبان، ثم يصله برمضان»**[١]، وقالت: **«وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان»**[٢].

صيام شعبان:

سمِّي شعبان لتشعبهم في طلب المياه أو في الغارات بعد أن يخرج شهر رجب المحرم، وقيل غير ذلك.

كان رسول الله ﷺ يصوم في شعبان وغيره، وكان صيامه في شعبان تطوعًا أكثر من صيامه فيما سواه؛ كما أخبرت عائشة: **«لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله»**[٣]، وفي الحديث دليل على فضل الصيام في شهر شعبان.

واختلف في الحكمة في إكثاره ﷺ من صوم شعبان فقيل[٤]: كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان. وقيل: كان ﷺ يصنع ذلك لتعظيم رمضان. وقيل: كان يكثر من الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين غيره لما يفوته من التطوع بذلك في أيام رمضان.

والأولى في ذلك ما جاء عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور، ما تصوم من شعبان؟ قال: **«ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرْفَع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرْفَع عملي، وأنا صائم»**[٥].

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢١٢٤.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم شعبان.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم شعبان.
(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٤/٢١٤.
(٥) صحيح سنن النسائي، رقم: ٢٢٢١.

وكان رسول الله ﷺ يصل صيام شعبان برمضان، وهذا جائز لمن كان من عادته الصيام في شعبان أن يصل آخر يوم منه بأول يوم من رمضان، أما من لم تكن عادته الصيام في شعبان، أو لم يكن من عادته صيام يومي الاثنين والخميس فلا يجوز له أن يسبق رمضان بصيام، بل هناك نهي عن فعل ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا يتقدَّمنَّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم**»[١].

قال العلماء[٢]: معنى الحديث لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان. قال الترمذي لما أخرجه: العمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان.

وقيل في الحكمة فيه عدة أقوال أقواها: إن الحكم علق برؤية هلال شهر رمضان؛ فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم. ومعنى الاستثناء أن من كان له ورد فقد أذن له فيه؛ لأنه اعتاده وألفه وترك المألوف شديد وليس ذلك من استقبال رمضان في شيء، ويلتحق بذلك القضاء والنذر لوجوبهما.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا**»[٣]؛ وهذا لمن لم يكن له صيام في النصف الأول من شعبان، أما من كان له صيام في النصف الأول، كأن يصوم الاثنين والخميس، أو الأيام البيض الثلاثة من كل شهر وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر فهذا ينطبق عليه استثناء النبي ﷺ: «**إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم**».



يحب النبي ﷺ أن يُعْرَضَ عمله وهو صائم

قال رسول الله ﷺ: «**تُعْرَضُ الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائم**»[٤]. وعن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم شعبان.

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٤/١٢٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٠٤٩.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٥٩٦.

من الشهور، ما تصوم من شعبان؟ قال: «**ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرْفَع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرْفَع عملي، وأنا صائم**»(١).

إن رسول الله ﷺ يحب أن يُعْرض عمله وهو صائم، ويحب أن يُرفع عمله وهو صائم، بل روى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**فأحب أن يأتي أجلي وأنا صائم**». فهذه الأحاديث تدل على أن شأن الصيام عظيم، وفضله كبير، وثوابه كثير، وأمره خطير، حتى فرض الله تعالى على أمة محمد ﷺ صيام شهر كامل كل سنة هو شهر رمضان كما فرض الصيام على الأمم السابقة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٢).

ولم يكن رسول الله ﷺ ليكتفي بصيام رمضان المفروض فحسب بل كان يصوم أيامًا كثيرة تطوعًا وتقربًا إلى الله تعالى، وقد سن ﷺ لأمته صيام هذه الأيام ومنها أيام على مدار السنة مثل: ستة أيام من شوال، والتسع الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء في العاشر من شهر المحرم مع يوم قبله أو بعده أو كلاهما، وشهر شعبان. ومنها أيام على مدار الأشهر مثل: الأيام البيض وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر هجري. ومنها أيام على مدار الأسبوع مثل: يومي الاثنين والخميس. ولكل صيام يوم من هذه الأيام فضله الخاص به، وثوابه المقدر له عند الله تعالى.

الصيام(٣):

قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي**

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٢٢٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٤/١٠٧-١١٠، ١١٧، وزاد المعاد لابن القيم ٤/٣٣٤.

ربه فرح بصومه»[١]. وفي رواية: «**يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها»**[٢].

فمن الأسباب التي جعلت للصيام هذه المزية الفريدة بأنه لله وهو تعالى يجزي به: أن الصيام ليس فيه رياء؛ لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات التي يطلع العباد عليها ويمكن دخول الرياء فيها فأضيفت لابن آدم، بخلاف الصوم الذي لا يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب، وسر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصًا ويعامله به طالبًا لرضاه، ولا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه.

ولما أضافه الله تعالى إلى نفسه انفرد تعالى بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته؛ فالأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبع مئة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير؛ ولا يعلم مقدار ثوابه إلا الله تعالى، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]. والكريم إذا قال أنا أتولى الإعطاء بنفسي كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه.

وإذا كانت سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن، فإن الصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل بن آدم يضاعف: الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف. قال الله عزَّ وجلَّ: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»**[٤].

وللصائمين يوم القيامة مزية خاصة بهم وكرامة لهم؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد»**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الريان للصائمين.

وصيام يوم واحد في سبيل الله يباعد الله به وجه الصائم عن النار سبعين سنة، قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»(١).

ولكن للصيام شروط لا بد من الالتزام بها والعمل بمقتضاها حتى يكون الصيام صحيحًا خالصًا ومقبولاً؛ منها: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(٢). فلا بد من ترك الكذب والعمل به، وعدم ارتكاب المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وإن كان ذلك مطلوبًا على الدوام وفي غير الصيام إلا أنه يتأكد أكثر في حالة الصيام. قال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول.

وللصيام أيضًا فوائد بدنية وصحية متعددة؛ قال ابن القيم: «الصوم جُنة من أدواء الروح والقلب والبدن، منافعه تفوت الإحصاء، وله تأثير عجيب في حفظ الصحة، وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها. ثم إن فيه من إراحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها، وفيه خاصية تقتضي إيثاره، وهي تفريحه للقلب عاجلاً وآجلاً، وهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم.

وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى الصائم فيه ما ينبغي مراعاته طبعًا وشرعًا، عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعد لها، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه، ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يُتحفظ منه، ويعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية، فإن القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر اختُص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه، ولما كان وقاية وجُنة بين العبد وبين ما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

يؤذي قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فأحد مقصودي الصيام الجُنَّة والوقاية، وهي حمية عظيمة النفع، والمقصود الآخر: اجتماع القلب والهم على الله تعالى، وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته».



يحب النبي ﷺ ذِكْر الله

قال رسول الله ﷺ: **«لأنْ أَقْعُدَ مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغَدَاةِ حتى تَطلع الشَّمس، أحَبُّ إليَّ من أن أعتِقَ أربعة من ولد إسماعيل. ولأنْ أَقْعُدَ مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تَغْرُبَ الشَّمس، أحَبُّ إليَّ من أن أعتِقَ أربعة»**[1].

إن جلوس رسول الله ﷺ من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس مع قوم يذكرون الله أحب إليه من عتق أربعة أنفس، وكذلك جلوسه من العصر إلى المغرب، وهو ﷺ يحب ما يحبه الله، فالذكر أحب الأعمال إلى الله تعالى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذِكر الله»**[2]. إن رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر. وقد كان رسول الله ﷺ دائم الذكر لله، فكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، وعلى جميع أحواله، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه، قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، وفي مشيه وركوبه ومسيره، ونزوله وإقامته، ودخوله وخروجه، ونومه واستيقاظه، وصباحه ومسائه، وأكله وشربه وجماعه، ولبسه وخلعه، وعند رؤيته وسماعه، وصحته ومرضه، وهمه وغمه، وسرائه وضرائه، وغير ذلك من الأحيان والأحوال، إذ تقول عائشة رضي الله عنها: **«كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»**[3]. وقد سن ﷺ كل ذلك لأمته من بعده.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١١٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا، وهل يلتفت في الأذان؟.

ذِكْرُ الله[1]:

أصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسُمِّي الذكر باللسان ذكرًا لأنه دلالة على الذكر القلبي؛ غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني؛ صار هو السابق للفهم. والمراد ذكر القلب الذي يجب استدامته في جميع الحالات.

وقيل: الذكر هو الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقيل: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمَّى الله الصلاة ذكرًا؛ فقال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2].

وقيل: ذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان. وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٢٠٩/١١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٥/٢، ١٢١/١٤، ١٢٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٢/٣-٥٠٣، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٧، ومدارج السالكين لابن القيم ٣٩٧/٢-٣٩٩.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.

وملكوته وآياته في سماواته وأرضه. والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهي عنه ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردًا فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[١]. أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب. وأن يشغلوا ألسنتهم في معظم أحوالهم بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. قال مجاهد: وهذه الكلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب. وقال: لا يكون ذاكرًا لله تعالى كثيرًا حتى يذكره قائمًا وجالسًا ومضطجعًا. ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس: إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدًا ينتهي إليه ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[٢]؛ بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. فإذا فعلتم ذلك صلَّى عليكم هو وملائكته.

قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تَلْقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»** قالوا: بلى، قال: **«ذِكْرُ الله»**. قال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من عذاب الله، من ذكر الله[٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[٤]، أي: واذكر ربك في نفسك سرًا وتذللاً وخوفًا من

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

الله تعالى، وأن تسمع نفسك دون غيرك في أوائل النهار وأواخره، ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله. المراد الحض على كثرة الذكر من العبد بالغدو والآصال لئلا يكون من الغافلين. قال المصطفى ﷺ: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**(١).

لقد ذكر الله عز وجل الذكر في آيات كثيرة جداً في القرآن؛ في الأمر به، والنهي عن ضده وهي الغفلة، وتعليق الفلاح بالإكثار منه، والثناء على أهله وحسن جزائهم، وجعل ذكره للذاكر جزاء لذكره له، وأنه أكبر من كل شيء، وختم الأعمال الصالحة به: فختم به عمل الصيام، وختم به الحج، وختم به الصلاة، وختم به الجمعة، وذكر اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته وهم أولوا الألباب، وذكر مصاحبته لجميع الأعمال واقترانه بها وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه بالصلاة والصيام والحج ومناسكه بل هو روح الحج ولُبّه ومقصوده، وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران ومكافحة الأعداء.



أربعة أذكار أحب إلى النبي ﷺ من الدنيا(٢)

قال رسول الله ﷺ: **«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»**(٣).

إن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير أحب إلى رسول الله ﷺ مما طلعت عليه الشمس؛ ذلك لأن هذه الأذكار الأربعة هي أحب الكلام إلى الله؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٠١/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/١٠، ولا إله إلا الله محمد رسول الله، لحمدان الهجادي ٢٢-٣٠، ومعنى لا إله إلا الله، لبدر الدين الزركشي بتحقيق علي القره داغي ٨٢-٨٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب بيان ما يستحب من الأسماء.

سبحان الله:

أي تعالى الله وتقدس وتنزه. فالتسبيح يتضمن التقديس، والتنزيه من كل سوء ومما لا يليق به سبحانه وتعالى من الشريك والولد والصاحبة، والتبرئة من النقائص مطلقًا وسمات الحدوث مطلقًا، فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره.

الحمد لله:

الحمد معناه الثناء الكامل؛ فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا. قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ**»[١]. قال ابن عباس: الحمد لله هو الشكر لله والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أفضل الدعاء: الحمد لله**»[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو - تملأ ما بين السماوات والأرض**»[٣]، قيل: لو قُدِّر ثوابهما جسمًا لملأ ما بين السماوات والأرض، وسبب عظم فضلهما ما اشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله: «**سبحان الله**»، والتفويض والافتقار إلى الله تعالى بقوله: «**الحمد لله**».

لا إله إلا الله:

أي لا معبود بحق إلا الله، وهي كلمة التوحيد والركن الأول من أركان الإسلام وأفضل الذكر، قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله**»[٤]. قيل إن هذه الكلمة فيهما خاصيتان: إحداهما: أن جميع حروفها جوفية: وهي التي يكون مخرج نطقها في الجوف، وليس فيها من الحروف الشفهية التي يكون مخرجها من الشفتين مثل: الباء والفاء والميم؛ للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين. والثانية: أنه ليس فيها حرف ذو نقط بل جميعها متجردة عن النقط؛ إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٦٧.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٩٤.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٩٤.

وهي نفي وإثبات. «**لا إله**» نفي الألوهية عما سوى الله تعالى، «**إلا الله**» إثبات الألوهية له جلَّ جلاله، فهي نافية جميع ما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، ومثبتة العبادة لله وحده؛ لأنه تعالى المستحق للعبادة لذاته.. لذا يلزم قائلها أن ينفي بالفعل ما نفاه بالقول، وأن يثبت بالفعل ما أثبته للحق جلَّ وعلا بالقول؛ لأن الهدف ليس النطق باللسان، بل تحقيق المعنى المشتملة عليه هذه الكلمة المباركة.

وهذه الكلمة شعار المسلمين وعنوانهم البارز.. يحقق بها العبد عبوديته للخالق تبارك وتعالى.. إقرارًا وخضوعًا وتمجيدًا له جلَّ وعلا.. بها تشرق النفس وتسمو.. فترتبط بمن خلقها سبحانه وتعالى.. وبها يعلن المرء إسلامه وانضمامه إلى المؤمنين بالله رب العالمين.. والمطيعين أمره.. المتمسكين بحبله المتين.. المعتمدين عليه سبحانه وتعالى.. المفوضين أمرهم له جلَّ وعلا..

الله أكبر:

أي أن الله تعالى هو أكبر من كل شيء. ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال: الله أكبر؛ أي: صفة بأنه أكبر من كل شيء. قال الشاعر:

رأيت الله أكبر كل شيء ... محاولة وأكثرهم جنودًا

وكان النبي ﷺ إذا دخل في الصلاة قال: «**الله أكبر**». وقال عمر بن الخطاب: قول العبد الله أكبر خير من الدنيا وما فيها.

يحب النبي ﷺ سماع القرآن من غيره

عن عبد الله رضي الله عنه قال: «قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**». قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»[1]. وفي رواية: فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[2] قال: «**حسبك الآن**»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان»[3].

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من أحبَّ أن يستمع القرآن من غيره.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك.

القرآن[١]:

القرآن كتاب الله الكريم المنزل على رسول الله محمد ﷺ بلسان عربي مبين، وهو آخر كتب الله وخاتمها، ومعجزة محمد ﷺ العظمى الباقية المستمرة التي اختص بها دون غيره، الذي تكفل الله بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢]، الكتاب الذي تحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله، الكتاب الذي يشفي من الأمراض القلبية والبدنية كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾[٣]، فالقرآن يشفي ما في القلوب من شرك ونفاق وشك وزيغ وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وإذا سمعه انتفع به وحفظه ووعاه، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وكفرًا ولا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه. والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٥].

وهو الكتاب الذي يجعل من تعلّمه وعلّمه من خير الناس كما قال النبي ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[٦]، وفضائل القرآن كثيرة جدًا، وأجر من حفظه وقرأه وتدبره وسمعه وبكى له عظيم جدًا لا يحصيه إلا الله تعالى:

---

(١) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٠-٢٨٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٦٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة فُصلت، الآية: ٤٤.

(٥) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤-١٢٥.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

فأجر من يحفظ القرآن ويقرأه كما قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**[١].

وهو كما قال ﷺ: **«مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها»**[٢]. إن من أسباب حفظ كتاب الله تعالى في القلوب المداومة على تلاوته، والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه.

أما الذي يسمع القرآن ويبكي لسماعه فقد مدحه الله في كتابه الكريم فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾** إلى قوله **﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾**[٣]. وقوله تعالى: **﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾**[٤]. والبكاء عند قراءة القرآن أو عند سماعه شعار الصالحين وصفة للعارفين. ويمكن تحصيل ذلك بإحضار القلب الحزن والخوف بتأمل ما في القرآن من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ثم النظر إلى التقصير في ذلك، فإن لم يحضر القلب حزن أو خوف فالبكاء على فقد ذلك وأنه من أعظم المصائب.

ولأجل حفظ القرآن وتلاوته وسماعه لا بد من:

- **فهم أصل الكلام** وعظمته وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهام خلقه.
- **إحضار في القلب عظمة المتكلم** وبأن هذا الكلام ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله تعالى وسماعه غاية الخطر، ثم تعظيم كلام الله عز وجل.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٨.

- **حضور القلب وترك حديث النفس**، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه أو يسمعه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه.

- **التدبر**: فالمقصود من قراءة القرآن وسماعه التفكر بالكلام.

- **التفهم**: وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل، وذكر أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف هلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار. فيتأمل معاني ذلك ويتفهمه حتى ينكشف له أسراره. ومن الأسباب المعينة على فهم كلام الله عز وجل ومعرفة معانيه ومقصوده المثابرة على قراءة كتب التفسير وأسباب النزول.

- **التخلي عن موانع الفهم**: ومن ذلك الإصرار على ذنب أو الاتصاف بالكبر أو الابتلاء بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وكلما كانت الشهوات أشد تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجابًا، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه.

- **التخصيص**: وهو أن يقدِّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدَّر أنه المأمور والمنهي، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن المقصود هو الاعتبار بذلك.

- **التأثر**: وهو أن يتأثر بقلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات؛ فيخاف عند الوعيد، ويستبشر ويرجو عند الوعد بالمغفرة، ويستشعر عظمة الله عند ذكر الله وصفاته وأسمائه، وينبعث بباطنه شوقًا إلى الجنة عند ذكرها، وترتعد فرائصه خوفًا من النار عند وصفها، وهكذا..

سورة أحب إلى النبي ﷺ مما طلعت عليه الشمس

قال رسول الله ﷺ: **«لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»**. ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1][2].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

سورة الفتح [١]:

سورة الفتح هي سورة مدنية، وترتيبها في القرآن الثامنة والأربعون، وعدد آياتها تسع وعشرون آية. نزلت سورة الفتح في الطريق بين مكة والمدينة عند انصراف رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام فيقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب عليه السلام؛ فلما نحر هديه حيث أُحصر ورجع أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية.

لقد حصل بسبب صلح الحديبية خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان. قال الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ هو فتح الحديبية، لقد أصاب رسول الله ﷺ بصلح الحديبية ما لم يُصب في غزوة: غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال الزهري: لقد كان الحديبية أعظم الفتوح؛ وذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربع مئة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف.

فلأجل هذا الخير وغيره مما تضمنته سورة الفتح فإنها تستحق أن تكون أحب إلى رسول الله ﷺ مما طلعت عليه الشمس.



(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/١٩٦، ١٩٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١٧٣.

آية أحب إلى النبي ﷺ من الدنيا جميعاً[١]

عن أنس بن مالك أنه لما نزلت ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: **«لقد أنزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعاً»**[٢]، وفي رواية: **«أحب إليَّ مما على الأرض»**[٣].

إن هذه الآية هي من خصائص رسول الله ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد غيره، إذ ليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ. وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة.

ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة: **«حبسها حابس الفيل»**. ثم قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يُعظِّمون فيها حُرُمات الله إلا أعطيتهم إياها»**[٤]، فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم، ويثبتك على الهدى إلى أن يقبضك إليه ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٥] أي غالباً منيعاً لا يتبعه ذل؛ فبسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح **«وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**[٦]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما عاقبت أحداً عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه.

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٨/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٥/١٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٠١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط.

(٥) سورة الفتح، الآيات: ١-٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.

عن أنس رضي الله عنه قال: أُنزلت على النبي ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «**لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض**». ثم قرأها النبي ﷺ عليهم، فقالوا هنيئًا مريًا يا رسول الله، لقد بين لك الله ماذا يُفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1][2].

آية أحب إلى النبي ﷺ من الدنيا[3]

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية** ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4] فقال رجل: يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال: «**إلا من أشرك**» ثلاث مرات[5].

قال الله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ إنها آية أحب إلى النبي ﷺ من الدنيا وما فيها؛ وكيف لا تكون كذلك وفيها دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وعدم القنوط من رحمة الله، وإخبار بأن الله - تبارك وتعالى - يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.

فلو كان أحد العصاة يمتلك ما في الأرض جميعًا بل ضعفها لافتدى به من عذاب الله تعالى كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٠١.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦٣-٦٤، وفتح الباري للعسقلاني ٨/٥٥٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/١٧٥.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٢٢٦٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١]، بل يود أن يفتدي بأكثر من ذلك في مقابل أن ينجو من العذاب كما قال تعالى: **﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾**[٢]؛ ولكن ذلك غير مقبول منه في الآخرة، وقد طلب الله منه أقل من ذلك بكثير في الدنيا قبل الموت وقبل إغلاق باب التوبة ولكنه لم يستجب ولم يفعل. قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب شر منزل. فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب نعم، فيقول: كذبت، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار**»[٣].

ولهذا فإن مصير من لم يفعل ولم يستجب لأوامر الله هو كما قال تعالى: **﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[٤]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٥]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾**[٦]، وقال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**[٧].

وبعد أن ذكر الله تعالى هذه الحقيقة التي تكون في يوم القيامة قال: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾** الآية؛ حتى يغتنم الإنسان فرصة وجوده في الدنيا فيؤمن بالله وحده ويتوب إليه من قبل أن يأتي يوم لا ينفع

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٧.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١١-١٤.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٣٠٩٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٧) سورة يونس، الآية: ٥٤.

فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؛ فهذه الآية إذًا خير من الدنيا وما فيها. قال علي بن أبي طالب: ما في القرآن أوسع من هذه الآية. وقال عبد الله بن عمر: هذه أرجى آية في القرآن. ووصفها عبد الله بن مسعود بأنها: أكثر آية في القرآن فرحًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحَسن، لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة. فنزل ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾[1] ونزل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[2] وعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصا له فقال: يا رسول الله، إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي؟ قال: **«ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟»** قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله، قال: **«قد غفر لك غدراتك وفجراتك»**[3].

فهذه الأحاديث وغيرها دالة على أن المراد أن الله عز وجل يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[4]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[5]، وقال جلَّ وعلا في حق المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، وقال جلَّت عظمته: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[7]، والآيات في هذا كثيرة جدًا.

وقال رسول الله ﷺ: **«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له**

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾
(٣) مسند أحمد، رقم: ١٩٣٢٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.
(٥) سورة النساء، الآية: ١١٠.
(٦) سورة النساء، الآيتان: ١٤٥-١٤٦.
(٧) سورة الرعد، الآية: ٦.

من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم فقال إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملَك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيراً ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء، من قال أنا ربكم الأعلى، وقال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[3]، قال ابن عباس: من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل. ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه.

فانظر إلى عظيم رحمة الله تعالى ومغفرته، إذ يفعلون ما يفعلون في حق الله وهو تعالى يدعوهم إلى التوبة والمغفرة؛ ولهذا حثَّ الله - تبارك وتعالى - عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[4]، أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له وبادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة، واتبعوا القرآن العظيم من قبل أن يأتيكم العذاب من حيث لا تعلمون ولا تشعرون. قال ابن حجر العسقلاني: والمشهور عند أهل السنة أن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الزُّمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

الذنوب كلها تغفر بالتوبة، وأنها تغفر لمن شاء الله ولو مات على غير توبة، لكن حقوق الآدميين إذا تاب صاحبها من العود إلى شيء من ذلك تنفعه التوبة من العود، وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه أو محاللته منه. نعم في سعة فضل الله ما يمكن أن يعرض صاحب الحق عن حقه ولا يعذب العاصي بذلك، ويرشد إليه عموم قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١)، والله أعلم.

يحب النبي ﷺ أن تصيبه وأمته خاتمة سورة البقرة

قال رجل: يا رسول الله، أي سورة القرآن أعظم؟ قال: «**قل هو الله أحد**»، قال: فأي آية في القرآن أعظم؟ قال: «**آية الكرسي ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**»، قال: فأي آية يا نبي الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال: «**خاتمة سورة البقرة، فإنها من خزائن رحمة الله من تحت عرشه أعطاها هذه الأمة، لم تترك خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه**»(٢).

إن النبي ﷺ يحب أن تصيبه وأمته خاتمة سورة البقرة وهي الآيتان الأخيرتان منها، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٣).

وقد ورد في صحيح مسلم أن هاتين الآيتين أعطيت للنبي ﷺ مع الصلوات الخمس لما أسري به إلى السماء؛ فعن عبد الله قال: «لما أُسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨، ١١٦.

(٢) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٨٥-٢٨٦.

الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهبط به من فوقها فيُقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾(١) قال: فَراش من ذهب، قال: فأُعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات»(٢).

أما سبب نزولهما فعن أبي هريرة قال: «لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣) قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب فقالوا: أي رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: **«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»**. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم. ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم»(٤).

أما تفسيرهما(٥)؛ فهما إخبار عن رسول الله ﷺ والمؤمنين بأنهم آمنوا بما أُنزل إلى الرسول من ربه، ويؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد

---

(١) سورة النجم، الآية: ١٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس.

(٥) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٥٠-٣٥١.

الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارّون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين. وقوله ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ سؤال للمغفرة والرحمة واللطف، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع والمآب يوم الحساب، ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ أي لا يكلف أحد فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ أي هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان، وقوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي من شر وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف. ثم قال تعالى مرشدًا عباده إلى سؤاله وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تركنا فرضًا على جهة النسيان أو فعلنا حرامًا، كذلك أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي. وقد تقدم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: نعم**»، وفي حديث آخر «**قال الله: قد فعلت**»، وقوله ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم التي بعثت نبيك محمدًا ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السمح، وفي الحديث السابق: «**قال الله: نعم**» وفي حديث آخر «**قال الله: قد فعلت**»، وقوله ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي من التكليف والمصائب والبلاء، لا تبتلنا بما لا قبل لنا به، وقوله ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة ﴿وَارْحَمْنَا﴾ أي فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر، وقد تقدم «قال الله: نعم» و«قال الله: قد فعلت»، وقوله ﴿ أَنتَ مَوْلانَا﴾ أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت

المستعان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة، «**قال الله: نعم**» و«**قال الله: قد فعلت**».

أما عن فضل هاتين الآيتين الكريمتين خاتمة سورة البقرة فكما أخبر رسول الله ﷺ عنها لم تترك خيرًا من خير الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه؛ ولهذا فإن من قرأهما في ليلة كفتاه، قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»(١)، قيل: معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، ويحتمل من الجميع.

وقال ﷺ: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دارٍ ثلاث ليال فيقربها شيطان**»(٢).

وعن ابن عباس قال: «**بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملَك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتَهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة؛ لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته**»(٣).

أحب الدين إلى النبي ﷺ أدومه

عن عائشة أنَّ النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «**مَنْ هذه؟**» قالت: فلانة - تذكُرُ من صلاتها - قال: «**مَهْ، عليكم بما تُطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا**». وكان أحبَّ الدِّينِ إليه مادام عليه صاحبُه(٤). والمراد بالدين: العمل.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٣١١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه.

العمل الدائم[١]:

إن العمل الدائم أحب إلى النبي ﷺ؛ لأنه أحب إلى الله تعالى كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**»[٢]؛ وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: «**أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قالت: الدائم**»[٣]. وقالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا عَمِلَ عملاً أثْبَتَه**»[٤]، وقالت: «**كان عمله ديمة**»[٥].

إن المداومة على عمل من أعمال البر ولو كان مفضولاً أحب إلى النبي ﷺ من عمل يكون أعظم أجرًا لكن ليس فيه مداومة. والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازى بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم الخدمة مثلاً ثم انقطع. وأيضاً فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات.

لقد نبَّه رسول الله ﷺ المسلمين إلى أن جهاد النفس بالأعمال الصالحة إلى حد المغالبة غير مطلوب؛ لأن الدين يسر كما قال ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوة والرَّوحة وشيء من الدُّلجة**»[٦] أي دين الإسلام ذو يسر، أو سمى الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم. ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم؛ والمشادَّة المغالبة، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب. قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٦/٧١، وفتح الباري للعسقلاني ١/ ٩٣-٩٤، ١٠٢، ١١/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يخص شيئًا من الأيام.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

ثم وجه رسول الله ﷺ نداءً للمسلمين بأن يشتغلوا من الأعمال بما يستطيعون المداومة عليه، والاقتصار على ما يطاق من العبادة وعدم تكلف ما لا يطاق؛ فقال ﷺ: «**يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل**»[1]، أي عليكم من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر. وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحًا فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم، وقد ذم الله - سبحانه وتعالى - من اعتاد عبادة ثم أفرط.

وقوله ﷺ: «**وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل**»؛ فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة.

يحب النبي ﷺ الجهاد

قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأحببت أن لا أتخلف خلف سرية**»[2]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب**

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله»[١].

الجهاد[٢]:

الجهاد أصله لغة المشقة، يقال: جهدت جهادًا بلغت المشقة. وشرعًا بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق. فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب.

فأما ما يعنيه رسول الله ﷺ ويعنينا في هذا المقام هو الجهاد في سبيل الله وقتال الكفار وبذل النفس في ذلك، وهذا من أحب الأعمال إلى الله؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: **«الصلاة على وقتها»**. قال: ثم أي؟ قال: **«ثم بر الوالدين»**. قال: ثم أي؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»**[٣].

إن من فضل الجهاد في سبيل الله أن الجهاد لا يعدله شيء من الطاعات، وقد «قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ؟ قال: **«لا تستطيعونه»**. قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: **«لا تستطيعونه»**. وقال في الثالثة: **«مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»**[٤]. وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد؛ لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يقدر عليه أحد؛ ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب تمني الشهادة.

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٦/٣، ١٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٣/٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب البر والصلة.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الشهادة في سبيل الله تعالى.

قال ﷺ: **«لا تستطيعونه»**. فالجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك.

كما أن الذي يخرج للجهاد في سبيل الله لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى؛ فهذا من أفضل الناس، فقد «قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**[(١)]، وقد تكفل الله له بأن يدخله الجنة إذا استشهد، أو يرجعه إلى بيته مع ما نال من أجر إذا لم يغنم، أو أجر وغنيمة إذا غنم؛ قال رسول الله ﷺ: **«تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة»**[(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسَّه النار»**[(٣)]، وقال ﷺ: **«لا يجتمع غبار في سبيل الله عزَّ وجلَّ، ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً»**[(٤)]، وقال ﷺ: **«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها. وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغَدْوة خير من الدنيا وما عليها»**[(٥)]، الغدوة المرة الواحدة من الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها، وذلك للجهاد في سبيل الله. والمراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله. والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات، والنكتة في ذلك أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله.

(٤) صحيح سنن النسائي، رقم: ٢٩١٦.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

الدنيا فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا. قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»**[1].

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[2].

وفضل الجهاد في سبيل الله لا يقتصر على من يخرج بنفسه مجاهدًا وغازيًا بل إن من جهز غازيًا وهيأ له أسباب سفره فقد غزا، ومن خلف الغازي في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم فقد غزا؛ قال رسول الله ﷺ: **«من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا»**[3]، فمن فعل ذلك فهو مثل الغازي في الأجر وإن لم يغز حقيقة، قال ﷺ: **«من جهز غازيًا في سبيل الله، كان له مثل أجره. من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئًا»**[4].

يحب النبي ﷺ الشهادة

قال رسول الله ﷺ: **«لأن أُقْتَلَ في سبيل الله، أحبُّ إليَّ من ان يكون لي أهل الوبر والمدر»**[5]. أي أهل البوادي والمدن والقرى.

لقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ولنشر الإسلام؛ وكان ﷺ يتمنى الشهادة ولأن يُقتل في سبيل الله مرات ومرات أحب إليه من الدنيا وما فيها.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.
(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير.
(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٢٢٩.
(٥) صحيح سنن النسائي، رقم: ٢٩٥٥.

وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أقتل»**(١).

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**(٢).

لقد اشترى الله عز وجل من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك. وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوَّض ولا يقاس به. وبيَّن سبحانه وتعالى الأمر الذي يقاتل له وعليه، وهو **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**.

فالجنة ليست لمن هب ودب وادَّعى أنه قاتل في سبيل الله أو سُمِّي شهيدًا. بل هي لمن يعلم الله حقيقة سره ونيته أنه ما أخرجه المخرج وحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق، وأنه قاتل في سبيل الله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، قال رسول الله ﷺ: **«لا يُكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون الدم والريح ريح المسك»**(٣). فالجملة المعترضة **«والله أعلم بمن يُكلم في سبيله»**، فيها أن الثواب المذكور خاص بمن أخلص في الغزو وقاتل في سبيل الله، وفيها إشارة إلى أن هناك من يدَّعي أنه جُرح في سبيل الله وهو ليس كذلك؛ لأن الله أعلم بمن يُجرح في سبيله، فقد يكون خروجه لأجل المغنم أو لإظهار الشجاعة، أو رياء، أو حمية، أو غضبًا.

أما الذي يخرج للجهاد في سبيل الله لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى؛ فهذا قد تكفل الله له بأن يدخله الجنة إذا استشهد، ويجيء يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب تمني الشهادة.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

ومعه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى وهو جرحه الذي ينزف ويتفجر دمًا ورائحته رائحة المسك.

كما أنه ليس هناك ميت له عند الله خير يتمنى الرجوع إلى الدنيا ولو كان له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى الرجوع إلى الدنيا فيُقتل، وهو يتفرد بهذه الميزة لما يرى من الكرامة وفضل الشهادة وعظيم أجرها عند الله تعالى. وقد قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل مرة أخرى**»(١). فليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد؛ فلذلك عظم فيه الثواب، وتمنى الشهيد الرجوع إلى الدنيا ليُقتل عشر مرات في سبيل الله كما في الرواية الأخرى أن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**»(٢).

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٣)، وقد سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلَع إليهم ربهم اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتْرَكوا من أن يُسْألوا قالوا: يا رب، نريد أن تَرُدَّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكوا**»(٤). فالله عز وجل يسأل الشهيد إذا كان يشتهي شيئًا، وهذا مبالغة في إكرامه وتنعيمه إذ أعطاه الله ما لا يخطر على قلب بشر ثم رغبه في سؤال الزيادة فلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحور العين وصفتهن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩-١٧١.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.

يجد مزيداً على ما أعطاه فسأله – حين رآه أنه لا بد من سؤال – أن يرجع روحه إلى جسده ليجاهد ويبذل نفسه في سبيل الله تعالى ويستلذ بالقتل في سبيله.

إن الإنسان إذا جاءه الموت عاني من سكراته وشدته، وعانى من آلام إخراج روحه من جسده، ولكن موت الشهيد شيء مختلف؛ فالشهيد عند موته قتلاً لا يشعر إلا كما يشعر أحدنا من ألم القرصة؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**»(١).

كما أن للشهيد عند الله ست خصال، قال ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يُغْفَرُ له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزَوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»(٢).

إن هذا الفضل العظيم والأجر الكبير للشهادة ليشمل حتى مَن لم يمت شهيداً ولكنه تمنى الشهادة صادقًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تُصبه**»(٣) ومعنى ذلك فُسِّر برواية أخرى: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغَه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٤)، ومعناهما جميعًا أن من يسأل الشهادة بصدق يعطى من ثواب الشهداء وإن مات على فراشه ولم تصبه الشهادة.



يرضى النبي ﷺ أن يُصلِّي الله على من يصلِّي عليه

قال رسول الله ﷺ: «**إن مَلَكًا أتاني فقال: إن ربك يقول لك: أما ترضى أن لا يصلِّي عليك أحد من أُمَّتك إلا صليتُ عليه عشراً، ولا يُسَلِّم عليك إلا سلَّمتُ عليه عشراً؟ قلت: بلى**»(٥).

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٣٦٢.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٣٥٨.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى.
(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢١٩٨.

السلام على النبي ﷺ:

السلام على النبي ﷺ هو: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وهو السلام الذي يقال في التشهد في الصلاة، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله هو السلام، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه إذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم يتخير بعد من الكلام ما شاء»**(١). أي يدعو لنفسه بما يعجبه من الدعاء.

الصلاة على النبي ﷺ:

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**(٢). قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. وقيل: معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا اللهم صلِّ على محمد: عظِّم محمداً. والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى **﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾** ادعوا ربكم بالصلاة عليه. ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه فإنه لا يمتنع أن يُدعى لهم بالتعظيم، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به(٣).

لقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا. وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب السلام اسم من أسماء الله تعالى.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١١/١٥٦.

(٤) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٥١٤.

أما عن كيفية الصلاة على النبي ﷺ فقد جاءت كيفيات متعددة منها: عن كعب بن عجرة قال: إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**(١)، وعنه أيضًا قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلِّم؟ قال: **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**(٢).

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلِّي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»**(٣).

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»**(٤). وهذه الصلاة هي الأكثر استعمالاً في التشهد الأخير في الصلاة.

أما عن المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ فهي كثيرة، منها:

- بعد الأذان؛ عقب إجابة المؤذن. **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ١٠.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ١٠.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٥٧٢.

الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»(١).

- عند الدخول إلى المسجد والخروج منه؛ فيقول عند الدخول: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد واغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. وعند الخروج يقول بمثل ذلك غير أنه يقول: اللهم إني أسألك من فضلك. قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»**(٢).

- في جلوس التشهد الأخير في الصلاة؛ بعد التشهد وقبل الدعاء.

- في الدعاء؛ في الصلاة وغيرها؛ فيبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلِّي على النبي ﷺ، ويختم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ. فقد سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، فلم يصلِّ على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: **«عَجِلَ هذا»** ثم دعاه، فقال له أو لغيره **«إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليُصَلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدْعُ بعد ما شاء»**(٣). وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: **«إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم»**(٤).

- في يوم الجمعة؛ فيستحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ لقوله ﷺ: **«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ»** قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرِمْتَ؟ يقولون بليت، فقال: **«إن الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء»**(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٤٠.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٦٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٤٠٣.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٩٢٥.

- في الصلاة على الجنائز؛ بعد التكبيرة الثانية.
- في آخر دعاء القنوت.
- في الخطب والمحاضرات والكلمات ونحوها.
- في المجالس؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في مجلس فتفرقوا، ولم يذكروا الله، ويصلوا على النبي ﷺ، إلا كان مجلسهم تِرَةً عليهم يوم القيامة**»(١).
- في الرسائل والكتب.
- عند ذكر اسم النبي ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنف رجل ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ**»(٢)، وقال ﷺ: «**البخيل الذي مَن ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ**»(٣). وأكثر الصلاة على النبي ﷺ استعمالاً عند ذكر اسمه في الكتابة أو الكلام هي: «**صلى الله عليه وسلم**».

وبالجملة فإن الصلاة على النبي ﷺ يمكن قولها وتكرارها في كل وقت، وفي أي بلد من البلدان، وهي تبلغ النبي ﷺ أينما كان الإنسان الذي صلَّى عليه؛ قال النبي ﷺ: «**وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(٤)، ويمكن الإكثار منها وتكرارها واتخاذها وردًا حتى وإن كانت بلفظ «**اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد**»(٥) أو «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**». وفي ذلك الأجر العظيم والفضل الكبير. عن أبي بن كعب قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئت**». قلت: الربع؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**». قلت: فالنصف؟ قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير**». قلت: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير**». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذاً تُكْفَى همَّك ويُغْفَرُ لك ذنبك**»(٦).

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٥١٠.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨١٠.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨١١.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٧٩٦.
(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٦٦.
(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٩٩.

أما فضل الصلاة على النبي ﷺ فهو عظيم جدًا، وكفى بمن صلَّى على النبي ﷺ مرة واحدة أن يصلِّي الله عليه بها عشر مرات كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام: **«من صلَّى عليَّ واحدة صلَّى الله عليه عشرًا»**(١). وقال عليه الصلاة والسلام: **«من صلَّى عليَّ واحدة، صلَّى الله عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»**(٢). وقال ﷺ: **«من صلَّى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تُصلِّي عليه ما صلَّى عليَّ، فليُقلِ عبد من ذلك أو ليُكْثِر»**(٣).

وقال النبي ﷺ: **«ما من أحد يسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام»**(٤).



يحب النبي ﷺ جوامع الدعاء(٥)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك»**(٦).

كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء؛ وهي الجامعة لخير الدنيا والآخرة، وهي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا، كما في قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**(٧). وقوله تعالى: **﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾**(٨). ومثل الدعاء بالعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٣٥٩.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٢٠، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٧٩٥.

(٥) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ٤/٢٤٧، ٢٤٩، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٩/٢٢١، ١٠/٤٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٠٩.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣١٥.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٨.

قال علي القاري: هي التي تجمع الأغراض الصالحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة.

وقال المظهر: هي ما لفظه قليل ومعناه كثير شامل لأمور الدنيا والآخرة نحو اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، وكذا اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، ونحو سؤال الفلاح والنجاح.

وكان ﷺ يترك ما سوى ذلك مما لا يكون جامعًا، بأن يكون خاصًا بطلب أمور جزئية: كارزقني زوجة حسنة، فإن الأولى والأحرى منه: ارزقني الراحة في الدنيا والآخرة فإنه يعمها وغيرها.

الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة، قال ربكم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[1]»[2]. أي هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه، قائمًا بوجوب العبودية معترفًا بحق الربوبية، عالمًا بنعمة الإيجاد، طالبًا لمدد الإمداد على وفق المراد وتوفيق الإسعاد.

لقد أمر الله تعالى عباده بأن يدعوه وحضهم على الدعاء وسماه عبادة، ووعدهم بأن يستجيب لهم، وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعوة من دعاه؛ ويستحي أن يرد يدي عبده خاليتين؛ قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**[3]. وقال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً**»[4].

بل إن الله – جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه – يغضب على من لا يدعوه ويسأله، قال رسول الله ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»[5]؛ ذلك لأنه «**ليس شيء**

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٢٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٦.

أكرم على الله من الدعاء»[1]؛ لأن الدعاء فيه إظهار الفقر والعجز والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته، وما شُرعت العبادة إلا للخضوع للبارئ وإظهار الافتقار إليه، أما ترك الدعاء والسؤال فإنه تكبر واستغناء وهذا لا يجوز للعبد، ونِعم ما قيل: الله يغضب إن تركت سؤاله وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب. قال الطيبي: وذلك لأن الله يحب أن يُسأل من فضله، فمن لم يسأل الله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه لا محالة.

وقد يسأل سائل: فما للداعي يدعو فلا يُجاب؟ قيل: إن العبد إذا دعا ربه ولم يكن في دعائه واحد من موانع الإجابة الثلاثة فالاستجابة مؤكدة بواحد من شيئين؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يُعجَّل له في الدنيا، وإما أن يدَّخر له في الآخرة، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل**» قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: «**يقول: دعوت ربي فما استجاب لي**»[2].

فقول: «دعوت ربي فما استجاب لي» هو إما استبطاء أو إظهار يأس وكلاهما مذموم، أما الأول فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، مع أن الإجابة على أنواع منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب، ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شر بدله أو عطاء خير آخر خير من مطلوبه، ومنها إدخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه.

قلت: فأما الإجابة التي لها وقت معين ومن نوع تحصيل المطلوب في وقت آخر بسبب حكمة اقتضت تأخيره؛ فقد حصل معي من ذلك مرات كثيرة وبمدد تأخير متفاوتة، وأكتفي بذكر واحدة من هذه المرات لأخذ العبرة منها. فقد دعوت الله عز وجل أن يحقق لي أمرًا ما، وتكرر الدعاء مني حتى أصبح وردًا يوميًا ثابتًا في دبر الصلوات الخمس المفروضة، والصلوات الراتبة، وفي السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي ثلث الليل الأخير وغيرها من الأوقات التي لا يُرد فيها الدعاء ويُستجاب، أي

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٤.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٥٢.

تكرار الدعاء بما لا يقل عن عشر مرات يوميًا. وثابرت على ذلك وأنا موقن بالإجابة حتى حقق الله تعالى ما أريد وأكثر مما طلبت ولله الحمد والمنة، ولكن متى؟ بعد أربع سنوات، وبعد تكرار الدعاء فيها بما لا يقل عن أربع عشرة ألف مرة. وفي الوقت الحاضر ما زلت أكرر دعاء بدأته منذ أكثر من تسع سنين، فإن لم تتحقق الإجابة بوجود عين المطلوب فمن المؤكد أنه يوجد البديل له مثل: دفع شر أو عطاء خير آخر خير منه أو إدخاره ليوم أكون أحوج إلى ثوابه. أما الإجابة التي من نوع تحصيل المطلوب في الوقت المطلوب فقد حصل لي من ذلك مرات لا تحصى.

والمطلوب من الداعي ألا يمل من الدعاء، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، وأن يكون موقنًا بالإجابة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**»[١]، وأن يجتنب موانع إجابة الدعاء كالأشياء الثلاثة الآنفة الذكر، ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه؛ قال ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك**»[٢]، أي من أين يُستجاب لمن هذه صفته وكيف يُستجاب له. وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

كذلك لا يعتدي في دعائه بذكر ألفاظ غير جائزة مثل: اللهم إن شئت، قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له**»[٣]. وفي الحديث أيضًا أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله فإنه يدعو كريمًا. وقد قال ابن

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٦٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لا مُكره له.

عيينة: لا يمنعن أحدًا الدعاء ما يعلم في نفسه - يعني من التقصير - فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: رب فأنظرني إلى يوم يُبعثون. قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾(١).

وعليه أن يعلم أن للدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك كثلث الليل الآخر، وما بين الأذان والإقامة، وفي السجود، ويوم الجمعة، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وغير ذلك من أوقات الإجابة. وأن يلح في الدعاء كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث كان يستحب أن يكرر الدعاء ثلاث مرات، فعن عبد الله بن مسعود، قال: وكان يستحب ثلاثًا يقول: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش**»(٢). وأخيرًا لا ينسى الداعي أن أقل ما في الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر بالدعاء الذي هو العبادة.



يعجب النبي ﷺ: إخراج أهله يوم العيد

عن ابن عباس قال: «**كان رسول الله ﷺ يعجبه في يوم العيد أن يُخرج أهله، قال: فخرجنا فصلى بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب الرجال، ثم أتى النساء فخطبهن، ثم أمرهن بالصدقة، فلقد رأيت المرأة تلقي تومتها وخاتمها، تعطيه بلالاً يتصدق به**»(٣).

خروج المرأة لصلاة العيد:

لقد بيَّن رسول الله ﷺ أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، إلا صلاة العيد فقد كان ﷺ يعجبه أن يُخرج أهله وأن يُخرج المسلمون أهليهم إلى صلاة العيد، بل بلغ ترغيب النبي ﷺ بحضور النساء صلاة العيد أن أمر بإخراج الحائض من النساء لتشهد الخير ودعوة المؤمنين على أن تعتزل المصلى،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٧. سورة ص، الآية: ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٣٢١٥، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

حتى ولو لم يكن للمرأة لباس تخرج به إلى العيد فقد أمر النبي ﷺ أن تستعير لباسًا من صاحبتها.

فعن حفصة قالت: كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن في العيدين، فقدمت امرأة فنزلت قصر بني خلف فحدَّثت عن أختها - وكان زوج أختها غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة، وكانت أختي معه في ست - قالت: كنا نداوي الكَلمى، ونقوم على المرضى، فسألت أختي النبي ﷺ: أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ قال: **«لِتُلْبِسْها صاحبتها من جلبابها، ولْتَشهد الخير ودعوة المسلمين»**، فلما قدمت أم عطية سألتها: أسمعت النبي ﷺ؟ قالت: بأبي نعم - وكانت لا تذكره إلا قالت «بأبي» - سمعته يقول: **«يخرج العواتق وذوات الخدور - أو العواتق ذوات الخدور - والحُيَّض، وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين، ويعتزل الحُيَّضُ المصلَّى»**. قالت حفصة: فقلت: «آلحُيَّض»؟ فقالت: أليس تشهد عرفة وكذا وكذا؟»[1]، العواتق جمع عاتق وهي من بلغت الحلم، أو قاربت البلوغ، أو استحقت التزويج، أو هي الكريمة على أهلها، أو التي عتقت عن الامتهان في الخروج للخدمة. والخدور البيوت، وقيل: الخدر ستر يكون في ناحية البيت.

وعن أم عطية قالت: **«كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نُخرج البكر من خدرها، حتى نُخرج الحُيَّض فيكنَّ خلف الناس فيُكبِّرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطُهرته»**[2].

ففي مثل هذا الاجتماع في صلاة العيدين الفطر والأضحى إظهار شعار الإسلام وتعميم البركة على الجميع، ولكن هناك شروط لخروج المرأة إلى صلاة العيد؛ فمن هذه الشروط:

أن تلبس الحجاب الساتر الكامل، وأن يؤمن عليها وبها الفتنة، ولا يترتب على حضورها محذور، ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع، ولا تتزين، ولا تلبس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين، ويعتزلن المصلَّى.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة.

خلاخل يُسمع صوتها، ولا ثياب فاخرة، ولا تخرج متطيبة أو متعطرة لقول رسول الله ﷺ: **«إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا»**[١]، ونهى ﷺ المرأة عن حضور المسجد إذا تطيبت أو أصابت بخورًا، فقال ﷺ: **«أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»**[٢]. فإن لم تلتزم المرأة بهذه الشروط كانت صلاتها في بيتها أفضل.

فقد كره بعض العلماء خروج المرأة إلى صلاة العيد بسبب عدم التزام بعض النساء بهذه الشروط؛ وروي عن ابن المبارك أنه قال: أكره اليوم الخروج للنساء في العيدين، فإن أبت المرأة إلا أن تخرج فليأذن لها زوجها أن تخرج في أطمارها ولا تتزين، فإن أبت أن تخرج كذلك، فللزوج أن يمنعها عن الخروج. ويروى عن سفيان الثوري: أنه كره اليوم الخروج للنساء إلى العيد[٣].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: **«لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل»**[٤]. ما أحدث النساء؛ يعني من الزينة والطيب وحسن الثياب والله تعالى أعلم.



يحب النبي ﷺ الجماعة[٥]

عن جابر بن سمرة، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وهم حلَق فقال: **«ما لي أراكم عِزين»**[٦] عن الأعمش - بهذا - قال: كأنه يحب الجماعة[٧].

الجماعة:

لقد رأى رسول الله ﷺ أصحابه عِزين: أي متفرقين جماعة جماعة، لا يجمعهم مجلس واحد فنهاهم عن التفرق وأمرهم بالاجتماع؛ لأنه ﷺ يحب الجماعة ويبغض

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٤٤٥.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد.
(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٢/٤-١٠٦، ومدارج السالكين لابن القيم ٤٥٨/١، وفيض القدير للمناوي ٤٦٤/٥.
(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٣٨.
(٧) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٣٩.

التفرق، وكيف لا يكون كذلك والله عز وجل يأمر بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق؛ قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]، وقد أنعم الله على عباده إذ كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا وجماعة واحدة؛ لذلك يكره الله ورسوله التفرق والاختلاف وعودة المسلمين مختلفين ومتفرقين إلى جماعات شتى، كل جماعة بما لديهم فرحون، ويظنون أنهم هم الفرقة الناجية المتبعة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وإن مما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾؛ إن حبل الله هو الجماعة؛ والله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفُرقة، فإن الفُرقة هلكة والجماعة نجاة. قال ابن مسعود: عليكم بالجماعة. فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفُرقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني ولا تختلفوا في ذلك الاعتصام كما اختلف أهل الكتاب وكما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم. ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانًا؛ فيكون ذلك منعًا لهم عن التقاطع والتدابر.

وقد أوجب الله تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً؛ وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين. قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق امتي على ثلاث وسبعين ملَّة كلهم في النار إلا ملَّة واحدة**»، قال: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما انا عليه وأصحابي**»[2]. وفي رواية: «**ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**»[3].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢١٢٩.
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٨٤٣.

وكذلك أمر رسول الله ﷺ بلزوم الجماعة وبيَّن خير ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»[١]. وقال ﷺ: «**إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد - على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**»[٢].

وبيَّن ﷺ حقيقة فعل من فارق الجماعة فقال ﷺ: «**من فارق الجماعة شبرًا فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه**»[٣].

وبيَّن ﷺ العاقبة السيئة لمن فارق الجماعة وساهم في تفريقها فقال ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**»[٤].

***

يحب النبي ﷺ مخالفة المشركين

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام ويقول: «**إنهما عيدا المشركين فأنا أحب أن أخالفهم**»[٥].

لقد سن رسول الله ﷺ لأمته مخالفة المشركين في كثير من أمورهم، وأمر بمخالفتهم وعدم اتباعهم والتشبه بهم؛ وليس المشركين فحسب بل اليهود والنصارى والمجوس أيضًا، وهذه قاعدة مهمة في الدين.

فقد أمر رسول الله ﷺ بمخالفة المشركين في هيئة الإنسان؛ ففي اللحية والشارب قال ﷺ: «**خالفوا المشركين، وفروا اللحى وأحفوا الشوارب**»[٦]، وأمر ﷺ بمخالفة

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٧٥٨.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٧٥٩.
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩٨١.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أمورًا تنكرونها».
(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٦٦٢٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار.

اليهود والنصارى في الصبغ فقال ﷺ: **«إن اليهود والنصارى، لا تصبغ، فخالفوا عليهم فاصبغوا»**[١].

وفي الصبغ ولبس السروال والإزار والخف والنعال وقص الشارب وتوفير اللحية قال أبو أمامة: خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال: **«يا معشر الأنصار حمروا وصفروا وخالفوا أهل الكتاب»** قال: فقلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون؟ فقال رسول الله ﷺ: **«تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب»** قال: فقلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: **«فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب»** قال: فقلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم؟ قال: فقال النبي ﷺ: **«قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب»**[٢]؛ سبالكم، أي شواربكم. وعثانينكم، أي لحاكم.

وخالف رسول الله ﷺ المشركين في الإفاضة من مزدلفة في الحج، قال عمر رضي الله عنه: **«إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع حتى تشرق الشمس على ثبير، فخالفهم النبي ﷺ فأفاض قبل أن تطلع الشمس»**[٣].

وأمر رسول الله ﷺ بمخالفة اليهود والصلاة بالخف والنعال فقال ﷺ: **«خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»**[٤].

وأمر ﷺ بمخالفة اليهود في صيام يوم عاشوراء فقال عليه الصلاة والسلام: **«صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً»**[٥].

وهكذا كان رسول الله ﷺ يأمر بمخالفة المشركين والمجوس واليهود والنصارى، حتى إن اليهود تضجروا من مخالفة النبي ﷺ لهم في أمورهم، وقد خالفهم ﷺ في

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٤٦٩٥.
(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٢١٨٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٦٠٧.
(٥) مسند أحمد، رقم: ٢١٤٥، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده حسن.

التعامل مع المرأة الحائض، فعن أنس: إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت[١] فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[٢] إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه[٣].



أحب الأمرين إلى النبي ﷺ

عن حمنة بنت جحش، أنها استحيضت على عهد رسول الله ﷺ. فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إني استحضت حيضة منكرة شديدة. قال لها: «**احتَشي كُرسُفًا**»، قالت له: إنه أشد من ذلك. إني أثج ثجًا. قال: «**تلجَّمي وتحَيَّضي في كل شهر في علم الله ستة أيام أو سبعة أيام. ثم اغتسلي غسلاً، فصلِّي وصومي ثلاثة وعشرين، أو أربعة وعشرين، وأخِّري الظهر وقدِّمي العصر. واغتسلي لهما غسلاً. وأخِّري المغرب وعجِّلي العشاء. واغتسلي لهما غسلاً. وهذا أحب الأمرين إليَّ**»[٤].

فهذه حمنة بنت جحش كانت مصابة بالاستحاضة وهي استمرار نزول الدم في غير مدة الحيض، فوصف لها النبي ﷺ أن تحشي فرجها بالقطن، فأخبرته بأن الدم يجري جريًا شديدًا وهو أكثر من أن ينقطع بالقطن، فأمرها باستعمال الثوب مكانه وبيَّن لها أمرين بهذا الخصوص أيهما فعلت أجزأها، ولكن أحدهما هو الأحب إليه ﷺ:

الأمر الأول: أن تقارن حالها بحال من هي مثلها وفي مثل سنها من نساء أهل بيتها فتجعل لنفسها مدة حيض مثلهن، فإن كانت عادة مثلها أن تقعد ستًا قعدت

---

(١) ولم يجامعوهن في البيوت؛ أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

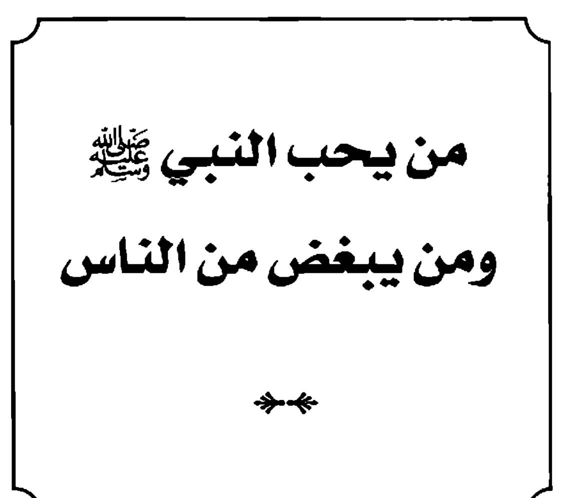
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب جواز قراءة القرآن في حجر الحائض.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٥١٠.

ستًا، وإن سبعًا فسبعًا. وأمرها أن تتحرى وتجتهد وتبني أمرها على ما تيقنته من أحد العددين. وتقعد في هذه الأيام عن الصلاة والصوم وتفعل ما تفعله الحائض. ثم تغتسل بعد هذه الأيام حتى إذا رأت أنها قد تطهرت وتنظفت جيدًا تصلي ثلاثة وعشرين يومًا إن كانت أيام الحيض سبعًا، أو أربعة وعشرين إن كانت أيام حيضها ستًا، وتصوم ما شاءت من تطوع وفريضة، فإن ذلك يجزئها.

الأمر الثاني: أنها بمرور الستة أو السبعة أيام تغتسل للجمع بين صلاتي الظهر والعصر غسلاً واحدًا، بحيث تؤخر الظهر وتقدم العصر، ثم تغتسل وتجمع بين صلاتي المغرب والعشاء، بحيث تؤخر المغرب وتقدم العشاء، ولصلاة الفجر غسلاً على حدة. فهذه ثلاث غسلات في اليوم والليلة مع جمع الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والفجر في وقته على حدة. وهذا هو أحب الأمرين إلى رسول الله ﷺ لكونه أشقهما، والأجر على قدر المشقة، والنبي ﷺ يحب ما فيه أجر عظيم.





من يحب النبي ﷺ ومن يبغض من الناس

من يحب النبي محمد ﷺ ومن يبغض من الناس

تمهيد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

فقد أرسل الله عز وجل محمدًا ﷺ رسولاً إلى الناس أجمعين، ليدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام الذي ارتضاه الله دينًا لعباده أيًا كانوا، عربًا أم عجمًا، بيضًا أم سودًا، ذكورًا أم إناثًا... فمن دخل الإسلام وآمن وعمل صالحًا أحبه الله، وأحبه رسوله ﷺ، وأحبه كل مؤمن، ومن كفر ورفض الإسلام دينًا له أبغضه الله، وأبغضه رسوله ﷺ، وأبغضه كل مؤمن.

ورسول الله ﷺ يحب المؤمنين جميعًا، ويحب من الناس كل من ذكر القرآن أن الله تعالى يحبه مثل: المحسنين، المتقين، المتوكلين، الصابرين، المتبعين لطريقة النبي ﷺ، المقاتلين في سبيل الله، الأذلة على المؤمنين والأعزة على الكافرين، المقسطين، التوابين والمتطهرين.

وكذلك يحب النبي ﷺ من الناس كل من ذكرت الأحاديث الشريفة أن الله عز وجل يحبه مثل: المؤمن القوي، أنفع الناس، الزاهد في الدنيا، العبد التقي الغني الخفي، الحيي العفيف المتعفف، المحب في الله، المجاهد، قائم الليل، الجار الصابر، الرجل السمح، الإمام العادل، المتصدق بالسر، وغيرهم من الناس.

والمؤمنون ليسوا على درجة واحدة من الإيمان بل هم على درجات متفاوتة كل بحسب إيمانه وعمله؛ ولهذا كان صحابة رسول الله ﷺ أحب الناس إلى رسول الله ﷺ؛ لأنهم هم صفوة المؤمنين، وخلاصة المتقين، وهم في أعلى درجات الإيمان والتقوى، لا يدانيهم أحد من الناس جاء بعدهم؛ لأن صحبة رسول الله ﷺ رتبة بحد ذاتها لا يعدلها كثرة صلاة أو صيام أو زهد أو ورع أحد من الناس غيرهم كائنًا من كان، وفضيلة الصحبة ومشاهدة رسول الله ﷺ لا يعدلها عمل. أضف إلى هذا أن

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

الصحابة لم يسبقوا غيرهم بكثرة صلاة أو صيام ولكن بشيء وقر في قلوبهم. قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[١]. وهذا الكلام وُجِّه لرجال مع النبي ﷺ وفي زمنه، فمن الأولى لمن يأتي بعدهم.

وكما أن محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، فإن أصحابه هم أفضل الناس العادين بمن فيهم الذين صحبوا الأنبياء والرسل الذين سبقوا محمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيُفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم**»[٢].

فقد اصطفى الخالق - تبارك وتعالى - صنفًا خاصًا من الناس، هم أفضل الناس معدنًا، وجعلهم أصحاب رسوله محمد ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٣]. وقد أمر رسول الله ﷺ باتباع سنته وسنة خلفائه من الصحابة فقال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٤].

فالصحابة هم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، ومع ذلك فهم أيضًا ليسوا على درجة واحدة من الحب، فحب النبي ﷺ كان لبعضهم أكثر من البعض الآخر؛ ولهذا وردت أحاديث شريفة تقرر حب النبي ﷺ لصحابة معينين دون البعض الآخر، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً».
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٨٥١.

لا يعني أن مَن لم تذكره الأحاديث الخاصة بالحب فإن النبي ﷺ لا يحبه، بل يحبه ويحب كل مؤمن، إلا أن من ذكرته الأحاديث له حب خاص في قلب النبي ﷺ. ومنهجي في هذا الكتاب هو الحديث عن الناس الذين نصَّت الأحاديث الشريفة على حب النبي ﷺ لهم سواء كانوا من الصحابة أو من غيرهم، والتركيز فقط على الأحاديث التي ورد فيها لفظ الحب أو الرضى ونحوه.

وكذلك الأمر بالنسبة للناس الذين لا يحبهم النبي ﷺ أو يبغضهم، فالنبي ﷺ لا يحب كل من ذكر القرآن أن الله تعالى لا يحبه مثل: الكافرين، الظالمين، المعتدين، المفسدين، الخائنين، المستكبرين، المسرفين، الفرحين، المختال الفخور.

وكذلك يبغض النبي ﷺ من الناس كل من ذكرت الأحاديث الشريفة أن الله عز وجل يبغضه مثل: الخوارج، الألد الخصم، مدمن الخمر، الجعظري الجواظ، العالم بالدنيا الجاهل بالآخرة، الفاحش المتفحش، السائل الملحف، الملحد في الحرم، المبتغ سنة الجاهلية، البليغ المتخلل بلسانه، التاجر الحلاف، الفقير المختال، البخيل المنان، الشيخ الزاني، الإمام الجائر، الغني الظلوم، وغيرهم من الناس. وإضافة إلى هؤلاء سيكون الحديث عن الناس الذين نصت الأحاديث الشريفة على بغض النبي ﷺ لهم.



من يحب النبي ﷺ من الناس

أحب الناس إلى النبي ﷺ أبو بكر[1]

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**»، فعدَّ رجالاً»[2].

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٩/١ وما بعدها، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٧/٣، ٣٠، ٢٧٩/٥، ٣١١/٦، ١٨/٧، وفتح الباري للعسقلاني ١٦٩/٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «**لو كنت متخذاً خليلاً**».

أبو بكر، وما أدراك مَن أبو بكر؟ هو الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الذي صدَّق رسول الله ﷺ حين كذَّبه الناس، ودافع عنه حين هجم عليه المشركون، وهاجر معه إلى المدينة حين أخرجه قومه من بلده مكة، وخلفه على الأمة الإسلامية بعد وفاته ﷺ، فكان أول الخلفاء الراشدين. وهو من العشرة المبشرين بالجنة. قال عنه رسول الله ﷺ: **«لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»**[1].

كان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار، وبادر إلى تصديق رسول الله ﷺ بلا تردد ولا تأخر؛ قال يونس عن ابن إسحاق: ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته» وقرأ عليه القرآن، فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق. وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ يقول، فيما بلغني: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عَكَم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه».

فقد ذُكر أن أبا بكر كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه، ما يمنعه من الكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم.

ولما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ؛ وكان ﷺ رجلاً محببًا سهلاً، وكان تاجرًا، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَن وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه. فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلُّوا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ **«لو كنت متخذاً خليلاً»**.

وذكر ابن إسحاق عن الحسن أنه لما أخبر النبي ﷺ قريشًا بمسراه إلى بيت المقدس كذبوه ولم يصدقوه، فجاءه أبو بكر وسأله عن هذا الأمر وطلب منه أن يصف له بيت المقدس؛ لأنه قد جاءه، فجعل النبي ﷺ يصفه لأبي بكر وكلما وصف له منه شيئًا يقول له أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى ﷺ قال لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق؛ فيومئذ سمَّاه الصديق.

وذات يوم وثب أشراف قريش وثبة رجل واحد إلى رسول الله ﷺ وأحاطوا به ليؤذوه لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، وأخذ أحدهم بمجمع ردائه، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فانصرفوا عن رسول الله ﷺ. ورجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه، مما جبذوه بلحيته.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: بينا النبي ﷺ يصلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[1][2].

وعن محمد بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خطب فقال: «من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه، ولكنه أبو بكر، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلقاه ويقولون له: أنت تجعل الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم بكى علي ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن بإيمانه».

وكان أبو بكر يلح على رسول الله ﷺ في الظهور حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ. وثار

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.

المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة أقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا**» فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه. فابتاع راحلتين، حبسهما في داره يعلفهما إعدادًا لذلك. وعندما أبلغه رسول الله ﷺ بأن الله قد أذن له بالهجرة وأنه سيكون صاحبه في هجرته بكى أبو بكر من الفرح.

وهاجر أبو بكر مع رسول الله ﷺ، اثنين ليس معهما ثالث إلا الله تعالى، ولما اختبآ في غار ثور ولحق بهما المشركون يبحثون عنهما وقد وصلوا أمام الغار قال أبو بكر لرسول الله ﷺ: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[1]؛ وأنزل الله تعالى في هذه الواقعة قرآنًا يتلى فقال تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[2]. فقد تضمنت هذه الآية فضائل الصديق رضي الله عنه، حيث صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة وآنسه، ونصره ووقاه بنفسه، وواساه بماله. وقد شهد له رسول الله ﷺ بذلك فقال ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**» (مرتين)، فما أوذي بعدها»[3]. أي لما أظهره النبي ﷺ لهم من تعظيم أبي بكر. وقال ﷺ: «**إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب**

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً».

أبي بكر»[١]. وقال ﷺ: **«ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»**[٢]، وقال ﷺ: **«نِعْمَ الرجل أبو بكر»**[٣].

وفي هذه الأحاديث عدة مناقب لأبي بكر رضي الله عنه. قال الليث بن سعد: ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق.

وفي أحد الأيام أمر رسول الله ﷺ بالتصدق. فظن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذه فرصة له ليسبق أبا بكر، ولكن من يسبق أبا بكر؟! قال عمر ﷺ: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا[٤].

ولما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأُذِّن، فقال ﷺ: **«مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»**[٥]. وكان ﷺ يقول عن الصديق: **«ارحم أمتي بأمتي أبو بكر»**[٦].

ولما توفي رسول الله ﷺ قام عمر رضي الله عنه يقول: «والله ما مات رسول الله ﷺ.. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا. ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا قول الله تعالى: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾**[٧]، **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن**

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر».
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٩٤.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٥٩.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٤٧٢.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة.
(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨١.
(٧) سورة الزمر، الآية ٣٠.

قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١)؛ فنشج الناس يبكون»(٢).

ولما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب عن الإسلام، واشرأبت اليهودية والنصرانية، وظهر النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم، فأعز الله هذا الدين بأبي بكر الصديق، فجمع الله المسلمين على أبي بكر رضي الله عنه. فقد وقعت الردة في أحياء كثيرة من العرب، وخرج الأسود العنسي باليمن، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيء وبشر كثير، وادعى النبوة أيضًا كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وقدمت وفود العرب إلى المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق فعزم على قتال مانعي الزكاة، ولما قال له عمر رضي الله عنه: «كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»** قال له الصديق قوله المشهور: **«والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»**. فقال عمر: **«فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»**(٣).

وقد عظم الخطب واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة بن زيد حسبما أمر رسول الله ﷺ قبل وفاته، فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها؛ فتصدى أبو بكر الصديق لهؤلاء جميعًا وقاتلهم حتى فاء الناس ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه في حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذي استفزهم الشيطان به، حتى نصرهم الله وثبتهم وردهم إلى دينه الحق، وعادت الجزيرة العربية إلى تضامنها ووحدتها الإسلامية على يدي الخليفة الصديق أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً».

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الإثنين لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، بعد مرض خمسة عشر يومًا، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، فكانت مدة خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر وأيامًا، وقيل غير ذلك، ولم يختلفوا أنه استكمل سن النبي ﷺ فمات وهو ابن ثلاث وستين، وقد جمع الله بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه.

سئلت عائشة رضي الله عنها: **«مَن كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا»**(١).



أحب الناس إلى النبي ﷺ عمر(٢)

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **«عائشة»** فقلت: من الرجال؟ قال: **«أبوها»**. قلت: ثم من؟ قال: **«ثم عمر بن الخطاب»**، فعدَّ رجالاً»(٣).

عمر بن الخطاب، وما أدراك من عمر بن الخطاب؟ هو الفاروق الذي يفرق منه الشيطان، الذي إذا سلك طريقًا سلك الشيطان طريقًا آخر، هو الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ، ومن العشرة المبشرين بالجنة، أول من أُطلق عليه لقب (أمير المؤمنين)، صاحب الفتوحات العظيمة، وممزق مُلك فارس عبدة النار، وفاتح بلاد الشام من أيدي الروم الصليبيين، ومنقذ المسجد الأقصى، الشهيد.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٢/١، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣٣/٧-١٣٨ وشرح مسلم للنووي ١٦١/١٥، ١٦٥، وفتح الباري للعسقلاني ٤٦/٧، ٥٠، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١١٩/١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ **«لو كنت متخذاً خليلاً»**.

كان رسول الله ﷺ قبل إسلام عمر بن الخطاب يدعو الله تعالى فيقول: **«اللهم أَعِزَّ الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك؛ بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»**[١]؛ وكان أحبهما إليه عمر.

فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره، عندما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى غلبوا قريشًا، قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلَّى عند الكعبة، وصلينا معه. وقال: **«ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»**[٢].

لقد بشَّر رسول الله ﷺ عمر بالجنة، ورأى ﷺ في المنام ما يشير إلى خلافة أبي بكر وعمر وكيف سيكون الأمر عند ذلك، فقال ﷺ: **«أُريتُ في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذَنوبًا أو ذَنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أرَ عبقريًا يفري فريه، حتى رَوِيَ الناس وضربوا بعطن»**[٣]، القليب هو البئر غير المطوية، والذَّنوب الدلو المملوءة، والغرب هي الدلو العظيمة، والعبقري هو السيد وقيل الذي ليس فوقه شيء، ومعنى ضرب الناس بعطن: أي أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها، وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح. قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ ومن بركته وآثار صحبته، فكان النبي ﷺ هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره، وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأنزل الله تعالى ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[٤]. ثم توفي ﷺ فخلفه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنتين وأشهرًا، وهو المراد بقوله ﷺ ذنوبًا أو ذنوبين - وهذا شك من الراوي - والمراد ذنوبان كما صرح به في الرواية

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

الأخرى، وحصل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم، واتساع الإسلام، ثم توفي فخلفه عمر رضي الله عنه فاتسع الإسلام في زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبر بالقليب عن أمر المسلمين لما فيها من الماء الذي به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقي لهم وسقيه هو قيامه بمصالحهم وتدبير أمورهم. وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر وعمر وصحة ولايتهما وبيان صفتها ومدتها وكثرة انتفاع المسلمين بها خاصة ولاية عمر لطولها ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات ومصر الأمصار ودون الدواوين.

كما أن رسول الله ﷺ كشف لعمر عن فضيلة عظيمة له تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، وأن الشيطان يفر منه أن يشاركه في طريق يسلكها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجِّك**»[1]. قال النووي: «هذا الحديث محمول على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكًا فجًا هرب هيبة من عمر وفارق ذلك الفج وذهب في فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئًا، قال القاضي: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشيطان وإغوائه منه وأن عمر في جميع أموره سالك طريق السداد خلاف ما يأمر به الشيطان والصحيح الأول». قال النبي ﷺ: «**أشدهم في أمر الله عمر**»[2].

كذلك أخبر النبي ﷺ أن: «**لو كان نبي بعدي، لكان عمر بن الخطاب**»[3]، ففي هذا الحديث إبانة عن فضل ما جعله الله لعمر من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلين. وقال ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»[4]. قيل: إن محدَّثون معناها ملهم، وقيل: هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به، وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلَّم أي تكلمه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨١.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٠٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.

الملائكة بغير نبوة، وقيل: غير ذلك، وقد قال النبي ﷺ: **«إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»**[١]، وقال عمر رضي الله عنه: **«وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»**[٢]. وعن ذلك يقول عبد الله بن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.

لقد تولى الفاروق عمر الخلافة بعد الصديق وبعهد منه، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، وكان نص العهد: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن الفاجر. إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلو لكم خيراً. فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدَّل فلا علم لي بالغيب. والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

وإذا كان أبو بكر قد ثبت دعائم الدولة الإسلامية بالقضاء على المرتدين ومدعي النبوة فإن عمر بن الخطاب نظم تلك الدولة بما وضعه لها من نظم وما رسمه لها من قواعد للعمل لا سيما بعد أن اتسعت رقعتها في عهده، ويتضح ذلك مما يأتي من الأعمال الجليلة التي قام بها رضي الله عنه، مثل: نظام الخراج، إنشاء الدواوين، تنظيم الولايات، إنشاء المدن، سك النقود، تعيين القضاة، إنشاء نظام الحسبة، إنشاء البريد، إرسال المرشدين إلى البلدان المفتوحة لتعليم الناس الدين الإسلامي وقراءة القرآن والكتابة.

وهو أول من لقب بأمير المؤمنين. وأصبح هذا اللقب أكثر الألقاب تداولاً بين حكام المسلمين، وأول من كتب التاريخ الهجري، فإلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرجع الفضل في اتخاذ هجرة رسول الله ﷺ مبدأ للتاريخ الهجري الذي يؤرخ به المسلمون اليوم؛ وذلك لأن تلك الهجرة تعد نقطة تحول مهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية وانتصارها، وهو أول من حرس بالمدينة، وحمل الدرة وأدَّب بها، وجمع الناس على التراويح.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه.

لقد تم فتح كثير من البلاد في عهد عمر ﷺ: ففتح بيت المقدس على يديه، وفتحت دمشق وبلاد الشام، والجزيرة والموصل، وبلاد الفرس والترك، ومصر والمغرب العربي. وعرف عمر رضي الله عنه كيف يسوس الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان، فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف، ومع ذلك فقد ساس عمر فيها - مع طول مدته - الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعًا في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق فنشأت من ثم الفتن، إلى أن أفضى الأمر إلى قتله، واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافًا والفتن إلا انتشارًا.

لقد كان عمر رضي الله عنه متواضعًا في الله، خشن العيش، خشن المطعم، شديدًا في ذات الله، يرقع الثوب بالأديم، ويحمل القربة على كتفيه مع عظم هيبته، ويركب الحمار عريًا، والبعير مخطومًا بالليف، وكان قليل الضحك لا يمازح أحدًا، كان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر، وما مات حتى سرد الصوم، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعًا إلى منزله فيعاد أيامًا ليس به مرض إلا الخوف. وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظًا يا عمر.

لقد استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه غدرًا في مؤامرة دبرها بعض أعداء الإسلام من الفرس واليهود ونفذها أبو لؤلؤة المجوسي بطعنه بخنجر في المسجد وهو يصلي بالناس صلاة الفجر، فقدَّم عبد الرحمن بن عوف، ولما انصرفوا من الصلاة سأل عمن قتله من هو؟ فقالوا له: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فقال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام. وبالرغم من أنه كان على فراش الموت فإنه لم ينس واجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد **«جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردُّوا عليَّ الغلام. قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك»**[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

وأرسل عمر ابنه عبد الله إلى عائشة أم المؤمنين ليستأذن أن يُدفن مع صاحبيه رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلما رجع عبد الله سأله أبوه: **«ماذا لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذِنَتْ. قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إليّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردّتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين»**. وقيل له: **«أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن»**[1]. وتوفي رضي الله عنه بعد ثلاثة أيام في نهاية شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية. الموافق ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ٦٤٤م. عن عمر يقارب الستين سنة، وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر. ودفن إلى جانب رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق.

قال ابن عباس: «وُضع عمر على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يُرفع - وأنا فيهم - فلم يَرُعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلَّفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك. وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: **«ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»**[2].

قال محمد بن سيرين: «ما أظن رجلاً ينتقص أبا بكر وعمر يحب النبي ﷺ»[3]. فالنبي ﷺ يحب أبا بكر وعمر، ومن لا يحب من يحبه النبي ﷺ فهو لا يحب النبي ﷺ. قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾**[4].

قال رسول الله ﷺ: **«نِعْمَ الرجل عمر»**[5]، وسئلت عائشة رضي الله عنها: **«مَن كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَن بعد أبي**

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٥٩.

بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا»(١).



رضي النبي ﷺ عن عثمان (٢)

قال عمر بن الخطاب عن عثمان: **«توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض»**(٣).

عثمان بن عفان، ذو النورين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين المهديين، صهر رسول الله ﷺ وزوج ابنتين من بناته: رقية وبعد وفاتها أم كلثوم، الشهيد، الذي تستحي منه الملائكة. قال النبي ﷺ: **«من يحفر بئر رومة فله الجنة. فحفرها عثمان»**(٤). وقال ﷺ: **«من جهَّز جيش العسرة فله الجنة. فجهزه عثمان»**(٥).

استجاب لله ولرسوله، وآمن بما بُعث به، وهاجر الهجرتين: الحبشة والمدينة، وصحب رسول الله ﷺ وبايعه، وما عصاه ولا غشَّه حتى توفاه الله وهو عنه راض، ثم صحب أبا بكر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض، ثم صحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض، ونص عليه في أهل الشورى الستة، فكان خيرهم فاستخلف وصار أمير المؤمنين.

كان عثمان رضي الله عنه قد أسلم على يدي أبي بكر الصديق، ثم هاجر مع أصحاب رسول الله ﷺ الهجرة الأولى إلى الحبشة مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى مكة لما بلغهم إسلام أهل مكة. ثم هاجر إلى المدينة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

(٢) راجع: البداية والنهاية لابن كثير، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين، السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣١٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ويوم الحديبية أرسل النبي ﷺ عثمان سفيرًا إلى أشراف مكة ليبلغهم بأنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته. فخرج عثمان إلى مكة وبلَّغ رسالة رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان قد قُتل. فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها على يده فقال: «**هذه لعثمان**»[1].

لقد بشر رسول الله ﷺ عثمان بالجنة على بلوى ستصيبه وأنه ستكون فتنة يُقتل عثمان فيها مظلومًا، وأنه سيكون شهيدًا. وكان النبي ﷺ قد زوجه ابنته رقية ثم توفيت فزوجه ابنته أم كلثوم، وكان رسول الله ﷺ يستحي من عثمان، قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه.. فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك. فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[2]. وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لعثمان وجلالته عند الملائكة.

وقال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان**»[3].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جعل الأمر شورى بين ستة نفر قال إن رسول الله ﷺ قد توفي وهو عنهم راض وكان عثمان من بينهم، فبايعه أهل الشورى فصار الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ. وقد حصلت فتوحات كثيرة في زمان خلافته، منها: فتح إفريقية والأندلس وقبرص واصطخر وطبرستان وغيرها من البلدان، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨١.

الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢]، وقول رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[٣]؛ وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رضي الله عنه. كما قام رضي الله عنه بتجديد أنصاب الحرم وتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي.

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام وجماعة من أهل العراق، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشار الكلام السيئ بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم. وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يُكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة، ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى ابنته حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الصف، الآية: ٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ «أُحلت لكم الغنائم».

الشام مصحفًا، ولأهل مصر مصحفًا، وبعث إلى البصرة مصحفًا، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفًا، وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفًا. ويقال لهذه المصاحف: الأئمة، وليست كلها بخط عثمان، بل ولا واحد منها، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه، وإمارته، كما يقال دينار هرقلي، أي ضرب في زمانه ودولته.

جاء الخوارج والرعاع الهمج من مصر والكوفة والبصرة إلى المدينة معترضين على أمير المؤمنين عثمان في بعض الأمور، وقاموا بضرب عثمان وهو في رأس المنبر، ثم حاصروه في داره ومنعوه من الخروج إلى المسجد، ومنعوا عنه الطعام والماء، وتهددوه بالقتل. وطلبوا منه أن يخلع لهم أمرهم ويتنازل عن الخلافة، وكان رسول الله ﷺ قد قال له: «**يا عثمان إنه لعل الله يُقمِّصك قميصاً؛ فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم**»[1]؛ ولهذا قال عثمان لهم: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله. ودعا عثمان الناس وخطب فيهم قائلاً: «أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: «**من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة**»، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم. قال أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة**» فاشتريتها من صلب مالي، وأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العُسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر، وعمر، وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله، فقال: «**اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة: أني شهيد ثلاثًا»[2].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٢٣.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٢١.

وأخذ عثمان يذكر لهم من فضائله ومناقبه لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منهم، وقال لهم: إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولا أتت عليَّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية. فأبى الجهلة البغاة الخونة إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغي والعدوان، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده، حتى اشتد عليه الحال، وضاق المجال، ونفد ما عنده من الماء.

لقد أقسم عثمان على الصحابة وأبنائهم والمهاجرين والأنصار ألا يدافعوا عنه وأن يذهبوا إلى منازلهم، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه. فبرد القتال من داخل، وحمي من خارج، واشتد الأمر، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله، فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده، وشوقًا إلى رسول الله ﷺ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه يتلو فيه، فاقتحم الخوارج داره فضربه أحدهم على رأسه بجريدة نخل أو بعمود حديد فشجه، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه، وضربه آخر على الثدي بالسيف، ووثبت زوجته نائلة بنت الفرافصة فصاحت وألقت نفسها عليه، وقالت: يا بنت شيبة أيُقتل أمير المؤمنين؟ وأخذت السيف، فقطع الرجل يدها، وانتهبوا متاع الدار، وروي أن رجلاً آخر وثب على عثمان وجلس على صدره، وبه رمق، فطعنه تسع طعنات.

قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم الجمعة، لثماني عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على المشهور، فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة، وقد جاوز عمره ثنتين وثمانين سنة، ودُفن في البقيع بالمدينة النبوية.

يحب النبي ﷺ عليًّ بن أبي طالب

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**». قال: فبات الناس

يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: «**فأرسلوا إليه**». فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(١).

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي الهاشمي، أبو الحسن والحسين، ابن عم رسول الله ﷺ. وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وكان قد رباه النبي ﷺ من صغره، وزوَّجه ابنته فاطمة الزهراء، ولازم رسول الله ﷺ من صغره فلم يفارقه إلى أن مات وهو عنه راض. وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، ورابع الخلفاء الراشدين، بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

لقد كان علي بن أبي طالب أول ذكر من الغلمان آمن برسول الله ﷺ وصلَّى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى وهو يومئذ ابن عشر سنين، وقيل غير ذلك. وكان مما أنعم الله به على علي رضي الله عنه أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

فمن نعمة الله على علي، ومما صنع له، وأراده به من الخير، أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وهي سنة القحط والجوع، وكان أبو طالب ذا عيال كثير؛ فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس، وكان من أيسر بني هاشم، يا عباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكلهما عنه؛ فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنّا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه؛ فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما - ويقال عقيلاً وطالبًا - فأخذ رسول الله ﷺ عليًا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله - تبارك

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

وتعالى - نبيًا، فاتبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقه؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه - أو كما قال ﷺ - فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدْعُك إلا إلى خير فالزمه.

عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمر عليًا أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يُعلم من صدقه وأمانته ﷺ. وأقام علي رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدَّى عن رسول الله ﷺ الودائع، حتى إذا فرغ منها، لحق برسول الله ﷺ إلى المدينة.

شهد علي وقعة بدر وكانت له اليد البيضاء فيها، وتزوج بعدها بفاطمة ابنة رسول الله ﷺ. وشهد غزوة أحد وقاتل قتالاً شديدًا، وقتل خلقًا كثيرًا من المشركين. وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير، عمرو العامري. وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة، ومشاهد طائلة، ومنها أن رسول الله ﷺ قال: **«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، ومنها أنه قتل مرحبا فارس

يهود وشجعانهم. وشهد عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: **«أنت مني، وأنا منك»**[١]. وشهد الفتح وحنينًا والطائف، وقاتل في هذه المشاهد قتالاً كثيرًا، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك استخلفه على المدينة، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»**[٢].

وقد سماه النبي ﷺ أبا تراب حين جاءه إلى المسجد فوجده نائمًا وقد لصق التراب بظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول ﷺ: **«اجلس يا أبا تراب»**[٣]، وما كان له اسم أحب إلى علي منه. وقال رسول الله ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**[٤]، وقال علي: لقد عهد إليَّ النبي الأمي ﷺ **«أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»**[٥].

بعثه رسول الله ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، إلى مكة، وساق معه هديًا، وأهلَّ كإهلال النبي ﷺ، فأشركه في هديه، واستمر على إحرامه، ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما.

ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ فيمن الأمر بعده؟ فقال: والله لا أسأله فإنه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبدًا، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوح بذكر الصديق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جدًا إليه. وأما الافتراء بأنه ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٠.
(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٨.

بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة.

ولما مات رسول الله ﷺ كان علي من جملة من غسله وكفنه وولي دفنه. ولما بويع الصديق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد. وكان علي بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضًا عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر جدّد علي البيعة مع الصديق رضي الله عنهما، فلما توفي الصديق وقام عمر في الخلافة بوصية الصديق إليه بذلك، كان علي من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، فلما طُعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بعثمان وعلي، فقُدم عثمان على علي، فسمع وأطاع، فلما قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه، وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له وفرَّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تنغصت عليه الأمور، وخرجت عليه الخوارج فقاتلهم، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، هذا وأميرهم علي رضي الله عنه خير أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله عزَّ وجلَّ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن، فكان يكثر أن يقول: ما يحبس أشقاها؟ أي ما ينتظر؟ ما له لا يقتل؟ ثم يقول: والله لتخضبن هذه - ويشير إلى لحيته - من هذه - ويشير إلى هامته.

وفي فجر أحد الأيام دخل علي المسجد وجعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة فضربه عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه، وحمل إلى منزله. ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها. وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله

والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به، وأن يعظهما ولا يقطع أمرًا دونهما، وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه.

وقُبض علي رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر. وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلَّى عليه الحسن ودفن بالكوفة، وعمي موضع قبره خوفًا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته.

يحب النبي ﷺ الزبير بن العوام [1]

قال مروان بن الحكم: **«أصاب عثمان بن عفان رضي الله عنه رُعاف شديد سنة الرُّعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف. قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومَن؟ فسكت. فدخل عليه رجل آخر - أحسبه الحارث - فقال: استخلف. فقال عثمان: وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت. قال: فلعلهم قالوا إنه الزبير؟ قال: نعم. قال: أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبَّهم إلى رسول الله ﷺ»**[2].

الزبير بن العوام، حواري النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: **«إن لكل نبي حوارياً، وإن حواريَّ الزبير بن العوام»**[3]. عن قتادة: الحواري هو الذي يصلح للخلافة. وعنه: هو الوزير. وعن ابن عيينة: هو الناصر. وقيل: هو الخاصة.

والزبير هو ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وهو زوج أسماء بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة أم المؤمنين، ووالد أمير المؤمنين عبد الله بن

---

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٤٩-٢٥١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام.

الزبير الذي كان أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض.

أسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل وهو ابن اثنتي عشرة سنة، كما قيل إنه أسلم هو وعلي وهما ابنا ثماني سنين، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، شهد المشاهد كلها، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، ويوم الخندق دعا النبي ﷺ الناس للجهاد وحرضهم عليه فأجابه الزبير، قال جابر ابن عبد الله: «ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «**لكل نبي حواريٌ وحواريَ الزبير**»[(١)]. وعن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»؛ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم»[(٢)].

خرج الزبير رضي الله عنه مع الناس إلى الشام مجاهدًا فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، وكانت له اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم؛ ذلك عندما اجتمع إليه جماعة من الأبطال فقالوا: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى. فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، «**فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُرِبها يوم بدر. قال عروة: فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير**»[(٣)].

وكان الزبير من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه، فلما كان يوم الجمل في الكوفة ذكَّره علي بن أبي طالب بما ذكَّره به فرجع عن القتال وكر راجعًا إلى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام.

المدينة، فلحق به عمرو بن جرموز التميمي فأدركه بواد يقال له وادي السباع، فقتله غيلة وهو نائم في القائلة، ولما قتله احتز رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده، فاستأذن فقال علي: «**بشّر قاتل ابن صفية بالنار**»[1]، ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ. فيقال إن ابن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير.

وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جدًا، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين مليونين ومئتي ألف درهم فوفوها عنه، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذي أوصى به، ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربع الثُّمن مليون ومئتا ألف درهم، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين مليونًا وأربع مئة ألف، والثلث الموصى به تسعة عشر مليونًا ومئتا ألف، فتلك الجملة سبعة وخمسون مليونًا وست مئة ألف، ومع الدين المخرج قبل ذلك يكون جميع ما تركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين مليونًا وثمان مئة ألف درهم.

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس مما يختص به منه، ومن التجارة المبرورة، وقد قيل إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فربما تصدق في بعض الأيام بخراجهم كلهم رضي الله عنه وأرضاه.

كان قتل الزبير يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقد نيف على الستين بست أو سبع سنوات. وكان للزبير من الولد عشرة: عبد الله وعروة ومصعب والمنذر وعمرو وعبيدة وجعفر وعامر وعمير وحمزة.



(١) مسند أحمد، رقم: ٦٨١، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

رضي النبي ﷺ عن طلحة[١]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن طلحة: «**توفي النبي ﷺ وهو عنه راض**»[٢].

هو طلحة بن عبيد الله، ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود، لكرمه ولكثرة جوده، فعن قيس بن أبي حازم قال: «صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال عن غير مسألة منه». أسلم قديمًا على يدي أبي بكر الصديق، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما في حبل واحد، ولا تستطيع بنو تميم أن تمنعهما منه؛ فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان، وقد هاجر طلحة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري.

شهد طلحة المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرًا فإنه كان بالشام لتجارة، وقيل في رسالة؛ ولهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر، وكانت له يوم أُحُد اليد البيضاء، فقد كان على رسول الله ﷺ درعان فأراد أن ينهض إلى صخرة فلم يستطع، فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**أوجب طلحة**»[٣]، ووقى طلحة رسول الله ﷺ بيده فشلت، واستمرت كذلك إلى أن مات، قال قيس بن أبي حازم: «**رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شَلَّت**»[٤]. وعن أبي عثمان قال: «**لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد، عن حديثهما**»[٥]. يقول الصديق: «ثم أتينا طلحة - يعني يوم أحد - فوجدنا به بضعًا وسبعين جراحة، وإذا قد قطعت إصبعه». وكان الصديق إذا حدَّث عن أُحُد يقول: «ذاك يوم كان كله لطلحة».

وطلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض، وكذلك أبو بكر وعمر.

---

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكر طلحة بن عبيد الله.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكر طلحة بن عبيد الله.

وفي يوم الجمل في العراق جاءه سهم غرب فوقع في ركبته فتوفي، وذلك في يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكان عمره ستين سنة، وقيل بضعًا وستين سنة.

روي أن رجلاً رأى طلحة في منامه وهو يقول: حولوني عن قبري فقد آذاني الماء، ثلاث ليال، فأتى ابن عباس فأخبره وكان نائبًا على البصرة، فاشتروا له دارًا بالبصرة فحولوه من قبره إليها، فإذا قد اخضر من جسده ما بلى الماء، وإذا هو كهيئته يوم أصيب.

قال رسول الله ﷺ: «**مَن سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»(١).

رضي النبي ﷺ عن سعد(٢)

قال عمر بن الخطاب عن سعد: «**توفي النبي ﷺ وهو عنه راض**»(٣).

هو سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

أسلم سعد رضي الله عنه قديمًا، قالوا: وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة، يقول سعد: «**لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام**»(٤). وقد نزلت في سعد آيات من القرآن؛ فقد حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا ولا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بدينه، وقالت له: زعمت أن الله وصَّاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، ومَكَثَتْ ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عُمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٤٠.

(٢) راجع: البداية والنهاية ٣٥/٧ وما بعدها، ٧٢ وما بعدها، والسيرة النبوية لابن هشام ٨٢/٢، وفتح الباري للعسقلاني ٨٤/٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٨٣/١٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري.

فأنزل الله عز وجل في القرآن: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(١). وأصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة فأخذ سعد منها سيفًا وطلب من النبي ﷺ أن ينفّله إياه لحاجته إليه، فقال ﷺ: **«ردَّه من حيث أخذته»** وكرر سعد طلبه فكرر النبي ﷺ قوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾(٢). ودعاه نفر لشرب الخمر معهم وذلك قبل أن تحرَّم الخمر، فأكل وشرب معهم، ثم نطق بكلام أغضبهم فضربه أحدهم على أنفه ففزره، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فأنزل الله عز وجل في شأن الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾(٣). وأنزل الله تعالى فيه وفي بعض أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(٤)، وذلك لما قال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.

هاجر سعد وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، بعث ناسًا من المسلمين إلى رابغ ليلقوا عيرًا لقريش فترامو بالسهام ولم يكن بينهم مسايفة، فكان سعد أول من رمى. يقول سعد: **«إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله»**(٥). وعن ابن مسعود قال: لقد رأيت سعد بن أبي وقاص يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل.

وكان سعد فارسًا شجاعًا من أمراء رسول الله ﷺ، تقول عائشة: «أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: **«ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة»**، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ: **«من هذا؟»** قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله جئت أحرسك. قالت عائشة: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه»(٦).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[١]؛ لأنه ﷺ ترك الاحتراس بعدها وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته. وذات يوم أقبل سعد فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خالي فليرني امرؤ خاله**»[٢]؛ لأن أم النبي ﷺ كانت من بني زهرة، وكذلك سعد.

وفي غزوة أُحُد كانت لسعد بن أبي وقاص اليد البيضاء، فقد كان يرمي دون رسول الله ﷺ فجمع له ﷺ أبويه، يقول سعد: «**جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد**»[٣]، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النَّبل وهو يقول: «**ارم، فداك أبي وأمي**»، حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل، فيقول: «**ارم به**». وكان سعد جيد الرمي. و«كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال له النبي ﷺ: «**ارم، فداك أبي وأمي**»، قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه»[٤]، أي أن النبي ﷺ ضحك فرحًا بقتله عدوه. وعن أبي عثمان قال: «**لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما**»[٥].

وكان سعد في أيام الصديق معظمًا جليل القدر، وكذلك في أيام عمر، وكان سيدًا مطاعًا.

وفي سنة أربع عشرة من الهجرة، وفي أول يوم من المحرم ركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجيوش من المدينة عازمًا على غزو العراق بنفسه، ولكن عمر استصوب رأي بعض الصحابة في أن يبعث رجلاً ويرجع هو إلى المدينة لما في ذلك من المصلحة للمسلمين، ولما سأل عمن يبعث إلى العراق، قيل له: الأسد في براثنه سعد بن مالك الزهري، فاستجاد قولهم وأرسل إلى سعد فأمَّره على العراق. فسار سعد إلى العراق في أربعة آلاف وقيل أكثر، ولما وصل إلى محلة الجيوش في العراق انتهت إليه رياستها وإمرتها، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٥١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وأمده عمر بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفًا، وقال عمر: والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب. وكان في هذا الجيش ثلاث مئة وبضعة عشر من الصحابة، منهم بضعة وسبعون بدريًا، وكان فيه سبع مئة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم. وبعث عمر كتابه إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية، والقادسية باب فارس في الجاهلية، وأن يكون بين الحجر والمدر، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس، وأن يبدروهم بالضرب والشدة، ولا يهولنه كثرة عددهم وعُدَدهم، فإنهم قوم خدعة مكرة. وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه، وأن يكثروا من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، وأن يوافيه بجميع أحواله وتفاصيلها كأنه ينظر إليه. فأطاع سعد أمر عمر ونفَّذ كل ما أمره به وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لحربه رستم وأمثاله. وكتب إليه عمر بأنه قد ألقي في روعه أنهم سيهزمون الفرس، فإذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله. وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وللمسلمين عامة.

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاذ بن أرازويه، فغنموا مما معه شيئًا كثيرًا، واستبشر الناس بذلك وفرحوا، وتفاءلوا. ثم سار سعد فنزل القادسية، وبعد حوالي الشهر جاءه رستم ومعه جيش كثيف يقدر بثمانين ألفًا، وفي رواية: كان رستم في مئة وعشرين ألفًا، يتبعها ثمانون ألفًا، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً. وبعث سعد بناء على أمر عمر رجالاً من أهل النظر والرأي والجلد إلى كسرى وإلى رستم يدعونهما إلى الله عز وجل، ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث له برجل عاقل عالم، فأرسل له سعد، وتكرر هذا الطلب من رستم، وفي كل مرة يسأل رستم رسول سعد عن سبب قدومهم وعما يطلبونه، ويحاول إغراء المسلمين بالمال ليعودوا من حيث أتوا، فلم ينفع كل هذا، بل كان ذلك يزيد المسلمين إصرارًا على قتال الفرس. فكانت وقعة القادسية المشهورة التي كانت بداية لتمزيق ملك كسرى والفرس كما مزق كسرى كتاب رسول الله ﷺ إليه، ذلك أن رسول الله ﷺ أرسل بكتاب إلى كسرى يدعوه فيه إلى الإسلام فمزق كسرى الكتاب، ولما بلغ النبي ﷺ ذلك دعا عليهم بأن يمزقوا كل ممزق، فاستجاب الله دعاءه ومزقهم كل ممزق.

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها، وذلك أنه لما تواجه الصفان كان سعد رضي الله عنه قد أصابه عرق النسا، ودمامل في جسده، فهو لا يستطيع الركوب، وإنما هو في قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره، وكان مع ذلك لا يغلق عليه باب القصر لشجاعته، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضًا باليد، لا يمتنع منهم. وقد صلى سعد بالناس الظهر ثم خطب فوعظهم وحثهم على القتال، وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره، ثم كبَّر سعد أربعًا، ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا، وقد قتل من الفريقين بشر كثير، ثم أصبحوا فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم، فاقتتلوا حتى أمسوا ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الهرير، فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديدًا وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمرًا بليغًا، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام. فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ويسمى يوم القادسية، وكان يوم الإثنين من المحرم سنة أربع عشرة، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وانهزمت الفرس ولله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم، ولحقهم المسلمون في أقفائهم فقُتل يومئذ المسلسلون بكمالهم وكانوا ثلاثين ألفًا، وقُتل في المعركة عشرة آلاف، وقُتل قبل ذلك قريبًا من ذلك. وقُتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمس مئة رحمهم الله. وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي. وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح ما لا يحد ولا يوصف كثرة. وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين، يتربصون وقعة القادسية هذه، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها. وقد سار المسلمون خلف الفرس فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن، وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران، واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان، ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم وفتحوا المدائن وجلولاء.

وقد استهلت سنة ست عشرة وسعد بن أبي وقاص محاصر مدينة نهرشير، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب، ثم فتحها الله على المسلمين فدخلوها فلاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذي ذكره رسول الله ﷺ أنه سيفتحه الله على أمته فقالوا: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وتتابعوا التكبير إلى الصبح. ثم ندب سعد الناس إلى عبور نهر دجلة على الخيل، والفرس وقوف صفوفًا من الجانب الآخر، فانتدب له عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ست مئة، فأمَّر سعد عليهم عاصم، ثم ندب عاصم الناس ليكونوا قبل الناس دخولاً في هذا البحر ليحموا الجانب الآخر، فانتدب له ستون من الشجعان واقتحموا النهر فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: مجانين مجانين، ثم قالوا: إنكم ما تقاتلون إنسًا بل تقاتلون جنًا. فرجعوا أمام المسلمين واتبعهم المسلمون فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر، ووقفوا هناك يحرسون الجانب الآخر، ونزل بقية الست مئة فخاضوا في دجلة حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا معهم الفرس حتى نفوهم عن ذلك الجانب. وهذا كله وسعد والمسلمون واقفون على شاطئ دجلة ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس. ثم نزل سعد ببقية الجيش فاقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤوا ما بين الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجَّالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده؛ ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، ودعا له، وقد دعا سعد لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلَّمهم، فلم يفقد للمسلمين رجل واحد، ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم، وكان الفَرس إذا أعيا وهو في الماء يقيض الله له مثل النشر المرتفع فيقف عليه فيستريح، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها، وكان يومًا عظيمًا وأمرًا هائلاً، وخطبًا جليلاً، وخارقًا باهرًا، ومعجزة لرسول الله ﷺ، خلقها الله لأصحاب رسوله ﷺ لم ير مثلها في تلك البلاد، ولا بقعة من البقاع.

ودخل المسلمون المدائن وقد هرب منها كسرى يزدجرد وأخذ معه ما قدر عليه من الأموال والأمتعة وتركوا ما عجزوا عنه، وجاء سعد بالجيش وسكن في القصر الأبيض، وأرسل السرايا في إثر كسرى يزدجرد، وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الكنوز والأموال والذهب والفضة والتحف، مما لا يقوم ولا يحد ولا يوصف كثرة وعظمة. وكان في جملة ذلك تاج كسرى المكلل بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار، وسيفه وسواريه وغير ذلك من الأشياء العجيبة، وقد أرسلها سعد إلى أمير المؤمنين عمر في المدينة، فألقى عمر سواري كسرى إلى سراقة بن مالك فجعلهما في يده فبلغا منكبيه فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج. وإنما ألبسهما سراقة؛ لأنه قيل: إن رسول الله ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: «كأني بك وقد لبست سواري كسرى».

وبعد ذلك أرسل سعد جيشًا إلى جلولاء فقاتلوا المجوس وانتصروا عليهم في هذه الوقعة وقتلوا منهم مئة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى؛ فلذلك سميت جلولاء. وبعد ذلك تم فتح حلوان وتكريت والموصل وماسبذان وقرقيسيا. وفي سنة سبع عشرة انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة، وذلك أن الصحابة استوخموا المدائن، وتغيرت ألوانهم، لكثرة ذبابها وغبارها، فبحثوا عن أرض مناسبة فوجدوا أرض الكوفة، فأمر سعد باختطاطها، وكان أول بناء وضع فيها المسجد، ثم بنى الناس منازلهم، وكانت بالقصب فاحترقت في أثناء هذه السنة، فبنوها باللبن عن أمر عمر، بشرط ألا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد. واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصف، حتى عزله عنها عمر، من غير عجز ولا خيانة، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك، وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى، وأن الرسول ﷺ توفي وهو عنه راض.

فحين حضرت عمر الوفاة قال: **«ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمَّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن... وقال: فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة»**[1]. فلما كان عثمان هو الخليفة ولَّى سعدًا الكوفة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

وقد كان سعد رضي الله عنه مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له؛ لأن رسول الله ﷺ قد دعا له فقال: **«اللهم استجب لسعد إذا دعاك»**(١)؛ وقد «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عمَّارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي. فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي. قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركُدُ في الأولَيَيْن وأُخِفُّ في الأُخرَيَين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا. حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسريَّة، ولا يقسم بالسَّويَّة، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعَرِّضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن»(٢).

وبعد مقتل عثمان جاء عمر بن سعد إلى أبيه وهو معتزل في إبله فقال: الناس يتنازعون الإمارة وأنت ها هنا؟ فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»**(٣). قال ابن عساكر: ذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له: يا عم هاهنا مئة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر، فقال: أريد من مئة ألف سيفًا واحدًا إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئًا، وإذا ضربت به الكافر قطع.

كانت وفاة سعد بالعقيق خارج المدينة، فحُمل إلى المدينة على أعناق الرجال فصلى عليه مروان، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات، ودفن

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

بالبقيع، وكان ذلك في سنة خمس وخمسين، وقد جاوز الثمانين، وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة وفاة، وقيل: كان آخر المهاجرين وفاة، رضي الله عنه وعنهم أجمعين.



أحب الصحابة إلى النبي ﷺ أبو عبيدة(١)

عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: **«أيُّ أَصحاب النبي ﷺ كان أحَبَّ إليه؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثمَّ مَن؟ قالت: ثم عمر، قلت: ثمَّ مَن؟ قالت: ثمَّ أبو عُبَيدة بن الجَرَّاح، قلت: ثمَّ من؟ فسَكَتت»**(٢). وقال ﷺ: **«نِعْمَ الرجل أبو عبيدة بن الجراح»**(٣).

هو عامر بن عبد الله بن الجراح، أمين الأمة الإسلامية، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يدي أبي بكر الصديق، وهم: عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح. أمير جيوش الشام، وأول من لقِّب بأمير الأمراء.

شهد أبو عبيدة بن الجراح المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، بدرًا وما بعدها، وعندما جرحت وجنة النبي ﷺ في غزوة أحد، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، قام أبو عبيدة بنزع إحدى الحلقتين من وجه النبي ﷺ، فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين؛ لأنه خاف أن يؤلم رسول الله ﷺ فتحامل على ثنيتيه فسقطتا، فكان أهتمًا وما رأي أحسن هتمًا منه. وقد أمَّره رسول الله ﷺ على سرية وأرسلها إلى جانب البحر.

قال عنه رسول الله ﷺ: **«إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمَّة أبو عبيدة بن الجراح»**(٤). ولما جاء وفد نجران من النصارى إلى رسول الله ﷺ وهم: العاقب

---

(١) راجع: البداية والنهاية ٨/٧، ٧٨، ٩٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٨٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٥٨.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

واسمه عبد المسيح، والسيد ومن معهما، قالوا للنبي ﷺ: ابعث إلينا رجلاً أمينًا يعلمنا السنة والإسلام فقال ﷺ: **«لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أمين حق أمين»** فاستشرف لها الناس، فبعث أبا عبيدة بن الجراح(١).

سئلت عائشة رضي الله عنها: **«مَن كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا»**(٢).

ويوم السقيفة وهو يوم اجتماع المهاجرين والأنصار لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين **«فبايعوا عمر أو أبا عبيدة»**(٣). بعث الصديق أبا عبيدة أميرًا على ربع الجيش إلى الشام، وخرج معه ماشيًا يوصيه، وجعل له نيابة حمص. ويقال إن أبا عبيدة نزل بالجابية وأنه لما مرَّ بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه. وكان أول صلح وقع بالشام. ثم لما انتدب الصديق خالد بن الوليد من العراق كان أميرًا على أبي عبيدة وغيره لعلمه بالحرب، وذلك في وقعة اليرموك، حيث واجه فيها بضع وعشرون ألفًا من المجاهدين المسلمين أكثر من مئتي ألف مقاتل من الروم التي أقبلت في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة، سهلها ووعرها، كأنهم غمامة سوداء يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال. وكان خالد بن الوليد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له: إني مشير بأمر، فقال: قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع. فاتفقا على خطة للقتال مع الروم، وكلفه خالد للقيام بدور ما، وسار أبو عبيدة بالمسلمين، ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معاشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطو إليهم خطوة، ولا تبدؤوهم بالقتال، واشرعوا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً».

الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله. ويقال إن أول من قُتل من المسلمين يومئذ شهيدًا رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا. فتقدم هذا الرجل حتى قُتل رحمه الله. وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا. فلم تر يوم اليرموك إلا مخًا ساقطًا، ومعصمًا نادرًا، وكفًا طائرة من ذلك الموطن. ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على ميسرة الروم التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب فقُتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم. ثم اعترضهم فحمل بمئة فارس معه على نحو من مئة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم.

قالوا: وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد وأبلغه فيما بينه وبينه أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد توفي واستخلف عمر، واستناب على الجيوش أبا عبيدة بن الجراح. فأسرها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة حتى انتصر المسلمون على الروم في هذه الوقعة. وبعد ذلك أبلغ خالد المسلمين بالخبر وأن أمرة الجيوش قد انتقلت إلى أبي عبيدة بن الجراح. ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميسها، وبعث بالفتح والخمس إلى الحجاز وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة. ثم سار أبو عبيدة بالجيش لفتح دمشق. وقيل إن أبا عبيدة هو الذي تسلم كتاب عمر وفيه يعزيه والمسلمين بموت الصديق، وأنه قد استنابه على من بالشام، وأمره أن يستشير خالدًا في الحرب، فكتمه من خالد حتى فتحت دمشق فقال له خالد: يرحمك الله، ما منعك أن تعلمني حين جاءك؟ فقال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للدنيا أعمل، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه. ثم أخذ أبو عبيدة يفتح بلادًا أخرى في الشام.

وفي سنة خمس عشرة هجرية، وبعد أن فرغ أبو عبيدة من دمشق كتب إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية أو يؤذنوا بحرب. فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك. وسار عمر بالجيوش نحوهم، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان. وتم فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي سنة سبع عشرة عزم جمع من الروم على محاصرة أبي عبيدة في حمص، واستجاشوا بأهل الجزيرة، وخلق مما هنالك، وقصدوا أبا عبيدة، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين، وكتب إلى عمر بذلك، وتحصن أبو عبيدة بالبلد حتى يجيء أمر عمر. وجاءت الجيوش لنجدة أبي عبيدة، وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة. وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جدًا، ثم برز إليهم أبو عبيدة فقاتلهم، ففتح الله عليه ونصره، وهزمت الروم هزيمة فظيعة. وذلك قبل ورود عمر عليهم، وقبل وصول الإمداد إليهن بثلاث ليال. فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح.

وفي سنة ثماني عشرة كان طاعون عمواس وهو منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس، وهي بين القدس والرملة؛ لأنها كان أول ما ظهر الداء فيها، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها، فأصيب أبو عبيدة بهذا الطاعون وتوفي هو وعدد من أمراء المسلمين في يوم واحد، وقيل إنه قد مات في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألفًا، وقيل أكثر من ذلك. توفي أبو عبيدة وعمره ثمان وخمسون سنة، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه.



رضي النبي ﷺ عن عبد الرحمن (١)

قال عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن: «**توفي النبي ﷺ وهو عنه راض**»(٢).

---

(١) راجع: البداية والنهاية ٧/١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

هو عبد الرحمن بن عوف، من العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، أسلم قديمًا على يدي أبي بكر الصديق، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع.

شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، بدرًا وما بعدها، وأمَّره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب، وأرخى له عذبة بين كتفيه، لتكون أمارة عليه للإمارة. تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[1].

تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بنصف ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفًا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمس مئة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة.

كان عبد الرحمن بن عوف هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه ومبايعته للخلافة، وذلك حين قيل لعمر بن الخطاب: استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن. ولما فُرِغ من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: **«اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكتَ الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قال: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن، ولئن أمَّرت عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ. ثم**

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً».

خلا بالآخر فقال مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه»[1].

ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربع مئة دينار - وكانوا مئة - فأخذوها، وكان من بينهم عثمان وعلي، وقال علي: اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها، وسبقت زيفها. وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل. تقول عائشة: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**إن أمركن لما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون**»، ثم تقول عائشة لأبي سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف: فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة. فقد أوصى عبد الرحمن بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربع مئة ألف درهم[2]. وأعتق خلقًا من مماليكه، ثم ترك بعد ذلك كله مالاً جزيلاً، من ذلك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال، وترك ألف بعير، ومئة فرس، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكان نساؤه أربعًا فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفًا. ولما مات صلَّى عليه عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة.



أحب الناس إلى النبي ﷺ زيد[3]

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بَعث النبي ﷺ بعثًا وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إِمارته، فقال النبي ﷺ: «**أن تَطْعَنُوا في إمارته فقد كنتم تطعنُون في إِمارة أبيه من قبل. وَايْمُ الله إنْ كان لخليقًا للإمارة، وإنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بعدَهُ**»[4].

هو زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، أول ذكر من الموالي أسلم وصلَّى بعد علي بن أبي طالب. كان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعًا شديدًا، وبكى عليه حين فقده.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٤٨ - ٢٩٤٩ .

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٥٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ.

ذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له.

ثم قدم والده حارثة وعمه وأخوه جبلة عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فترك له رسول الله ﷺ حرية الاختيار بين أن يقيم عنده أو ينطلق مع أبيه وأخيه، فقال: «يا رسول الله، والله لا أختار عليك أحدًا»[1]، فقال: بل أقيم عندك. فتبنَّاه رسول الله ﷺ، وذلك قبل أن يوحى إليه. وكان يقال له زيد بن محمد، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبًا شديدًا. فكان يقال له: حِب رسول الله ﷺ؛ وكان هو خليقًا وجديرًا بهذا الحب للصفات الحسنة التي كانت فيه ولوفائه وإخلاصه لرسول الله ﷺ.

فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدَّقه وأسلم، وصلَّى معه؛ وكان رسول الله ﷺ يأخذه معه عندما يخرج للدعوة إلى الله تعالى، وعندما خرج ﷺ إلى الطائف أخذه معه؛ وكان أهل الطائف قد آذوا رسول الله ﷺ وأخرجوه ورجموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه.

أعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد، فكان يقال له الحِب بن الحِب، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب، واستعمله على المدينة أكثر من مرة.

نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[5]. ولم يسم الله تعالى في القرآن أحدًا من الصحابة غيره. وكان رسول الله ﷺ يقول له: «**أنت أخونا ومولانا**»[6].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٩٨. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥. (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠. (٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ.

قالت عائشة: «**ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمَّره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه**»[١]. فقد بعث رسول الله ﷺ زيدًا في عدة سرايا منها إلى الطرف والعيص وحِسْمى وغيرها وجعله أميرًا وقائدًا لهذه السرايا. ويوم غزوة مؤتة قدمه في الأمرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب، فأرسله على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف مجاهد، فواجهوا مئتي ألف مشرك من الروم وغيرهم من المشركين، وكانت المعركة قريبًا من قرية مؤتة في الأردن. وفي هذه الغزوة كان استشهاد زيد بن حارثة رضي الله عنه، وذلك في سنة ثمان هجرية.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أمَّرَ رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: «**إن قُتِل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»[٢]. وقد نعى رسول الله ﷺ هؤلاء الأمراء الثلاثة وذرفت عيناه بالدموع، عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»[٣].



أحب الناس إلى النبي ﷺ أسامة[٤]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ بَعْثًا وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «**أنْ تَطْعُنُوا في إمارته فقد كنتم تطعنُون في إمارة أبيه من قبل. وَايْمُ الله إنْ كان لخليقًا للإمارة، وإنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بعدَهُ**»[٥]. وقال ﷺ: «**أسامة أحب الناس، ما حاشا فاطمة ولا غيرها**»[٦].

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٦٢٩٠، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

(٤) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٠٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٥٠، وفتح الباري للعسقلاني ٨/١٥٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٧٤٥.

هو أسامة بن زيد بن حارثة، حِب وابن حِب رسول الله ﷺ، كان النبي ﷺ يأخذه والحسن فيقول: «**اللهم أحبهما فإني أُحبهما**»[١]؛ وهذه أعظم منقبة لأسامة والحسن. وذات يوم سال المخاط من أنف أسامة وتقول عائشة أم المؤمنين: «أراد النبي ﷺ أن يُنَحي مخاط أسامة، قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل، قال: «**يا عائشة أحبيه فإني أحبه**»[٢].

ولما سرقت المرأة المخزومية أعظمت قريش ذلك بسبب خشيتهم أن تقطع يدها لعلمهم أن النبي ﷺ لا يرخص في الحدود، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ويشفع عنده فيها أن لا تقطع؟ فقالوا: «**من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ**»[٣]. فلا أحد يمكن له أن يجترئ على رسول الله ﷺ لمهابته؛ والجرأة هي الإقدام بإدلال، وما يجترئ عليه إلا أسامة؛ لأن له عليه إدلال فهو يجسر على ذلك، فكلمه أسامة، فقال له ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**». ثم قام فخطب فقال: «**يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطع محمد يدها**»[٤].

أمَّر رسول الله ﷺ أسامة على سرية وبعثه إلى الحرقة من جهينة، ويشرح أسامة ما حدث معه فيقول: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبَّحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «**يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**»، قلت: كان متعوِّذًا. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[٥]. فتعلم أسامة من ذلك درسًا لم ينساه أبدًا واستفاد منه في بقية حياته وهو ألا يقتل من يشهد بأن لا إله إلا الله فكيف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكر أسامة بن زيد.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٠١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكر أسامة بن زيد.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفع إلى السلطان.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة.

بمن هو من المؤمنين؛ ولهذا فقد اختار الحياد فيما وقع من القتال بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وفي مرض النبي ﷺ الذي توفي فيه بعث النبي ﷺ أسامة في جيش إلى الشام لقتال الروم حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ، وندب ﷺ الناس للانضمام إلى هذا الجيش، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، وقيل: وأبو بكر الصديق فاستثناه رسول الله ﷺ منهم ليصلي بالناس؛ كل هؤلاء الصحابة الكبار وأسامة الشاب أميرًا عليهم، فتكلم بعض الناس في أمرة أسامة وقالوا: أمَّر غلامًا حدثًا على جلَّة المهاجرين والأنصار. ووصل الخبر إلى النبي ﷺ فخطب وقال: «**أَنْ تَطْعَنُوا في إمارته فقد كنتم تطعنُون في إمارة أبيه من قبل. وَايْمُ الله إنْ كان لخليقًا للإمارة، وإنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بعدهُ**»؛ فأسرع الناس في جهازهم، وخرج أسامة بجيشه حتى نزلوا الجرف وهو موضع يبعد فرسخًا عن المدينة، فضرب به عسكره، وأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ. ثم اشتد برسول الله ﷺ وجعه فأمر بأن ينفذوا بعث أسامة.

ولما توفي رسول الله ﷺ وعظم الخطب واشتد الحال وظهر النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون عن أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة.. أشار كثير من الناس على الصديق ألا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق عن ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: «والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة وآمر الحرس يكونون حول المدينة». فكان خروج جيش أسامة في هذا الوقت وفي مثل هذه الظروف الخطيرة من أكبر المصالح، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة

شديدة، فقاموا أربعين يومًا أو أكثر من ذلك، ثم أتوا سالمين غانمين. ثم جهزهم الصديق حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة.

وقيل إن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمِّر علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال أنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أؤمر غير أمير رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الموضع الذي عسكر فيه جيش أسامة فاستعرض الجيش وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشيًا، وأسامة راكبًا، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله؛ إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال: والله لست بنازل ولست براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب الذي كان مكتتبًا في جيشه فأطلقه له؛ فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير. وكان عمره يومئذ تسع عشرة سنة.

نظر عبد الله بن عمر بن الخطاب يومًا - وهو في المسجد - إلى رجل، فسأل عنه، فقيل له: أما تعرف هذا يا أبا عبد الرحمن؟ هذا محمد بن أسامة. فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيديه في الأرض، ثم قال: **«لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه»**[1]؛ إنما جزم ابن عمر بذلك لما رأى من محبة النبي ﷺ لزيد بن حارثة وزوجته أم أيمن وذريتهما فقاس ابن أسامة على ذلك.

توفي أسامة سنة أربع وخمسين، وقيل: ثمان أو تسع وخمسين، وقيل توفي بعد مقتل عثمان فالله أعلم.

يحب النبي ﷺ عمار بن ياسر

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: **«ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما: عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكر أسامة بن زيد.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٧٧٣٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

عمار بن ياسر[١]:

عمَّار بن ياسر رضي الله عنه المكنى بأبي اليقظان، أسلم قديمًا ويقال إنه أول من اتخذ مسجدًا في بيته يتعبد فيه، كان هو وأمه من السبعة الذين كانوا أول من أظهروا إسلامهم، وكان ممن يعذَّب في الله هو وأبوه وأمه سمية بنت خياط، حيث كان المشركون يخرجون به وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة وهي الرمل الحارة من شدة حرارة الشمس، وقد قتلوا أمه فكانت أول شهيدة في الإسلام، أما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهًا لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وجاء معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[٢].

هاجر إلى المدينة، ولما بُدئ العمل في بناء مسجد النبي ﷺ دخل عمار إلى العمل بجد واجتهاد حتى أن الرجال كانوا يحملون لبنة لبنة في حين كان يحمل هو اثنتين اثنتين رغبة في زيادة الأجر من الله تعالى، وقد أخذ رسول الله ﷺ ينفض التراب عنه ويبشِّره بأن الفئة الباغية هي التي ستقتله، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن بناء المسجد: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين. فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[٣]. فصار عمار رضي الله عنه علامة على من تكون الفئة الباغية من الفئتين المسلمتين اللتين ستتقاتلان في المستقبل ويكون عمار مع إحداهما. قيل: إن أول من بنى مسجدًا عمار بن ياسر. والمراد به مسجد قباء، وأن عمارًا هو الذي أشار على النبي ﷺ ببنيانه، وهو الذي جمع الحجارة له، فلما أسسه رسول الله ﷺ استتم عمار بنيانه.

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٣١٩/١، وفتح الباري للعسقلاني ٥٨/١٢-٥٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٩/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٦٧/٧، ٢٧٠، ٣١٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد.

شهد عمار رضي الله عنه بدرًا والمشاهد كلها، وأبلى ببدر بلاء حسنًا وقتل عددًا من المشركين. وكان النبي ﷺ يقول عنه: «**مُلِئَ عمَّار إيمانًا إلى مُشاشِه**»[1]، وكان ﷺ يحبه، وذات يوم جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ فقال: «**ائذنوا له. مرحبًا بالطيب المطيب**»[2].

كان عمار عاقلاً حكيمًا وما عُرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما. وقد أكد رسول الله ﷺ هذه الصفة له فقال ﷺ: «**ما خُيِّر عمَّار بين أمرين إلا اختار أرشدهما**»[3]؛ ولأجل ذلك أوصى رسول الله ﷺ بالسير على طريقة عمار فقال ﷺ: «**إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي** - وأشار إلى أبي بكر وعمر - **واهتدوا بهدي عمَّار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه**»[4].

في سنة إحدى عشرة شهد عمار وقعة اليمامة التي كانت بين المسلمين ومسيلمة الكذاب ومن معه من بني حنيفة، وكان النصر فيها للمسلمين بقيادة خالد بن الوليد، وقد أبلى عمار في هذه الوقعة بلاء حسنًا، ويومئذ قُطعت أذنه.

وفي سنة ست وثلاثين كانت وقعة الجمل وهي أول وقعة يتقاتل فيها المسلمون، وكان عمار في فرقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي الجانب الآخر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير ومن معهم من المسلمين وكانوا يريدون الإصلاح بين الناس والاقتصاص من قتلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فخشي من نسب إليهم القتل أن يصطلح الطرفان على قتلهم فأنشبوا الحرب بينهما إلى أن كان ما كان.

وقد كان عمار صادق اللهجة وكان لا تستخفه الخصومة إلى أن ينتقص خصمه، فإنه شهد لعائشة بالفضل التام مع ما بينهما من الحرب؛ فعن عبد الله بن زياد الأسدي قال: «**لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن**

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٤٦٣٤.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨٦.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨٧.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨٨.

ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه، فسمعت عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟»(١)، فمراد عمار أن الصواب في تلك القصة كان مع علي وأن عائشة مع ذلك لم تخرج بذلك عن الإسلام، وهي مع كل هذا زوجة النبي ﷺ في الجنة؛ فكان ذلك يعد من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحريه قول الحق. وقد قال عمار لعائشة لما فرغوا من يوم الجمل: «ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليكم - يشير إلى قوله الله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾(٢) - فقالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: والله إنك ما علمت لقوال بالحق. قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك»(٣).

وفي السنة التالية سبع وثلاثين كانت وقعة صفين بين جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين جيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وفي هذه الوقعة قُتل عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي كان مع علي فبان وظهر بذلك سر ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًا محق وأن معاوية باغ.

وجرت وقعة صفين بسبب أن أهل الشام وعلى رأسهم معاوية أبوا أن يبايعوا عليًا حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان رضي الله عنه، فكان ما كان من وقعة صفين التي قُتل فيها عمار بن ياسر على يد رجال من جيش معاوية؛ فعن عبد الله بن سلمة قال: **«رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً آخذاً الحربة بيده ويده ترعد، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) رواه الطبري وصححه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٨٧٨٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

وعن أبي البختري قال: «قال عمار يوم صفين: ائتوني بشربة لبن فإن رسول الله ﷺ قال: «**آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن**»، فأتي بشربة لبن فشربها ثم تقدم فقتل»[1]، وعنه أيضًا: «أن عمار بن ياسر أتي بشربة لبن فضحك، فقال: إن النبي ﷺ قال: «**إن آخر شراب أشربه لبن حتى أموت**»[2]، وقد تقدم عمار إلى القتال وعمره آنذاك فوق التسعين سنة فحمل عليه أبو الغادية الفزاري وابن جوى السكسكي، فأما أبو الغادية فطعنه، وأما ابن جوى فاحتز رأسه، قال أبو عبد الرحمن السلمي: رأيت عمارًا لا يأخذ واديًا من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال: يا هاشم تقدم! الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنة، وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين.

اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى، قال: وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية، كأن عمارًا كان علمًا لهم على أنهم على الحق وأنه قد تبين الآن أن الفئة الباغية هم معاوية وجيش الشام الذين قتلوا عمار بن ياسر، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أبشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية**»[3].



يحب النبي ﷺ الحسن[4]

عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبيَّ ﷺ والحَسَنُ بنُ عليٍّ على عاتقه يقول: «**اللهم إنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**»[5]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للحسن: «**اللهم إني**

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٨٧٨٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٢) مسند أحمد، رقم: ١٨٧٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨٩.
(٤) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ١٤/٨، ١٩، ٣٣، ٤٤.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

أُحبُّه، فأحِبَّه، وأحِبَّ من يحبه» وقال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله ﷺ ما قال[١].

هو الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ في الدنيا، «**لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي**»[٢]، حمله أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول: «**بأبي شبيه بالنبي. ليس شبيه بعلي**» **وعلي يضحك**»[٣].

كان مولد الحسن في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر، وقيل بعد ذلك، فحنكه جده رسول الله ﷺ بريقه وسماه حسنًا، وهو أكبر ولد أبويه، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبًا شديدًا حتى كان يقبل ذبيبته وهو صغير، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة فيركب على ظهره فيُقره على ذلك ويطيل السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر.

وقد أخبر النبي ﷺ بأن الحسن سيصلح بين فئتين من المسلمين؛ فعن أبي بكرة قال: «سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[٤].

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ؛ فعندما توفي علي بن أبي طالب في الكوفة من أرض العراق صلَّى عليه ابنه الحسن؛ لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم، ولما فرغ من دفن أبيه كان أول من تقدم إليه قيس بن سعد بن عبادة فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وذلك في رمضان سنة أربعين؛ ومن يومئذ ولي الحسن بن علي، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مقاتل، قد بايعوا عليًّا على الموت، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، ولم يكن في نية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب السخاب للصبيان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

الحسن أن يقاتل أحدًا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعًا عظيمًا لم يسمع بمثله، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد على المقدمة في اثني عشر ألفًا بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصدًا بلاد الشام، ليقاتل معاوية وأهل الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه، فبينما هو في المدائن معسكرًا بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قُتل، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضًا حتى انتهبوا سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطًا كان جالسًا عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أشوته[1]، فكرههم الحسن كراهية شديدة، ولما رأى تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان - وكان قد ركب في أهل الشام فنزل مَسْكِنَ[2] - يراوضه على الصلح بينهما، وتم الاتفاق بين الاثنين ونزل الحسن عن الأمرة لمعاوية، وحقن دماء المسلمين، ودخل معاوية الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب.

وترحل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وجعل كلما مرَّ بحي من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك هو البار الراشد الممدوح، وليس يجد في صدره حرجًا ولا تلومًا ولا ندمًا، بل هو راض بذلك مستبشر به، والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ في الحديث.

لقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه، وكذلك عمر بن الخطاب، ولما عمل عمر الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما. وقد كان الحسن يوم حصار عثمان في داره متقلدًا سيفه يحاجف عن عثمان، فخشي عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييبًا لقلب علي، وخوفًا عليه رضي الله

(١) أشوته: لم تُصِب مقتله.

(٢) أرض بالعراق.

عنهم. وكان علي يكرم الحسن إكرامًا زائدًا، ويعظمه ويبجله وقد قال له يومًا: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيبًا وعلي يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل علي يقول: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

وكان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي. وقال غيره: كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه ثم ينصرف إلى منزله. وكان إذا طاف بالبيت ومعه الحسين يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما، رضي الله عنهما وأرضاهما. وقد كان الحسن من الكرم على جانب عظيم، قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمئة ألف. وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه. وقالوا: قاسم الله ماله ثلاث مرات، وخرج من ماله مرتين، وحج ماشيًا والجنائب تقاد بين يديه.

قالوا: وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقًا مصداقًا، وقد كان علي يقول لأهل الكوفة: لا تزوجوه فإنه مطلاق، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء في صهر رسول الله ﷺ. وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه.

عن عمرو الأصم قال: قلت للحسن بن علي: إن هذه الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله! ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله.

قيل إن الحسن تعرض لأكثر من محاولة لتسميمه حتى كانت الأخيرة هي الأشد فتوفي فيها ودفن قريبًا من قبر أمه بالبقيع رضي الله عنهما، وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحدًا من الزحام، وقد بكاه الرجال والنساء

سبعًا، واستمر نساء بني هاشم ينحن عليه شهرًا، وحدت نساء بني هاشم عليه سنة، وقد توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين، سنة تسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه.



يحب النبي ﷺ الحسين [١]

قال رسول الله ﷺ: **«هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أُحِبُّهُما فأحِبَّهُما وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُما»**[٢]. وقال ﷺ: **«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سِبط من الأسباط»**[٣].

هو الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ في الدنيا، السبط الشهيد بكربلاء.

ولد الحسين رضي الله عنه بعد أخيه الحسن في سنة أربع، وقال قتادة: وُلد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ، وروي عن النبي ﷺ أنه حنّكه وتفل في فمه ودعا له وسماه حسينًا، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حربًا، وقيل جعفرًا، وقيل: إنما سماه يوم سابعه وعق عنه، وكان يشبه النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يحبه حبًا شديدًا.

وقد اشترك الحسن والحسين رضي الله عنهما في كثير من المناقب وقال عنهما النبي ﷺ: **«هما رَيحانتايَ من الدنيا»**[٤]، وقال ﷺ: **«الحسن والحسين، سيدا شباب أهل الجنة»**[٥]. وفي أحد الأيام كان رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: **«صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾**[٦]

---

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ١٤٩/٨ .

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٧٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٥ .

(٦) سورة التغابن، الآية ١٥.

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[1]. وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنهما راض.

ثم كان الصديق يكرم الحسين ويعظمه كما كان شأنه مع الحسن، وكذلك فعل عمر وعثمان رضي الله عنهما.

صحب الحسين أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، وفي وقعتي الجمل وصفين، وكان معظمًا موقرًا، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قُتل، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح معاوية شق ذلك عليه ولم يسدد رأي أخيه في ذلك. فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكرامًا زائدًا، ويعطيهما عطاءً جزيلاً.

ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد في سنة إحدى وخمسين. ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير، وخرجا من المدينة فارين إلى مكة فأقاما بها، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد، وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة، وجعل يتردد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس.

وقد كثر ورود الكتب على الحسين من بلاد العراق يدعونه إليهم، وبعثوا النفر تلو النفر، ثم بعثوا نفرًا معهم نحوًا من مئة وخمسين كتابًا، ثم بعثوا له كتابًا فيه الاستعجال في السير إليهم، وقالوا له: أما بعد فقد اخضرت الجنان وأينعت الثمار وطمَّت الجِمام، فإذا شئت فاقدَم على جند لك مجنَّد والسلام عليك. فاجتمعت

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٨.

الرسل كلها بكتبها عند الحسين، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضًا عن يزيد بن معاوية، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية، وينالون منه ويتكلمون في دولته، وأنهم لما يبايعوا أحدًا إلى الآن، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتمًا وأمرًا حازمًا محكمًا بعث إليه ليركب في أهله وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه، وكتب معه كتابًا إلى أهل العراق بذلك.

فلما دخل مسلم الكوفة تسامع أهلها بقدومه فبايعوه على إمرة الحسين، وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته من أهلها ثمانية عشر ألفًا، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور، فتجهز الحسين من مكة قاصدًا الكوفة.

وفي أثناء ذلك حدثت تطورات خطيرة في الكوفة، إذ انتشر خبرهم حتى كتب بعضهم إلى يزيد يعلمونه بذلك. فبعث يزيد فعزل أمير الكوفة النعمان بن بشير وضمها إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة، وكلفه بقتل مسلم أو نفيه. أما الذين بايعوا مسلم على إمرة الحسين فقد تخاذلوا عنه وقصَّروا وتصرَّموا وانصرفوا عنه حتى لم يبق معه إلا خمس مئة نفس، ثم تقالُّوا وتقالُّوا حتى بقي معه عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدله على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، ثم اختبأ في أحد البيوت، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب فضاق بهم ذرعًا، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن بن الأشعث الأمان فأمكنه من يده، واقتادوه إلى ابن زياد فأمر بضرب عنقه، وكان الحسين رضي الله عنه قد خرج من مكة قبل يوم واحد من مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل.

وكان مسلم قد أرسل رسالة للحسين قبل مقتله يخبره فيها بأنه أسير في أيدي القوم لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يُقتل، وأن ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة

فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي.

خرج الحسين رضي الله عنه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد، ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكَّروه ما جرى لأبيه وأخيه مع أهل العراق. أما ابن عباس فقد قال له: أخبرني إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك. فقال الحسين: إني أستخير الله وأنظر ما يكون. وقال لابن الزبير: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم، وأستخير الله. ودخل عليه ابن عباس مرة أخرى وأخذ يثنيه عن الذهاب إلى العراق وقال له: يا ابن عم! إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونًا وشعابًا، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس في معزل، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين: يا ابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولا بد سائرًا فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قُتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه.

وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب بمكة فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه كتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: لا تأتهم! فأبى. فقال ابن عمر: إني محدثك حديثًا، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ؛ والله ما يليها أحد منكم أبدًا؛ وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع. فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل. فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن علي بالخروج،

ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير.

وكان أبو سعيد الخدري قد سبق أن جاء للحسين لما بلغه أن شيعة علي يكاتبون الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية وقال له: يا أبا عبد الله! إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف.

وكتب معاوية أيضًا للحسين ينصحه بعدم الاستجابة لمن سبق لهم أن أفسدوا على أبيه وخذلوا أخاه. ولما احتضر معاوية دعا ابنه يزيد فأوصاه وقال له: انظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فإنه أحب الناس إلى الناس، فصِل رحمه، وارفق به، يصلح لك أمره، فإن يكن منه شيء فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه. وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين، وبايع الناس يزيد، وامتنع الحسين وابن الزبير عن مبايعته وخرجا إلى مكة حسبما تقدم.

وهكذا فعل كثيرون مشافهة أو كتابة كلهم ينصحون الحسين بعدم الخروج إلى قوم قتلوا أباه وطعنوا أخاه، وأن يتق الله في نفسه ولا يضرب الناس بعضهم ببعض، وأن يلزم بيته ولا يخرج على إمامه، فإن خرج فإنما خرج يقتل نفسه، وأن يطيع ويلزم الجماعة. فأبى الحسين رضي الله عنه إلا أن يمضي إلى العراق. وكان يقول: لأن أُقتل بمكان كذا وكذا أحب إليَّ من أن أُقتل بمكة وتستحل بي. وكان يقول إنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام، وإنه ﷺ أمره بأمر وهو ماض له وليس بمخبر به أحدًا حتى يلقى ربه.

وخرج الحسين متوجهًا إلى العراق وفي صحبته أهل بيته وستين شخصًا من أهل الكوفة، وأرسل لشيعته في الكوفة كتابًا يخبرهم فيه أنه في الطريق إليهم فقُتل حامل الكتاب. ثم أقبل يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشيء مما وقع من الأخبار، حتى

إذا صار قريبًا من الكوفة علم بما حصل وبمقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب فجعل يقول مرارًا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. وبلغه أيضًا مقتل الذي بعثه بالكتاب فقال لمن معه: خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه، وليس عليه منا ذمام. فتفرق الناس عنه يمينًا وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة. وسأل عن اسم الأرض التي نزلوا فيها فقالوا: كربلاء، قال: كرب وبلاء.

وجاء جيش ابن زياد وعليهم عمر بن سعد يريد قتال الحسين ﷺ، ودارت بين الطرفين مناقشات ومداولات ومناوشات قتالية، وأمر الحسين أصحابه أن يدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض، وألا يجعلوا للعدو مخلصًا إليهم إلا من جهة واحدة، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم، وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم، وكان ابن الحسين زين العابدين علي بن الحسين مريضًا وعمته زينب بنت علي تمرضه.

فلما صلى الحسين بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلاً يوم الجمعة وقيل يوم السبت العاشر من محرم وهو يوم عاشوراء، استعد الطرفان للقتال وصف الحسين أصحابه ثم دخل خيمة فاغتسل فيها وانطلى بالنورة وتطيب بمسك كثير، ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفًا فوضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعًا يديه يدعو، وركب ابنه علي بن الحسين المريض الضعيف فرسًا، ونادى الحسين القوم وكانوا قريبين منه: أيها الناس! اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم، فأنصت الناس كلهم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن قبلتم مني وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ﴾(١) ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٢)، فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء فقال عند ذلك: لا يبعد الله ابن عباس - يعني حين أشار عليه ألا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر - ثم بعث أخاه

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧١ . (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

العباس فسكتهن، ثم شرع يذكر للناس فضله وعظمة نسبه وعلو قدره وشرفه، ويقول: راجعوا أنفسكم وحاسبوها. هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري؟ وعلي أبي، وجعفر ذو الجناحين عمي، وحمزة سيد الشهداء عم أبي؟ وقال لي رسول الله ﷺ ولأخي: «**هذان سيدا شباب أهل الجنة**». فإن صدقتموني بما أقول فهو الحق، فوالله ما تعمدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك.. يخبرونكم بذلك، ويحكم! أما تتقون الله؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ ثم قال: أيها الناس ذروني أرجع إلى مأمني من الأرض، فقالوا: وما يمنعك أن تنزل على حكم بني عمك؟ فقال: معاذ الله **﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾**[(١)]، ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ثم قال: أخبروني أتطلبوني بقتيل لكم قتلته؟ أو مال لكم أكلته؟ أو بقصاصة من جراحة؟ فأخذوا لا يكلمونه. فنادى: يا شبيث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أنه قد أينعت الثمار واخضر الجناب، فاقدَم علينا، فإنك إنما تقدم على جند مجند؟ فقالوا له: لم نفعل. فقال: سبحان الله! والله لقد فعلتم، ثم قال: يا أيها الناس! إذ قد كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم، فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يؤذوك، ولا ترى منهم إلا ما تحب؟ فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لهم إقرار العبيد.

وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تحيز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارسًا فيما قيل، منهم الحر بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد، فاعتذر إلى الحسين مما كان منهم، فقبل منه الحسين، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين فخاطب عمر بن سعد: أصلحك الله! أمقاتل أنت هذا الرجل؟ ثم قال: يا أهل الكوفة لامكم الهبل، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٧.

الوسيعة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم العطش؟ بئس ما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه. فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين. وقال لهم عمر بن سعد: لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب ولكن أبى عليٌّ عبيد الله بن زياد. ثم ترامى الناس بالنبال، وتبارز بعض الرجال، وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم، وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة، وحمل عمرو بن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد فقُتل بعض أصحاب الحسين، ثم حمل شمر بن ذي الجوشن بالميسرة وقصدوا نحو الحسين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعًا عظيمًا، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة، فبعث إليهم نحواً من خمس مئة، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقي جميعهم رجَّالة. ثم جاء شمر بن ذي الجوشن يريد إحراق فسطاط الحسين فصاحت النسوة وخرجن منه، فقال له الحسين: أحرقك الله بالنار. وجاء شبيث بن ربعي إلى شمر قبحه الله فقال له: ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا، أتريد أن ترعب النساء؟ ثم شد أصحاب الحسين على شمر فأزالوه عن موقفه، وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قُتل بان فيهم الخلل، وإذا قُتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم، ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين: مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلي. فصلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً ودافع عن الحسين صناديد أصحابه الذين أخذوا يسقطون الواحد تلو الآخر. ثم أقبل شمر بن ذي الجوشن فحمل على أصحاب الحسين وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم، تنافسوا أن يُقتلوا بين يديه، وقال بعضهم للحسين: أبا عبد الله عليك السلام، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك وندفع عنك. وهو يدعو لهم ويقول: جزاكم الله أحسن جزاء المتقين.

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا ولم يبق معه إلا رجل واحد، وكان أول قتيل قُتل من أهل الحسين علي الأكبر بن الحسين، طُعن وهو يقي أباه، فخرجت زينب أخت الحسين فقالت: يا أخياه ويا ابن أخاه، فأكبت عليه وهو صريع فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط، وأمر به الحسين فحوِّل من هناك إلى بين يديه عند فسطاطه، ثم قُتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، ثم قُتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

ومكث الحسين نهارًا طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلا رجع عنه، لا يحب أن يلي قتله، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض دمه، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله، حتى جاءه رجل من بني بدَّاء، يقال له مالك بن البشير، فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه، وكان على الحسين برنس فقطعه وألقاه ودعا بعمامة فلبسها. وقُتل في حجره صبي صغير من أولاده اسمه عبد الله بسهم، فجعل يمسح الدم ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، وكذلك قُتل أبو بكر بن الحسين بسهم، ثم قُتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنوا علي بن أبي طالب، إخوة الحسين. ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نحو من عشرة من رجَّالة الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوهم فأحاطوا به فجعل شمر يحرضهم على قتله، فقال له أبو الجنوب: وما يمنعك أنت من قتله؟ فقال له شمر: إليَّ تقول ذا؟ فقال أبو الجنوب: إليَّ تقول ذا؟ فاستبا ساعة. ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه، ثم حمل عليه الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينًا وشمالاً، فيتافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع، ثم جعل لا يقدم أحد على قتله، حتى نادى شمر بن ذي الجوشن: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع، ثم نزل فذبحه وحز رأسه، ثم دفع رأسه إلى خولي بن يزيد. وقيل: إن الذي قتله شمر بن ذي الجوشن، وقيل: رجل من مذحج.

ووجد بالحسين حين قُتل ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، وهمَّ شمر بن ذي الجوشن بقتل علي بن الحسين الأصغر (زين العابدين) وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه. وجاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن على هذه النسوة أحد، ولا يقتل هذا الغلام أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئًا فليرده عليهم، فقال له علي بن الحسين: جزيت خيرًا فقد دفع الله عني بمقالتك شرًا. قُتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفسًا، فيهم ثلاثة وعشرون رجلاً من ولد الحسين وإخوته وأهل بيته، وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسًا.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «**أُتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجُعل في طست، فجعل ينكت وقال في حسنه شيئًا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوبًا بالوشمة**»[(١)].

كان مقتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة العاشر من المحرم وهو يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، بكربلاء من أرض العراق، وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها. لقد كان الحسين من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا وشجاعًا وسخيًا، فرضي الله عنه وأرضاه.

سأل رجل من أهل العراق عبد الله بن عمر عن المحرِم يقتل الذباب فقال رضي الله عنه: «أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[(٢)]، فقد تعجب ابن عمر من حرص أهل العراق على السؤال عن الشيء اليسير وتفريطهم في الشيء الجليل.

قال عبد الملك بن عمير: دخلت على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين بن علي بين يديه على ترس، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عبيد وإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

يحب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: **«ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما: عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر»**[1].

عبد الله بن مسعود[2]:

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مات أبوه في الجاهلية وأسلمت أمه وصحبت؛ فلذلك نسب إليها أحيانًا وكان يقال له «ابن أم عبد» ، كان عبد الله من السابقين إلى الإسلام، وقد أسلم قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان سبب إسلامه ما رواه بنفسه فقال: كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر، وقد فرا من المشركين، فقالا: **«يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا؟»** قلت: إني مؤتمَن، ولست ساقيكما، فقال النبي ﷺ: **«هل عندك من جَذَعَة[3] لم يَنْزُ عليها الفحل؟»** قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ﷺ، ومسح الضرع ودعا، فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة، فاحتلب فيها، فشرب، وشرب أبو بكر، ثم شربت، ثم قال للضرع: **«اقلص»**، فقلص، فأتيته بعد ذلك فقلت: علِّمني من هذا القول، قال: **«إنك غلام مُعَلَّم»**، قال: فأخذت من فِيه سبعين سورة، لا ينازعني فيها أحد[4].

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أول من جهر بالقرآن في مكة بعد رسول الله ﷺ؛ فقد اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا؛ قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه؛ قال: دعوني فإن الله سيمنعني. فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعًا بها صوته

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٧٧٣٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ١/٣١٤، ٥٢٤، ٦٣٦، وفتح الباري للعسقلاني ٧/١٠٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٦-١٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٢١٨.

(٣) الجذع: ما كان فتيًا، وهو من الضأن: ما تمت له سنة أو نحوها.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٤٤١٢، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾(١) ثم استقبلها يقرؤها. فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا؛ قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون.

لزم ابن مسعود رسول الله ﷺ وكان يحمل نعليه وسواكه وطهوره؛ ولهذا قيل عنه ﷺ: «**صاحب النعلين والوساد والمطهرة**»(٢). هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها. وفي غزوة بدر قام بالبحث عن أبي جهل بين القتلى فوجده وبه رمق بعد أن كان ضُرب مرتين، فأجهز عليه واحتز رأسه ووضعه بين يدي رسول الله ﷺ. وذات يوم كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أُحُد**»(٣).

طلب منه رسول الله ﷺ ذات يوم أن يقرأ عليه القرآن فقرأ عليه، قال: «قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**». قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»(٤). وفي رواية: فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾**(٥) قال: «**حسبك الآن**»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان»(٦).

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ١-٢.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما.
(٣) مسند أحمد، رقم: ٣٩٩١، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من أحبَّ أن يستمع القرآن من غيره.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك.

كان عبد الله وأمه يكثران من الدخول على النبي ﷺ وملازمته حتى اعتقد بعض الناس أنهما من أهل بيت النبي ﷺ؛ قال أبو موسى الأشعري: **«قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ، لِما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ»**[١]، فالحديث دال على ملازمته للنبي ﷺ وهو يستلزم ثبوت فضله. وكان عبد الله قريب السمت والطريقة والسيرة والحالة والهيئة بالنبي ﷺ حتى أنه لما سئل حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ ليؤخذ عنه قال: **«ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودَلاً بالنبي ﷺ من ابن أمِّ عبد»**[٢]. وقال حذيفة: **«ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أن ابن أم عبدٍ هو من أقربهم إلى الله زلفى»**[٣].

وقد أوصى رسول الله ﷺ أصحابه أن يستقرئوا القرآن من أربعة كان عبد الله من بينهم، وذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومُعاذ بن جبل»**[٤]؛ وقوله (فبدأ به) فيه أن التقديم يفيد الاهتمام، أما تخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم إما لأنهم كانوا أكثر ضبطًا له وأتقن لأدائه وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه ﷺ مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، أو أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك؛ فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعه غيرهم.

قال عبد الله: **«والله الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»**[٥]، وقال شقيق بن سلمة: خطبنا عبد الله بن مسعود

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٩٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

فقال: **«والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم»**، قال شقيق فجلست في الحِلقِ أسمع ما يقولون فما سمعت رادًا يقول غير ذلك(١).

فالصحابة رضي الله عنهم لم ينكروا قول ابن مسعود إنه أعلمهم؛ والمراد أعلمهم بكتاب الله كما صرح به، فلا يلزم منه أن يكون أعلم من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم بالسنة، ولا يلزم من ذلك أيضًا أن يكون أفضل منهم عند الله تعالى، فقد يكون واحد أعلم من آخر بباب من العلم أو بنوع والآخر أعلم من حيث الجملة، وقد يكون واحد أعلم من آخر وذاك أفضل عند الله بزيادة تقواه وخشيته وورعه وزهده وطهارة قلبه وغير ذلك، ولا شك أن الخلفاء الراشدين الأربعة كل منهم أفضل من ابن مسعود وهو ما يعرفه ابن مسعود نفسه ويقر به؛ ولهذا عقب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله **«وما أنا بخيرهم»**.

وكذلك أوصى رسول الله ﷺ بالتمسك بعهد ابن مسعود فقال ﷺ: **«اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي من أصحابي، أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمَّار، وتَمَسَّكوا بعهد ابن مسعود»**(٢).

لقد كان عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة، وممن انتشر علمه بكثرة أصحابه والآخذين عنه، وقد روى عن رسول الله ﷺ كثيرًا من الأحاديث، وولي بيت المال بالكوفة لعمر وعثمان، وكان ذات يوم قادمًا إلى المدينة ومعه جماعة من أهل العراق عُمَّار، فوجدوا جنازة على الطريق خارج المدينة فقيل لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، ولم يكن معه سوى امرأته وغلامه، فاستهل عبد الله يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فدفنوا أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شهد عبد الله بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة منها اليرموك وغيرها. وعندما جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسلمين على مصحف واحد وتلاوة واحدة وأمر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٩٢.

بحرق المصاحف الأخرى منعًا للاختلاف امتنع عبد الله في بادئ الأمر وقال: «**على قراءة مَن تأمروني أن أقرأ؟ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة**»[(١)]، أي من هو الذي تأمروني أن آخذ بقراءته وأترك مصحفي الذي أخذته من فم رسول الله ﷺ؟ فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين.

قدم عبد الله رضي الله عنه في أواخر عمره إلى المدينة فمرض ومات بها في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين، ودفن بالبقيع. عن أبي الأحوص قال: «**شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود، فقال أحدهما لصاحبه: أتُراه ترك بعده مثله؟ فقال: إن قلت ذاك إن كان لَيُؤْذَنُ له إذا حُجِبنا ويَشْهَدُ إذا غِبْنا**»[(٢)].

يحب النبي ﷺ خديجة[(٣)]

عن أم المؤمنين عائشة قالت: ما غِرْتُ على نساء النَّبِيِّ ﷺ إلا على خديجة وإني لم أُدركْها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشَّاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أَصدقاء خديجة**»، قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة. فقال رسول الله ﷺ: «**إني قد رُزِقْتُ حُبَّها**»[(٤)].

هي خديجة بنت خويلد، الطاهرة، أم المؤمنين، أول من آمن وأسلم من النساء، وهي من خير نساء الأرض، أول زوجة للنبي ﷺ، وهي أم أولاده جميعًا إلا إبراهيم.

كانت خديجة رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما.
(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٣٧/٧، السيرة النبوية لابن هشام ١٨٧/١ وما بعدها.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها.

صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. وكان ذلك قبل بعثته ﷺ بخمسة عشر سنة.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، فحدَّث ميسرة خديجة بما رآه من النبي ﷺ فرغبت في تزوجه، وكانت آنذاك في الأربعين من عمرها، في حين كان النبي ﷺ في الخامسة والعشرين من عمره؛ وتم الزواج فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، رضي الله عنها.

وولدت خديجة لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها: القاسم وبه كان يكنى، مات صغيرًا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله وُلد بعد المبعث فكان يقال له الطاهر والطيب، ويقال هما أخوان له، ومات الذكور صغارًا باتفاق. أما البنات فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

إن خديجة رضي الله عنها كانت خير سند ومعين لرسول الله ﷺ في أدق اللحظات وأخطرها في حياته ﷺ وذلك عند بدء الوحي و«أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلَك فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[1] فرجع بها رسول الله ﷺ

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٣.

يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: **«زمِّلوني زمِّلوني»**. فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: **«لقد خشيت على نفسي»**. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرَّحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزَّى - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: **«أوَمُخرجيَّ هم؟»** قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»[1]، ولكن خديجة لم تخذل رسول الله ﷺ بل نصرته نصرًا مؤزرًا، وكانت له سندًا متينًا، وآنسته مما نزل به من أمور ويسرتها عليه، وهونتها لديه.

ولما ابتدأ تنزيل القرآن على رسول الله ﷺ، آمنت به خديجة وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدَّق بما جاء منه. فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئًا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّته وتخفِّف عليه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى.

ولما كانت خديجة قد أجابت رسول الله ﷺ طوعًا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، أُمر رسول الله ﷺ بأن يبشرها ببيت في الجنة؛ فقد **«أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ٣.

قصب، **لا صخب فيه ولا نصب**»[1]؛ فلما أقرأها النبي ﷺ السلام قالت: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

كانت خديجة حريصة على رضا النبي ﷺ بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها. كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضًا غيرها. ومرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها، ولما نزلت آية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[2] دعا النبي ﷺ فاطمة، وحسنًا، وحسينًا، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»[3]؛ فمرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأن الحسن والحسين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها.

وكانت عائشة تقول للنبي ﷺ إذا أكثر من ذكر خديجة: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**»[4]، أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك، قالت عائشة: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق؛ قد أبدلك الله عزَّ وجلَّ خيرًا منها، قال: «**ما أبدلني الله عزَّ وجلَّ خيراً منها؛ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزَّ وجلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء**»[5].

فكان حب النبي ﷺ لخديجة لما تقدم ذكره من الأسباب، وهي كثيرة كل منها كان سببًا في إيجاد المحبة، ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٧٩.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.
(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٤٧٤٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

في حياتها غيرها؛ قالت عائشة: «**لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت**»[١]، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين؛ لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عامًا انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عامًا وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها.

ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت أن «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ولا يُنقص من أجورهم شيء**»[٢]. وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل.

ولأجل ذلك، ولأجل تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة، وثباتها في الأمر، وقوة يقينها، ووفور عقلها، وصحة عزمها؛ كانت خديجة مؤهلة لتكون من خير نساء الأرض؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**»[٣].

توفيت خديجة رضي الله عنها بعد مبعث النبي ﷺ بعشر سنين في شهر رمضان، وقبل الهجرة بثلاث سنين، عن خمس وستين سنة، فأقامت مع النبي ﷺ خمسًا وعشرين سنة. وبوفاتها تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وطمع المشركون برسول الله ﷺ وأخذت قريش تنال منه وتؤذيه خاصة بعد وفاة أبو طالب عم النبي ﷺ في العام نفسه؛ فخديجة كانت لرسول الله ﷺ وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وعمه كان عضدًا له، وحرزًا في أمره، ومنعة وناصرًا على قومه، فحزن النبي ﷺ حزنًا شديدًا حتى سمي هذا العام بعام الحزن.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

أحب الناس إلى النبي ﷺ فاطمة[(١)]

سأل جعفر وعلي وزيد رسول الله ﷺ: من أحب إليك؟ قال: «**فاطمة**»[(٢)].

هي فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ﷺ وبضعة منه، سيدة نساء أهل الجنة، أمها خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وُلدت فاطمة رضي الله عنها في الإسلام، وقيل قبل البعثة بخمس سنين في مكة، ولها أسماء متعددة منها: فاطمة، المباركة، الزكية، الصديقة، الراضية، المرضية، الزهراء، الطاهرة، وكان يطلق عليها أم النبي أو أم أبيها.

وقد كان لفاطمة الزهراء قوة نفس منذ صغرها، وكانت تدافع عن أبيها وتدفع عنه الأذى، وذات يوم كان رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة ورؤوس قريش في مجالسهم فعمدوا إلى وضع سلى جزور - وهو الجلدة التي يكون فيها ولد الناقة كالمشيمة للطفل - على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، فثبت النبي ﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك. فانطلق أحدهم إلى ابنته فاطمة وأخبرها فجاءت مسرعة وألقت السلى عن ظهر أبيها ﷺ وأقبلت عليهم تسبهم وتشتمهم وهم صناديد قريش ورؤوسها، فلم يردوا عليها.

تزوج علي بن أبي طالب فاطمة رضي الله عنهما بعد وقعة بدر في السنة الثانية، فولدت له حسنًا وحسينًا ومحسنًا مات صغيرًا، وأم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه، وزينب الكبرى. وقد خطب علي بنت أبي جهل على فاطمة، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت له: «إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكحًا ابنة أبي جهل» فقام النبي ﷺ وتشهد وقال: «**أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا**» وفي رواية ثانية: «**إني لست أحرِّم حلالاً ولا أحلُّ حرامًا ولكن**

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١١/١١٩.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ١٥٥٠.

والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً»[١]، فترك علي الخطبة ولم يتزوج غيرها إلا بعد وفاتها رضي الله عنها.

كانت فاطمة رضي الله عنها تشبه أباها ﷺ في عدة أمور، فكانت تشبهه في سمته وهديه وحديثه ومشيته وقيامه وقعوده، تقول عائشة رضي الله عنها: «**ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودَلاً. والهدى والدل، برسول الله ﷺ، من فاطمة كرم الله وجهها**»[٢]، وكان ﷺ يحترمها كثيراً ويقدرها، حتى إنها «**كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها**»[٣]. وقد نزل ملك فبشر رسول الله ﷺ بأن ابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، فقال ﷺ: «**إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل الليلة، استأذن ربه أن يسلِّم عليَّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**»[٤].

قال رسول الله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**»[٥]، وقال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة؛ غير نسبي وسببي وصِهري**»[٦].

ولأجل أن فاطمة من أحب الناس إلى أبيها المصطفى ﷺ، فقد طلب منها زوجات النبي ﷺ أن تتوسط لهن لدى أبيها في موضوع عائشة، تقول عائشة: «ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر. فكلمته فقال: «**يا بنية، ألا تحبين ما أحب؟**» قالت: بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع». وفي رواية مسلم: أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: «**أي بنية، ألست تحبين ما أحب**» فقالت: بلى، قال: «**فأحبي هذه**»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة رضي الله تعالى عنها.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٣٤٧.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٣٤٧ .

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٧٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة عليها السلام.

(٦) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤١٨٩.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

كانت فاطمة رضي الله عنها تعمل بيديها في بيت زوجها، ولم يكن لديها خادم، وقد نظفت البيت وكنَّسته حتى اغبرت ثيابها، واستقت بالقربة حتى أثرت في عنقها، وجرَّت بالرَّحى تطحن الحبوب حتى أثَّرت بيدها ومجلت وظهرت فيها فقاعات الماء بين الجلد واللحم، فلما جيء إلى النبي ﷺ بسبي، انطلقت إليه تريد أن تطلب منه خادمًا أي جارية تخدمها، فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، ويقول زوجها علي: «فجاء النبي ﷺ إلينا - وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم فقال: «**على مكانكما**». فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «**ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعًا وثلاثين، وتسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»[١]. فقد أحب النبي ﷺ لابنته ما أحب لنفسه من إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا، وإيثار الفقر وتحمل شدته بالصبر عليه تعظيمًا لأجرها وبما لها في ذلك من مزيد الثواب، فرضيت بذلك، رضي الله عنها وأرضاها.

وعندما كان رسول الله ﷺ في المرض الذي توفي فيه، دخلت عليه فاطمة فخصها ﷺ من بين نسائه بالإسرار، تقول عائشة: «اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «**مرحبًا بابنتي**» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثًا فبكت فاطمة، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضًا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين، «**ولا أُراني إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقًا بي، ونعم السلف أنا لك**». فبكيت لذلك، ثم إنه سارَّني فقال: «**ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ فضحكت لذلك**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها.

توفيت فاطمة رضي الله عنها سنة إحدى عشرة بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وقيل أقل وقيل أكثر من ذلك، ولها أربع وعشرون سنة، وقيل غير ذلك، رزئت بالنبي ﷺ دون غيرها من بناته فإنهن متن في حياته فكن في صحيفته، ومات هو ﷺ في حياتها فكان في صحيفتها.

أحب الناس إلى النبي ﷺ عائشة

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**»، فعدَّ رجالاً»[1].

عائشة هي أم المؤمنين زوجة خاتم الأنبياء والمرسلين وحبيبة رسول رب العالمين بنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال لها النبي ﷺ: «**أُريتُكِ في المنام مرتين، إذا رجل يحملك في سَرَقة حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها فإذا هي أنت. فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمضه**»[2].

كان مولد عائشة في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها. «**وتزوج النبي ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع، ومكثت عنده تسعًا**»[3]، ولم يتزوج بكرًا غيرها. وكان النبي ﷺ يحبها، وحبه لها مشهور بين المسلمين حتى أنهم إذا أرادوا أن يهدوا له كانوا ينتظرون يوم عائشة فيقدمون له الهدايا وهو في بيتها مما جعل أزواج النبي ﷺ الأخريات يشتكين من هذا الحال وقمن بمحاولات لتغييره. وتحكي عائشة رضي الله عنها ما حصل فتقول: «إنَّ نساء رسول الله ﷺ كنَّ حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ. وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها، حتى إذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذًا خليلاً».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين.

كان رسـول الله ﷺ في بيت عـائشـة بعث صاحب الهدية بها إلى رسـول الله ﷺ في بيت عائشة. فكلَّم حزب أم سلمة فقلن لها: كلِّمي رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسـول الله ﷺ هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئًا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا، فقلن لها: فكلميه، قالت: فكلمته حين دار إليها أيضًا، فلم يقل لها شيئًا. فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا. فقلن لها: كلميه حتى يكلمك. فدار إليها فكلمته، فقال لها: **«لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة»** قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر. فكلمته فقال: **«يا بنية، ألا تحبين ما أحب؟»** قالت: بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع. فأرسلن زينب بنت جحش، فأتته فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلَّم، فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها. فنظر النبي ﷺ إلى عائشة وقال: **«إنها بنت أبي بكر»**(١). وفي رواية مسلم: أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: **«أي بنية، ألست تحبين ما أحب»** فقالت: بلى، قال: **«فأحبي هذه»**(٢).

لقد طالب أزواج النبي ﷺ أن يسوِّي النبي ﷺ بينهن في كل شيء حتى في المحبة، وكان النبي ﷺ يسوي بينهن في النفقة والمبيت وهي القسمة الشرعية، أما المحبة فهي مما لا يملكه الإنسان بل الله وحده الذي يملك ذلك، فكانت عائشة أكثر زوجات النبي ﷺ محبة إلى قلبه، وكان ﷺ يقول: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**(٣)؛ وبالوقت نفسه كانت عائشة تبادله مثل هذا الحب؛ ولهذا كانت أكثر زوجاته غيرة عليه، ولها في الغيرة قصص متعددة؛ وتروي عائشة:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه، وتحرَّى بعض نسائه دون بعض.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

«أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع، فقال: **«ما لك يا عائشة أغرت؟»** فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك»(١).

وقالت أيضًا: «قال لي رسول الله ﷺ: **«إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى»** فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: **«أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم »**، قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك»(٢). قال الطيبي: هذا الحصر لطيف جدًا؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة. وقال ابن المنير: مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة مودة ومحبة(٣).

ومن فضائل عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام بعث لها سلامًا مع النبي ﷺ فقالت: «قال رسول الله ﷺ يومًا: **«يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام»**. فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»(٤). بل إن الله تعالى برَّأها في كتاب يُتلى إلى ما شاء الله من الفرية التي رماها بها أهل الإفك والبهتان من المنافقين، وتقول عائشة: «وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرِّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرِّؤني الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه... فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحك؛ فكانت أول كلمة تكلم بها: **«يا عائشة، أما الله عزَّ وجلَّ فقد برأك»**(٥). فقد أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ عشر آيات في براءة عائشة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**(٦) والآيات التسع التي تليها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن.

(٣) فتح الباري ٩/٣٢٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب **﴿لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾**.

(٦) سورة النور، الآية ١١.

وقد حافظ النبي ﷺ على حبه لعائشة حتى آخر لحظة في حياته، كيف لا وقد أخبره جبريل عليه السلام: «**هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**»[١]؛ فلما مرض النبي ﷺ واشتد به وجعه قبل وفاته حرص أن يكون في بيت عائشة واستأذن أزواجه أن يمرَّض في بيتها، فأذِنَّ له، وعن عائشة: «أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «**أين أنا غداً، أين أنا غداً؟**» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي»[٢] «ودفن في بيتي»[٣].

مات النبي ﷺ ولعائشة نحو ثمانية عشر عامًا، ولم تلد للنبي ﷺ ولدًا، وقد حفظت عنه شيئًا كثيرًا، وعاشت بعده قريبًا من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها. فعن أبي موسى قال: «**ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا**»[٤]. وعن موسى بن طلحة قال: «**ما رأيت أحداً أفصح من عائشة**»[٥].

وكان موت عائشة رضي الله عنها في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين وقيل في التي بعدها.

يحب النبي ﷺ معاذاً

قال رسول الله ﷺ: «**يا معاذ! والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**»[٦].

هو معاذ بن جبل، الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل كبير القدر، شهد بدرًا وما بعدها، وكان أحد الأربعة من الأنصار الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ؛

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٤١.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٤٤.
(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٤٥.
(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٤٧.

فعن أنس بن مالك قال: «**جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد**»(١). وقال النبي ﷺ: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي، ومعاذ بن جبل**»(٢).

وكان معاذ رضي الله عنه أعلم أمة محمد ﷺ بالحلال والحرام كما نص على ذلك رسول الله ﷺ: «**وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل**»(٣)، وقد أخذ رسول الله ﷺ بيده ذات يوم وأوصاه: «**أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٤). وقال عنه النبي ﷺ: «**نِعْم الرجل معاذ بن جبل**»(٥).

بعثه رسول الله ﷺ أميرًا على اليمن، وقال له: «**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(٦). وكذلك أقره خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على ذلك يعلم الناس الخير باليمن.

رجع معاذ من اليمن إلى المدينة، ثم خرج إلى الشام مجاهداً فكان بها. فلما أصيب أبو عبيدة بن الجراح بطاعون عمواس استخلف على الناس معاذ بن جبل، فأصيب معاذ بالطاعون وتوفي في السنة نفسها.

قال عنه ابن مسعود: كنا نشبهه بإبراهيم الخليل. وقال أيضًا: إن معاذًا كان قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨١.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٤٧.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٨٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

كانت وفاة معاذ رضي الله عنه في شرقي غور ينسان سنة ثماني عشرة. وقيل غير ذلك، عن ثمان وثلاثين سنة، وقيل عن ثلاث وثلاثين سنة، والله أعلم.



يحب النبي ﷺ أبا ذر الغفاري

عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يحب من أصحابي أربعة، أخبرني أنه يحبهم وأمرني أن أحبهم**». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**إن علياً منهم، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي**»[1].

أبو ذر الغفاري:

أبو ذر الغفاري اسمه جندب بن جنادة من بني غفار، لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ أرسل أخاه ليسمع من النبي ﷺ، ثم جاء بنفسه إلى النبي ﷺ وسمع منه وأسلم في مكانه. فقال له النبي ﷺ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه. وأتى العباس فأكب عليه قال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه[2].

وقال أبو ذر إنه هو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام؛ قال أبو ذر: وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلَّى، فلما قضى صلاته، قال أبو ذر: فكنت أنا أول من حيَّاه بتحية الإسلام، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «**وعليك ورحمة الله**»[3].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٢٨٦٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

عاد أبو ذر رضي الله عنه إلى قومه وأبلغهم فأسلم أخوه وأمه ونصف غفار وقال النصف الآخر: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا. فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله، إخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**»(١).

هاجر أبو ذر إلى المدينة، ثم لزم رسول الله ﷺ حضرًا وسفرًا، وروى عنه أحاديث كثيرة، وجاء فضل أبي ذر في أحاديث كثيرة، من أشهرها قول رسول الله ﷺ: «**ما اظلت الخضراء، ولا اقلت الغبراء، من ذي لهجة اصدق، ولا اوفى، من أبي ذر شبهُ عيسى ابن مريم**»(٢).

طلب أبو ذر من النبي ﷺ أن يستعمله فنصحه النبي ﷺ بأنه ضعيف وأن الإمارة أمانة؛ قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**»(٣)، وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأمَّرنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم**»(٤).

لقد كان أبو ذر رضي الله عنه صاحب مذهب عدم الادخار مطلقًا وذم اكتناز المال عملاً بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(٥)، واختار الزهد في الدنيا وخشونة العيش ودعا إلى ذلك، وحدثت خلافات بينه وبين بعض الصحابة بسبب ذلك، وكره الناس ما يدعو إليه ونفروا منه؛ قال الأحنف بن قيس: «جلست إلى ملإ من قريش، فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلَّم ثم قال: بشر الكانزين برضف يُحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٥٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. ثم ولّى فجلس إلى سارية. وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت. قال: إنهم لا يعقلون شيئًا - قال لي خليلي - قال: قلت: مَن خليلك؟ قال: النبي ﷺ: **«يا أبا ذر أتبصر أُحُدًا؟»** قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أُرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم. قال: **«ما أحب أن لي مثل أُحُدٍ ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير»**. وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا. لا والله، لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله»[١].

قال ابن عبد البر: وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يُذم فاعله، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة. وقال: والجمهور على أن الكنز المذموم ما لم تؤد زكاته[٢].

فقد «كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله ﷺ فيه الشدة ثم يخرج إلى قومه يسلم لعله يشدد عليهم، ثم إن رسول الله ﷺ يرخص فيه بعد فلم يسمعه أبو ذر فيتعلق أبو ذر بالأمر الشديد»[٣].

لما مات رسول الله ﷺ ومات أبو بكر خرج أبو ذر إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية خلاف، وكان معاوية إذ ذاك عامل عثمان على الشام. ويروى أن أبا ذر كان يحدثهم ويقول: لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم. فكتب معاوية إلى عثمان: إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذر. فكتب إليه عثمان أن اقدم عليَّ، فقدم إلى المدينة، ثم نزل الربذة وهي مكان معروف بين مكة والمدينة فأقام بها، قال زيد بن وهب: «مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال معاوية: نزلت في

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أُدِّي زكاته فليس بكنز.

(٢) فتح الباري للعسقلاني ٣/٢٧٣.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٧٠٧٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن اقدم المدينة، فقدمتها، فكثُر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريبًا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمَّروا عليَّ حبشيًا لسمعت وأطعت»[1]. فقد أراد عثمان رضي الله عنه دفع ما يتوقع من المفسدة بسبب مذهب أبي ذر في هذه المسألة، ولم يحنق عثمان على أبي ذر بدليل أنه لم يأمره بالرجوع عن مذهبه؛ لأن كلا منهما كان مجتهدًا، أما أبو ذر فما كان منه إلا أن سمع وأطاع واختار الربذة مكانًا للإقامة.

ويروى أن ناسًا من أهل الكوفة ممن يريد الخروج على عثمان حاولوا استغلال هذا الأمر ودعوا أبا ذر لقتال عثمان لكنه رفض وقال: «لا، لو أن عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت»، ويستفاد من ذلك التحذير من الشقاق والخروج على الأئمة، والترغيب في الطاعة لأولي الأمر[2].

وفي اختيار أبي ذر للسمع والطاعة سبب وجيه وهو أن النبي ﷺ قد تنبأ له بإخراجه من المسجد النبوي ومن الشام ونصحه بالسمع والطاعة، فظل أبو ذر على عهده؛ قال أبو ذر: «أتاني نبي الله ﷺ وأنا نائم في مسجد المدينة فضربني برجله فقال: **«ألا أراك نائمًا فيه»** قال قلت: يا نبي الله، غلبتني عيني، قال: **«كيف تصنع إذا أُخرجتَ منه»** قال: آتي الشام الأرض المقدسة المباركة، قال: **«كيف تصنع إذا أُخرجتَ منه»** قال: ما أصنع يا نبي الله أضرب بسيفي، فقال النبي ﷺ: **«ألا أدلك على ما هو خير من ذلك وأقرب رشدًا تسمع وتطيع وتنساق لهم حيث ساقوك»**[3].

أقام أبو ذر في الربذة ولم يكن معه سوى امرأته وغلامه، ومات رضي الله عنه في ذي الحجة من سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. وقد أرسل عثمان رضي الله عنه إلى أهله فضمهم مع أهله. وقد تنبأ النبي ﷺ لأبي ذر أنه سيموت وحده ويُبعث وحده وذلك حين كان النبي ﷺ في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، فعن عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أُدِّي زكاته فليس بكنز.

(٢) انظر: فتح الباري للعسقلاني ٣/٢٧٤.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢١٢٧٨، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

مسعود قال: «لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان فيقول: «**دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**» حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال: «**دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**»، فتلوم أبو ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيًا، ونزل رسول الله ﷺ بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل ماش على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا ذر**»، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**». قال: فضرب ضربه وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا مت فاغسلاني وكفناني من الليل ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمرون عليكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي وقال: صدق رسول الله ﷺ، يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده، فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه»[١].

يحب النبي ﷺ سلمان الفارسي

عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يحب من أصحابي أربعة، أخبرني أنه يحبهم وأمرني أن أحبهم**». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**إن عليًا منهم، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي**»[٢].

سلمان الفارسي:

سلمان الفارسي رضي الله عنه، أو سلمان الخير أبو عبد الله بن الإسلام، وهكذا كان يجيب إذا سئل عن نسبه، وهو صاحب رسول الله ﷺ. كان من أولاد الملوك ثم عشق

(١) رواه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٥، وقال: إسناده حسن ولم يخرجوه.
(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٢٨٦٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

الحق فصار يتنقل في أرض الله الواسعة باحثًا عن الهدى، وشاء الله عز وجل لسلمان أن يصل إلى المدينة قبل أن يهاجر إليها النبي ﷺ ثم أسلم أول الهجرة.

كان سلمان قبل إسلامه مجوسيًا من أهل فارس، قال سلمان: « **أنا من رام هُرْمُز**»[1] وهي مدينة معروفة بأرض فارس بقرب عراق العرب، وذُكر أيضًا أنه كان من أهل أصبهان، وأنه من أهل قرية منها يقال لها جَيّ، وتسمى الآن شهرستان. وكان أبو سلمان شيخ قريته ومن حبه الشديد لسلمان حبسه في بيته ملازمًا للنار، وجاهد في المجوسية حتى أصبح خادمها الذي يوقدها ولا يتركها تخبو ساعة لتعظيمهم إياها.

وكان لوالد سلمان ضيعة كبيرة فشُغل عنها في بنيان له يومًا فأرسل سلمان ليطَّلع عليها ويقوم ببعض الأعمال فيها وأمره بعدم التأخر عليه حتى لا يقلق عليه لكونه أهم من ضيعته. فخرج يريد ضيعة أبيه فمرَّ بكنيسة من كنائس النصارى فسمع أصواتهم فيها وهم يصلون، وكان لا يدري ما أمر الناس بسبب حبس والده له، فدخل عليهم ينظر ما يصنعون فأعجبته صلاتهم ورغب في أمرهم وقال: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه. فما تركهم حتى غروب الشمس وترك ضيعة أبيه ولم يأتها، وسألهم عن مكان أصل هذا الدين، فقالوا له: بالشام.

ثم رجع سلمان إلى أبيه الذي بعث في طلبه وشُغل عن عمله كله بسبب تأخر ابنه، فلما جاءه سأله عن سبب تأخره وإلى أين ذهب، فأخبره سلمان بما جرى معه وأنه أُعجب بما رأى من دين النصارى، فقال له أبوه: أي بني، ليس في ذلك الدين خير؛ دينك ودين آبائك خير منه، قال سلمان: كلا والله إنه خير من ديننا. فخافه أبوه فجعل في رجله قيدًا وحبسه في بيته. وبعث سلمان إلى النصارى وطلب منهم أن يخبروه إذا قدم عليهم تجار من النصارى من الشام وقضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم. فلما قدم تجار من نصارى الشام وأرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروه بهم، فألقى الحديد من رجليه ثم خرج معهم حتى قدم الشام.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.

فلما قدمها سأل عن أفضل أهل هذا الدين، فقالوا: الأسقف في الكنيسة. فجاءه وقال له: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل، فدخل معه. قال سلمان: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق. قال: وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع.

ثم مات الأسقف فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فأخبرهم سلمان بما كان الأسقف يفعله ودلهم على الذهب والفضة فأخرجوها فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ثم جاؤوا برجل آخر فجعلوه بمكانه. وكان هذا الأسقف صالحًا زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة، فأحبه سلمان حبًا لم يحبه من قبله وأقام معه زمانًا ثم حضرته الوفاة فقال سلمان له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبًا لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل وهو فلان؛ فهو على ما كنت عليه فالحق به.

فلما مات الأسقف ودُفن لحق سلمان بصاحب الموصل وأخبره أن فلانًا أوصاه عند موته أن يلحق به، فطلب الأسقف من سلمان أن يقيم عنده فأقام عنده فوجده خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قال له: يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا بنصيبين، وهو فلان فالحق به.

فلما مات الأسقف ودُفن لحق سلمان بصاحب نصيبين وأقام عنده، فوجده على أمر صاحبيه، فما لبث أن نزل به الموت، فقال له مثلما قال لمن قبله وسأله إلى من يوصي به فقال الأسقف: أي بني، والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه بمثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته.

فلما مات الأسقف ودُفن لحق سلمان بصاحب عمورية وأخبره خبره، وأقام عنده فوجده على هدي أصحابه وأمرهم، واكتسب سلمان حتى كان له بقرات وغنيمة، ثم نزل بالأسقف أمر الله، وقال له سلمان كما قال لمن قبله وسأله إلى من يوصي به، فقال الأسقف: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرضٍ بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. ثم مات هذا الأسقف الذي أكد على أنه لم يعد في الأرض بعده من هو على الدين الذي أرسل الله به عيسى ابن مريم عليه السلام؛ وذلك كمقدمة للنبي الجديد الذي سيرسله الله برسالة جديدة على التوحيد الذي كان عليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وهو محمد ﷺ.

وبعد دفن الأسقف مكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث، ثم مر به نفر من قبيلة كلب تجارًا، فطلب منهم أن يحملوه إلى أرض العرب ويعطيهم بقراته وغنيمته، فحملوه معهم حتى إذا قدموا به وادي القرى ظلموه وباعوه من رجل من يهود عبدًا بعد أن كان حرًا. فكان عند اليهودي ورأى النخل ورجا أن تكون البلد الذي وصف له صاحبه. وبينما سلمان عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاع سلمان منه فاحتمله إلى المدينة، قال سلمان: فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان قاتل الله بني قيلة؛ والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العرواء (القشعريرة) حتى ظننت سأسقط على سيدي، ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبت عما قال.

وقد كان عند سلمان شيء قد جمعه، فلما أمسى أخذه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخل عليه، فقال له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك

غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**كلوا**» وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة. ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان اثنتان. ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ «**تحوَّل**» فتحولت، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد، ثم قال له رسول الله ﷺ: «**كاتب يا سلمان**»، قال سلمان: فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة أحييها له بالفقير، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**» فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي**»، ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي عليَّ المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب**»، فدعيت له، فقال: «**خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان**» فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ، قال: «**خذها؛ فإن الله عزَّ وجلَّ سيؤدي بها عنك**»، فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد[1].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٣٦٢٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. (باختصار).

وهكذا أصبح سلمان الفارسي رضي الله عنه صاحب خاتم النبيين ورسول رب العالمين إلى الناس أجمعين بعد أن تنقل من شخص إلى شخص، ومن بلد إلى بلد، وصار له فضل كبير بين المسلمين، بل صار إغضابه يعد إغضابًا لله، والله عز وجل يغضب لغضبه؛ حتى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه يأتي إليه وإلى بعض إخوانه من الصحابة معتذراً إليهم وراجيًا ألا يكون قد أغضبهم، فيدعون الله تعالى أن يغفر له؛ فعن عائذ بن عمرو «أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: **«يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»** فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[(١)].

وبعد وفاة النبي ﷺ واصل سلمان رضي الله عنه الجهاد مع الصحابة، وفي سنة ست عشرة من الهجرة رافق سلمان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أثناء فتحه لبلاد الفرس، بعد انتصاره في غزوة القادسية، وعندما حاصر سعد مدينة نهرشير، وهي إحدى مدينتي كسرى، امتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع، فبعث إليهم سلمان فدعاهم. ولما جاء سعد بالجيش إلى القصر الأبيض في المدائن دعا أهله ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي.

وكان سلمان يخاطب الفرس ويخبرهم أنه فارسي منهم ويدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال؛ عن أبي البختري قال: **«حاصر سلمان الفارسي قصراً من قصور فارس، فقال له أصحابه: يا أبا عبد الله؛ ألا تنهد إليهم؟ قال: لا؛ حتى أدعوهم كما كان يدعوهم رسول الله ﷺ، قال: فأتاهم فكلمهم، قال: أنا رجل فارسي وأنا منكم والعرب يطيعوني، فاختاروا إحدى ثلاث: إما أن تسلموا، وإما أن تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون غير محمودين، وإما أن ننابذكم فنقاتلكم، قالوا: لا نسلم ولا نعطي الجزية ولكنا ننابذكم، فرجع سلمان إلى أصحابه، قالوا: ألا تنهد إليهم؟ قال: لا. فدعاهم ثلاثة أيام فلم يقبلوا، فقاتلهم ففتحها»**[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٣٦٢٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

عُيِّن سلمان أميرًا على المدائن فأقام فيها حتى توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: ستة وثلاثين هجرية.

يحب النبي ﷺ المقداد

عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يحب من أصحابي أربعة، أخبرني أنه يحبهم وأمرني أن أحبهم**». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**إن عليًا منهم، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي**»[(١)].

المقداد بن الأسود الكندي:

المقداد بن عمرو رضي الله عنه ويقال له المقداد بن الأسود؛ لأن الأسود بن عبد يغوث كان قد تبناه فصار ينسب إليه، والكندي؛ لأن أباه كان حليفًا لكندة، صاحب رسول الله ﷺ، وهو من السبعة الذين كانوا أول من أظهروا إسلامهم وتحمل نتيجة ذلك من تعذيب قريش له، وهو أول فرسان الإسلام ومن الشجعان المعروفين، فإذا دعا رسول الله ﷺ إلى الفزعة كان المقداد أول من يفزع؛ وفي غزوة ذي قرد لما دعا رسول الله ﷺ إلى القتال كان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد رضي الله عنه.

أما في غزوة بدر فقد كان للمقداد مشهد عظيم، تمنى ابن مسعود لأن يكون هو صاحبه، وأن هذا المشهد أحب إليه مما على الأرض من شيء؛ قال ابن مسعود: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به؛ أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا**﴾[(٢)] ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسَرَّه، يعني قوله»[(٣)].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٢٨٦٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤، وتمامها: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم..﴾.

مواقف المقداد مع النبي ﷺ كثيرة منها ما يرويه بنفسه فيقول: «أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال النبي ﷺ: **«احتلبوا هذا اللبن بيننا»** قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع للنبي ﷺ نصيبه، قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل قال: ندمني الشيطان، فقال: ويحك ما صنعت أشربت شراب محمد فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك؟ وعليَّ شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي وإذا وضعتها على رأسي خرجت قدماي وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ﷺ فسلَّم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلَّى ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا فرفع رأسه إلى السماء فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك، فقال: «اللهم أطعم من أطعمني وأسق من أسقاني» قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها علي وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ فإذا هي حافلة، وإذا هن حفل كلهن، فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال: **«أشربتم شرابكم الليلة؟»** قال: قلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد رَوِيَ وأصبت دعوته ضحكت حتى أُلقيت إلى الأرض، قال: فقال النبي ﷺ: **«إحدى سوآتك يا مقداد»** فقلت: يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا فقال النبي ﷺ: **«ما هذه إلا رحمة من الله، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها»** قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبْتَها وأصبْتُها معك مَن أصابها من الناس»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

فقد كان عند المقداد حزن شديد خوفًا من أن يدعو عليه النبي ﷺ لكونه أذهب نصيب النبي ﷺ وتعرض لأذاه، فلما علم أن النبي ﷺ قد روي وأُجيبت دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكه لذهاب ما كان به من الحزن وانقلابه سرورًا بشرب النبي ﷺ وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه وجريان ذلك على يد المقداد وظهور هذه المعجزة، ولتعجبه من قبح فعله أولاً وحسنه آخرًا؛ ولهذا قال ﷺ: «**إحدى سوآتك يا مقداد**» أي إنك فعلت سوءة من الفعلات ما هي؟ فأخبره خبره، فقال النبي ﷺ: «**ما هذه إلا رحمة من الله**» أي إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته وإن كان الجميع من فضل الله تعالى[(١)].

وكان المقداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يخاف في الله لومة لائم خاصة إذا كان في ذلك تنفيذ لأمر من أوامر رسول الله ﷺ أو عمل بوصية من وصاياه، وذات يوم كان المقداد جالسًا في مجلس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فجعل يرمي الحصى في وجه رجل كان يمدح عثمان، فلماذا فعل المقداد ذلك؟ عن همام بن الحارث: أن رجلاً جعل يمدح عثمان فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخمًا، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[(٢)].

إن كثيرًا من المؤمنين المحبين للنبي ﷺ يتمنون أن لو كانوا في زمن النبي ﷺ حتى يكونوا من أصحابه ويملؤون أعينهم من رؤيته، وهم يغبطون كل من رآه وصحبه، ولكن قد يفوت على كثير منهم حقيقة مهمة وهي أنه ليس كل من يكون في أيام النبي ﷺ يكون مؤمنًا أو صاحبًا للنبي ﷺ، فقد كان في زمن النبي ﷺ كثير من الكفار والمشركين، بل إن منهم من حارب النبي ﷺ وآذاه بالقول والفعل، ومنهم من أبى حتى أن يتلفظ بـ (لا إله إلا الله) ويدخل بها الجنة، فربما مَن يتمنى أن لو كان في زمن النبي ﷺ يكون من هؤلاء ولا يكون من أصحاب النبي ﷺ؛ وقد حصل مع المقداد موقف فيه بيان لهذه المسألة المهمة؛ فعن جبير بن نفير قال: «جلسنا إلى

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ١٤/١٥-١٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على المدوح.

المقداد بن الأسود يومًا، فمر به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ؛ والله لوددنا أنَّا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت أعجب! ما قال إلا خيرًا؟ ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرًا غيَّبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؛ والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبَّهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، أوَلا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم قد كُفيتُم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال بُعِثَ عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفُرْقان فَرَقَ به بين الحق والباطل، وفَرَّقَ بين الوالد وولده حتى إنْ كان الرجل ليرى والده وولده أو أخاه كافرًا وقد فتح الله قُفْلَ قلبه للإيمان يعلم أنه إنْ هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار وأنها للتي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[1]»[2].

وقد مات المقداد بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين.

يحب النبي ﷺ زاهرًا

قال رسول الله ﷺ: «**إن زاهرًا باديتنا، ونحن حاضروه**»[3]، قال أنس: «**وكان النبي ﷺ يحبه**»[4].

هو زاهر بن حرام، كان بدويًا شجاعًا، لا يأتي النبي ﷺ إلا أتاه بطرفة أو تحفة من البادية؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إن زاهرًا باديتنا**» باديتنا أي ساكن باديتنا، أو يهدي إلينا من صنوف نبات البادية وأنواع ثمارها فصار كأنه باديتنا، أو إذا

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٣٧٠٠، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٠٨٧.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٢٥٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

تذكرنا البادية سكن قلبنا بمشاهدته، أو إذا احتجنا متاع البادية جاء به إلينا فأغنانا عن الرحيل.

«ونحن حاضروه» أي نجهزه بما يحتاج إليه من الحاضرة، أو أنه لا يقصد بالرجوع إلى الحاضرة إلا لمخالطتنا. عن أنس: **«أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا كان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج»**[(١)].

لقد كان النبي ﷺ يحب زاهرًا وكان رجلا دميمًا. وفي أحد الأيام أتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه وجعل النبي ﷺ يقول: **«من يشتري العبد؟»** فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: **«لكن عند الله لست بكاسد** - أو قال - **«لكن عند الله أنت غال»**[(٢)].



أحب الناس إلى النبي ﷺ الأنصار[(٣)]

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ فقال: **«والذي نفسي بيده، إنكم أحب الناس إليَّ»** وفي رواية: **«اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ»** قالها ثلاث مرار[(٤)].

هم الأنصار الذين نصروا الله ورسوله، وآووا النبي ﷺ وواسوه هو وأصحابه بأموالهم، وقدموا له مدينتهم (يثرب) المدينة النبوية لتكون عاصمة للدولة الإسلامية، ومنطلقًا لدعوة النبي ﷺ إلى كل أرجاء الأرض، هم الأوس والخزرج، هم

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٢٥٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٢٥٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٢/١ وما بعدها، ٦١٥/١، وفتح الباري للعسقلاني ٦٣/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ٦٤/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٦٢/٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: أنتم أحب الناس إليَّ.

الذين جعل رسول الله ﷺ حبهم آية الإيمان وبغضهم آية النفاق. بل قال ﷺ عنهم: **«الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»**[1]. فمَن هؤلاء الأنصار الذين قال النبي ﷺ إنه **«لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»**[2].

الأنصار هو اسم إسلامي، سمى به النبي ﷺ الأوس والخزرج فصار ذلك علماً عليهم، وأطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم. والأوس ينسبون إلى أوس بن حارثة، والخزرج ينسبون إلى الخزرج بن حارثة، وهما ابنا قيلة، وهو اسم أمهم، وأبوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع إليه أنساب الأزد. وكبير الأوس في عهد النبي ﷺ هو سعد بن معاذ رضي الله عنه، وكبير الخزرج هو سعد بن عبادة.

لقد كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم الله ما بعثه به. فكان بعضهم لا يقبلون منه ما يعرض عليهم، وبعضهم يشترطون عليه أن يكون لهم الأمر من بعده، بل وبعضهم يردون عليه بأقبح رد. فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع الناس بالموسم، وكان ﷺ لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف، إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فأجابوه فيما دعاهم إليه، وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام؛ حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة فبايعوه على بيعة النساء وهي بيعة العقبة الأولى؛ لأنه لم يؤذن للنبي ﷺ في الحرب ولم تحلل له

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار».

الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل. فعن عبادة بن الصامت وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك**[١]. وقد بعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عُمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين.

ثم خرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله. فبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية، وهي بيعة الحرب، فعن عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه «**فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومَكْرَهنا وعُسرنا ويُسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[٢] وفي رواية: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أَثَرَة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**»[٣]. فقد نزل الأمر لرسول الله ﷺ في القتال. وكان الذين بايعوا في هذه البيعة ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج.

بعد ذلك أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ بنفسه إلى المدينة ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أمورًا تنكرونها».

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

وقد شهد الأنصار مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، فحاربوا معه ودافعوا عنه، ووفوا بما بايعوه عليه، وكانت لهم المواقف العظيمة، ويوم وقعة بدر الكبرى وهي المعركة الفاصلة بين الإيمان والكفر، وقف رسول الله ﷺ يخاطب الناس ليستوثق من أمر الأنصار وقال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**». وإنما يريد الأنصار؛ لأنهم أكثرية الناس. فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**»؛ قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشَّطه ذلك. ففرق كبير بين أتباع رسول هو موسى عليه السلام يقولون له: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون؛ وبين أتباع محمد ﷺ الذين قالوا له: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون.

قال رسول الله ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[(١)]. لقد خص الله تعالى الأنصار بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم.

وقد مدحهم الله عز وجل وأثنى عليهم في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[(٢)]. أي إن الأنصار يحبون المهاجرين ولا يحسدونهم على ما أوتوا، ويؤثرونهم على أنفسهم فيقدمون لهم الأموال والمنازل مع احتياجهم إليها. ولهذا جاء الترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان، تنويهاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركًا لهم في الفضل المذكور كل بقسطه.

وقد كان رسول الله ﷺ يدعو للأنصار فيقول: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**»(١). وكان ﷺ يوصي بهم فيقول: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»(٢). كرشي وعيبتي: أي إنهم بطانتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري. وعن خولة بنت حكيم الأنصارية قالت: قلت: يا رسول الله؛ إن لك حوضًا؟ قال: «**نعم، وأحب من ورده عليَّ قومك**»(٣).

فمن عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، ثم أحبهم لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ. قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**(٤).



يحب النبي ﷺ المساكين

قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل الأنصار.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ «اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٧١٨٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٥٨٢.

المساكين:

المساكين هم الذين أسكنتهم الحاجة وأذلتهم، وهم المحتاجون من ذوي الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم، واختلف في أيهما أسوأ حالاً من الآخر الفقير أم المسكين. وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يغنيه، ولا يُفطن به فيُتَصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**»(١).

لقد ذكر الله تعالى المساكين في كثير من آيات القرآن الكريم، فأمر بالإحسان إليهم ومواساتهم وتفقد أحوالهم ومساعدتهم، قال الله تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾**(٢)، وأمر تعالى بالإنفاق والتصدق عليهم، ودفع الزكاة لهم، قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ...﴾**(٣) الآية. وقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا المال خَضِرة حلوة، فنِعمَ صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل**»(٤).

لقد كان رسول الله ﷺ يحب المساكين، ويدعو الله تعالى أن يحييه مسكينًا، وأن يميته مسكينًا، وأن يحشره في زمرة المساكين؛ فعن أبي سعيد الخدري قال: أحبوا المساكين، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين**»(٥). وكان ﷺ يسأل عن المساكين ويستفسر عن أحوالهم، فيساعد محتاجهم، ويعود مريضهم، ويخرج في جنائزهم، ويصلي عليهم. وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره أن مسكينة مرضت، فأُخبر رسول الله ﷺ بمرضها - وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين، ويسأل عنهم -

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافًا﴾.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٠. وتمامها: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٢٨.

فقال رسول الله ﷺ: «**إذا ماتت فآذنوني**». فأُخرج بجنازتها ليلاً، وكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ، أُخبر بالذي كان منها، فقال: «**ألم آمركم أن تؤذنوني بها؟**» قالوا: يا رسول الله كرهنا أن نوقظك ليلاً، فخرج رسول الله ﷺ حتى صف بالناس على قبرها، وكبر أربع تكبيرات»[(١)].

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: «**كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد، حتى يقضي له حاجته**»[(٢)]. وكان ﷺ يقول: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار**»[(٣)]، والساعي هو الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع المسكين.

وعن أبي هريرة أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: «**إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم**»[(٤)]، فجعل ﷺ إطعام المسكين سببًا في تليين القلوب القاسية. وإن عدم إطعام المسكين هو أحد أسباب دخول المجرمين في النار ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾[(٥)]، وقد حث النبي ﷺ على إعطاء المسكين أدنى ما تيسر، وعدم رده بلا شيء؛ فعن أم بجيد قالت: يا رسول الله! صلى الله عليك، إن المسكين ليقوم على بابي فما أجد له شيئًا أعطيه إياه؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**إن لم تجدي له شيئًا تعطينه إياه إلا ظلفًا محرقًا، فادفعيه إليه في يده**»[(٦)].

وقد أخبر رسول الله ﷺ بما يمتاز به المساكين يوم القيامة، إذ إن عامة من يدخل الجنة هم؛ قال رسول الله ﷺ: «**قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدِّ محبوسون**»[(٧)]؛ أصحاب الجدِّ؛ قيل: أصحاب البخت

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ١٧٩٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٠٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٤١٠.

(٥) سورة المدثر، الآيات: ٤٢-٤٤.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٤٦٦.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها، وقيل: أصحاب الولايات، وهم ممنوعون من دخول الجنة مع المساكين والفقراء من أجل المحاسبة، ويسبقهم الفقراء والمساكين إلى دخول الجنة بخمس مئة عام كما أخبر المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه: **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمس مئة عام»**[١]؛ لأن طول اليوم هو ألف سنة كما في قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾**[٢].

وقد **«احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله - عزَّ وجلَّ - لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء - وربما قال - أصيب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»**[٣].

يحب النبي ﷺ النساء

قال رسول الله ﷺ: **«حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء، والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[٤].

لقد كان رسول الله ﷺ يحب النساء، وكل رجل طبيعي يحب النساء؛ ولهذا أباح الله تعالى للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة فقال تعالى: **﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾**[٥].

قال الله تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٦].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩١٨.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٧.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب جهنم أعاذنا الله منها.
(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣١٢٤.
(٥) سورة النساء، الآية: ٣.
(٦) سورة الروم، الآية: ٢١.

أي خلق لكم من جنسكم إناثًا تكون لكم أزواجًا ﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾؛ يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر. ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك(١).

والمرأة من نفس الرجل وهو وهي نفس واحدة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(٢). فالرجل يسكن إلى زوجته ويأنس بها ويطمئن، وليس هناك ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين. والمرأة نعيم عاجل، خاصة إذا كانت تحمل صفات الزوجة الصالحة التي قال عنها النبي ﷺ: **«خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»**(٣).

فالمرأة آية من آيات الله تعالى.. ومن أجمل متع الحياة، ونعمة عظيمة أنعم الله بها على الرجل بدءًا من آدم عليه السلام ثم للذكور من ذريته.. والنعم التي ينعم الله بها على الرجل بواسطة المرأة لا تحصى.. فهي تحصن فرج الرجل وتساعده على غض البصر عن النساء.. وتقوم على خدمته، وتنجب ذريته وترضعهم وتربيهم.. وتحضِّر طعامه.. وتغسل ثيابه.. وتنظف بيته.. وتُكرم ضيوفه..

تمرِّضه إذا مرض.. وتواسيه إذا حزن.. تفرح لفرحه وتغضب لغضبه.. لا يستغني عنها الرجل ما دام حيًا فهي ضلعه وشقه الآخر.. عند مرفأها ترسو سفن أحلامه.. ومن حنانها وعطفها ورقتها يستمد.. وفي حضنها تستريح أعصابه المتوترة وتهدأ نفسه..

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/٤٣٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.
(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٢٩٨.

إن نعم الله في المرأة كثيرة جدًا **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**(١)؛ ولهذا أمر الله تعالى بالإحسان إلى المرأة ومعاشرتها بالمعروف فقال تعالى: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**(٢)، وقال تعالى: **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**(٣)؛ والآيات في ذلك كثيرة. وقال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(٤).

إن مباشرة النساء ألذ الأشياء بالنسبة إلى البدن مع ما يتضمن من حفظ الصحة وبقاء النسل المستمر لنظام الوجود. قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»(٥).

أحب الناس إلى النبي ﷺ أحسنهم أخلاقًا

عن عبد الله بن عمرو: إنَّ رسول الله ﷺ لم يكن فاحشًا ولا مُتفحِّشًا، وقال: «**إنَّ من أحَبِّكُمْ إليَّ أَحْسَنَكُمْ أخلاقًا**»(٦). وقال ﷺ: «**إنَّ مِن أَحَبِّكُمْ إلَيَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»(٧).

إن أصحاب الأخلاق الحسنة من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وكيف لا يكونون كذلك إليه وقد أخبر ﷺ أنهم أحب العباد إلى الله تعالى: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقًا**»(٨).

حسن الخُلُق(٩):

الخُلُق والخَلْق عبارتان مستعملتان معًا، يقال: فلان حسن الخُلُق والخَلْق، أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤ .
(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨ .
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٥٧.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٧) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٤٢.
(٨) صحيح الجامع، رقم: ١٧٩.
(٩) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٥٢-٧٠، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٤٥٦، ٤٥٩ وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/١٠٧.

الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرَك بالبصر، ومن روح ونفس مدرَك بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة. فالخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا سميت تلك الهيئة خُلُقًا حسنًا. ولا يوصف الإنسان بخُلُق حسن ما حتى يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وتصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، أما مَن تكلف عمل ما بجهد وروية فلا يقال إن هذا خُلُقه. ومثال على ذلك الذي يتكلف بذل المال لحاجة عارضة أو يسكت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خُلُقه السخاء والحلم.

إن الخلقة الظاهرة لا يمكن تغييرها في حين الأخلاق على العكس من ذلك حيث تقبل التغيير؛ ولهذا وُجد الدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجدت الوصايا والمواعظ والتأديبات، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. فتغيير ما بالنفس من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة واكتساب أخلاق حسنة جديدة ممكن بالمجاهدة ورياضة النفس، وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلُق الحسن المطلوب؛ وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه ليرشده إلى أحسن الأخلاق ويوفقه للتخلق بها: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[2]. وكان ﷺ يوصي: «**وخالق الناس بخُلُق حسن**»[3].

والأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك.. والخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها إن كان

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٨.

محمودًا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودًا، وكذا إن كان ضعيفًا فيرتاض صاحبه حتى يقوى.

إن لحسن الخُلُق ثمرات وهي علامات تدل عليه، فقيل: حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى واحتمال المؤن. وقيل: هو ألا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله. وقيل: هو أن يكون من الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا. وقيل: هو إرضاء الخلق في السراء والضراء. وقيل: هو الرضا عن الله تعالى. وقيل: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه. وقيل: ألا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس. وقيل: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال. وقيل: هو ألا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق. وقيل: هو ألا يكون لك هم غير الله تعالى.

وجمع بعضهم علامات حسن الخُلُق فقال: هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا رضيًا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا ولا نمامًا ولا مغتابًا ولا عجولاً ولا حقودًا ولا بخيلاً ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

قال رسول الله ﷺ: **«ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**(١). وقال عليه الصلاة والسلام: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم»**(٢). وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم في الليل في الطاعة فاستويا في الدرجة بل ربما زاد.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٢٩.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠١٣.

يحب النبي ﷺ صاحب الخصال الثلاث

قال رسول الله ﷺ: «**إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار**»(١).

١- صدق الحديث:

صدق الحديث هو ضد الكذب؛ وهو أن يصدق الإنسان في كلامه الذي يتحدث به إلى الناس ويتحرى الصدق بكل ما يتلفظ به لسانه ويتجنب الكذب. وقد حذَّر رسول الله ﷺ من الكذب حتى ولو كان على سبيل الإضحاك فقال ﷺ: «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له**»(٢).

بل إن الذي يحدث بكل ما يسمعه من الناس كفاه كذبًا، قال عليه الصلاة والسلام: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»(٣)، أي يكفيه ذلك من الكذب فإنه قد استكثر منه؛ لأن ما يسمعه الإنسان فيه الصدق وفيه الكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع حدَّث بالكذب لا محالة، وقد أخبر ﷺ أن من علامات المنافق: «**إذا حدَّث كذب**»(٤).

ولهذا حذَّر النبي ﷺ من الكذب حتى لا يؤدي بصاحبه إلى النار فقال عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا**»(٥)؛ فهذا تحذير من الكذب والتساهل فيه؛ فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله كذابًا إن اعتاده واستحق صفة الكذابين وعقابهم؛ فإما يُشتهر بهذه الصفة في الملأ الأعلى وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألسنتهم. وحتى لا يقع المسلم في ذلك حث النبي ﷺ على الصدق وقصده والاعتناء به حتى يؤدي به إلى الجنة ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم ويُشتهر بذلك في الملأ الأعلى أو عند

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٩٩٨.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٥.

(٣) أخرجه مسلم في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

الناس[١]، فقال ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا**»[٢].

والله عز وجل يرضى عن الصادقين وفي الآخرة لهم الفوز العظيم، قال تعالى: **﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٣]. بل إن العبد الذي يصدق ويتحرى الصدق فإن الله يحبه كما أخبرنا رسوله ﷺ: «**إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله ... اصدقوا إذا حدَّثتم**»[٤]، ومن يحبه الله تعالى فإن رسول الله ﷺ يحبه، وإن أصدق الحديث هو الأحب إلى النبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال ﷺ: «**أحبُّ الحديث إليَّ أصدقه**»[٥].

ولأن الصدق شأنه عظيم فقد مدح الله عز وجل نفسه به فقال تعالى: **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾**[٦]. أي لا أحد أصدق من الله في حديثه وخبره ووعده ووعيده جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه لا إله إلا هو ولا معبود بحق إلا هو.

٢- أداء الأمانة:

هي أن يقوم المؤتَمَن بتسليم المؤتمِن ما أودعه عنده وائتمنه عليه من مال أو غيره. وهي ضد الخيانة؛ وقد أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بأداء الأمانة وعدم الخيانة فقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾**[٧]؛ وقال رسوله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخن مَن خانك**»[٨]، قال ابن عباس: «لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة». وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٦/١٦٠.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٩.
(٤) صحيح الجامع، رقم: ١٤٠٩.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئًا لوكيل أو شفيع قوم جاز.
(٦) سورة النساء، الآية: ٨٧.
(٧) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٨) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٠١٨.

الأبرار منهم والفجار. وحاصله أن الأمانة لا تخان أبدًا؛ لأن صاحبها إما أمين أو خائن، وعلى التقديرين لا تخان، «**ولا تخن من خانك**»، فيه دليل على أنه لا يجوز مكافأة الخائن بمثل فعله. ويصح الاستدلال به على أنه لا يجوز للإنسان إذا تعذر عليه استيفاء حقه أن يحبس عنده وديعة لخصمه أو عارية.

وأداء الأمانة من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[١] أي إذا اؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدوا الأمانات إلى أهلها، لا كإحدى صفات المنافقين وهي «**إذا اؤتمن خان**»[٢]؛ فمن يخون فلا أمانة له ومن لا أمانة له لا إيمان له كما أخبرنا المصطفى ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[٣].

وأمْر الله - تبارك وتعالى - ورسوله ﷺ عن أداء الأمانة يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالأسرار والودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله عز وجل بأدائها. فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[٤].

٣- حسن الجوار[٥]:

هو أن يحسن الإنسان جوار من جاوره من الناس ومعاملتهم بالإحسان وملاطفتهم وكف طرق الأذى عنهم؛ ومن لم يحسن جوار جاره لا يحبه الله تعالى ولا رسوله ﷺ بل هو بغيض عندهما. واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والبلدي والغريب، والنافع والضار، والقريب والأجنبي،

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق.
(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧١٧٩.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم.
(٥) راجع فتح الباري للعسقلاني ١٩٨/٥، ١٠/٤٤١-٤٤٦.

والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرًّا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطي كل حقه بحسب حاله، وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي. وقيل إن الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم له حق الجوار والإسلام والرحم.

لقد أمر الله عز وجل ورسوله ﷺ بالإحسان إلى الجار، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾(١). فأكد ذكر الجار بعد الوالدين والأقربين، وقال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه**»(٢). وكما جاء الأمر بالإحسان إلى الجار جاء أيضًا النهي عن إيذائه، فقال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»(٣)، وقال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: ومَن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»(٤). البائقة هي الداهية والشر والخصومات والغائلة والشيء المهلك. ففي هذا الحديث تأكيد حق الجار وكف الأذى عنه لقسمه ﷺ على ذلك، وتكريره اليمين ثلاث مرات. وحق الجوار ليس بكف الأذى فقط بل باحتمال الأذى أيضًا.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة: كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك. وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار وأن إضراره من الكبائر. ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار الصالح وغير الصالح؛ والذي يشمل الجميع إرادة الخير له، وموعظته

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الإضرار له إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار له بالقول والفعل، والذي يخص الصالح هو جميع ما تقدم، وغير الصالح كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضًا ويستر عليه زَلَله عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفاد فبه وإلا فيهجره قاصدًا تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف.

وقيل إن من حق الجار على الجار: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده.

قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»**[1]، وقال ﷺ: **«يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة»**[2]، أي لا تحقرن أن تهدي المرأة لجارتها شيئًا ولو حافر شاة لا ينتفع به في الغالب.. وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من العدم.

وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه إسقاط التكلف واستحباب التوادد والتحابب بين الجيران، كما في قوله ﷺ: **«تهادوا تحابُّوا»**[3]، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فيتساوى في ذلك الغني والفقير، وخص النهي بالنساء؛ لأنهن موارد المودة والبغضاء؛ ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منهما.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٠٤.

وإذا تأكدت هذه الحقوق للجار الإنساني مع وجود الحائل من الجدران ونحوها التي تحجبه عن نظره فلا يطَّلع عليه فمن الأولى أن يراعي حق المَلَكين الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فهما يطَّلعان عليه - بألا يؤذيهما بارتكاب المخالفات والمعاصي في ساعات أيامه، فقد جاء أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغي مراعاة جانبهما وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعات والمواظبة على اجتناب المعصية، فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران.

أما حد الجوار فقد اختلف فيه: فجاء عن علي رضي الله عنه: «من سمع النداء فهو جار» وقيل: «من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار»، وعن عائشة رضي الله عنها: «حد الجوار أربعون دارًا من كل جانب»، وقيل: «أربعون دارًا عن يمينه وعن يساره ومن خلفه ومن بين يديه» وهذا يحتمل كالأولى، ويحتمل أن يريد التوزيع فيكون من كل جانب عشرة.

يعجب النبي ﷺ ذو التقى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى»**[١].

ذو التقى[٢]:

قال الله تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٣].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٤٢٨١، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢/١، ٢٩٠/٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ / ١١٣ - ١٣، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢١/١٦.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ٢-٥.

وقال رسول الله ﷺ: «**التقوى ههنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات[١]، وقال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وأشار بأصابعه إلى صدره[٢]. أي أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته.

وقيل: التقي هو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزًا بينك وبينه. وقيل: رجل تقي أي خائف. وأصل التقوى التوقي مما يكره؛ لأن أصلها وقوى من الوقاية. وقيل: المتقي من إذا قال قال لله، ومن إذا عمل عمل لله. وقيل: المتقون الذين نزع الله عن قلوبهم حب الشهوات. وقال ابن عباس: هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي. وقال أيضًا: الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقال الحسن البصري: اتقوا ما حرَّم الله عليهم وأدُّوا ما افترض عليهم. وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أُبَي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى.

إن ذا التقى هو أيضًا الذي يوفي بعهده ويتقي محارم الله، ويطيع الله ويتبع شريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم. وهو الذي ينفق في سبيل الله، ويكظم الغيظ، ويعفو عن الناس، الذي إذا مسه طائف من الشيطان تذكر عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتاب وأناب واستعاذ بالله ورجع إليه من قريب فإذا هو مبصر فاستقام وصحا مما كان فيه.

إن رسول الله ﷺ يعجبه ذو التقى؛ لأنه ولي الله؛ ولأن الله عز وجل يحب المتقي وهو الأكرم عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣]، والتقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية الله في الأولين والآخرين، وهي خير ما يستفيده

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الإنسان؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1]. فكما يكون الطعام زاد الدنيا فإن زاد الآخرة هو التقوى وهي خير الزاد، وكذلك هي خير اللباس، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2]، وكتاب الله عز وجل مليء بقوله تعالى: ﴿إن للمتقين﴾، ﴿واتقوا الله﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ﴿ألا تتقون﴾، ﴿ومن يتق الله﴾.

وقد أخبر تعالى أنه يحب المتقي، وأنه وليه، وأنه معه، وأنه يتقبل منه، وأنه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأنه يجعل له من أمره يسرًا، وأنه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا، وأنه ينجيه، وأنه لا خوف عليه ولا هو يحزن، وأن الآخرة له، وأن له جنات ونعيم وأجر عظيم، وأنه في مقام أمين، وأنه هو الفائز، وأنه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

من يبغض النبي ﷺ من الناس

أبغض الناس إلى النبي ﷺ سيئ الخُلُق

قــال رســول الله ﷺ: «**إن أبغــضكم إليّ وأبعــدكم مني في الآخـرة أســوؤكم أخلاقًا**»(١).

سوء الخُلُق:

الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة خُلُقًا سيئًا.

إن صاحب الأخلاق السيئة مبغوض من الله عز وجل، ومبغوض من رسوله ﷺ، بل هو أبعد الناس عن رسول الله ﷺ في الآخرة.

إن الناس يبغضون صاحب الخُلُق السيئ ويتجنبون صحبته والتعامل معه ليقوا أنفسهم سوء خُلُقه وشره، وإن اضطروا للتعامل معه فإنهم قد يكرمونه اتقاء لسانه وفحشه، وهذا ما فعله النبي ﷺ نفسه مع أحدهم، إذ تقول عائشة رضي الله عنها: إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة**». فلما جلس تطلَّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتني فاحشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**»(٢)، وفي رواية أخرى أن عائشة قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام. قال: «**أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس - أو ودعه الناس - اتقاء فحشه**»(٣).

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٥٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفاحشًا.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والرِّيب.

فهذا رسول الله ﷺ قد اتقى فحش هذا الرجل وشره، ولأجل ما جُبل عليه ﷺ من الكرم وأعطيه من حسن الخُلُق أظهر له البشاشة ولم يواجهه بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته. ويذكر عن بعض الصحابة أنهم كانوا يبتسمون في وجوه أقوام ويضحكون إليهم وإن قلوبهم لتلعنهم؛ وذلك مداراة لهم واتقاء لشرهم وفحشهم.

إن سيئ الخلُق إما أن يكون لديه خلُق سيئ واحد وإما أن يجمع أكثر من خلُق سيئ، وكلما جمع عددًا أكبر من الأخلاق السيئة كان أكثر سوءًا وشرًا. ولسوء الخُلُق ثمرات وهي علامات تدل عليه ومنها:

ارتكاب المحارم، طلب الحرام، البخل، قلة الحياء، كثرة الأذى، قلة الصلاح، كذب اللسان، كثرة الكلام، قلة العمل، كثرة الزلل، كثرة الفضول، قلة الصبر، العقوق، الجحود، الغضب، الفحش، البذاءة، البطش، العبوس، الحماقة، الطمع، الجشع، الفظاظة، الغلظة، قسوة القلب، الخصام، العنف، الوقاحة، الفجور، الخيانة، الاحتيال، الغدر، الشراسة، الظلم، الطعن، اللعن، السب، الغيبة، النميمة، الحرص، العجلة، التهور، الخبث، الحقد، الحسد، التكبر، المكر، الخداع، الصلف، العجب، الشره، التبذير، المجون، الشماتة، العبث، الملق، الاحتقار، الاستهزاء، الشر.

فمن اتصف ببعض هذه الأخلاق السيئة استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يُبعد؛ ولهذا فهو أبعد الناس في الآخرة من النبي ﷺ، وهو أبغض العباد إلى الله تعالى.

والناس في الخلُق على أربع مراتب[1]:

الأولى: الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليًا عن جميع الاعتقادات ولم تستتمَّ شهوته أيضًا باتباع اللذات، فهذا سريع القبول للعلاج جدًا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد، وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان.

---

(١) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٥٦.

الثانية: الإنسان الذي يكون قد عرف قبح القبيح، ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادًا لشهواته وإعراضًا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه، ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول، إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه؛ إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتياد للفساد، والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح، ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم.

الثالثة: الإنسان الذي يعتقد في الأخلاق السيئة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل وتربى عليها، فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور؛ وذلك لتضاعف أسباب الضلال. وهو جاهل وضال وفاسق.

الرابعة: الإنسان الذي يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره، فهذا هو أصعب المراتب، وفي مثله قيل: ومن العناء رياضة الهرم، ومن التعذيب تهذيب الذيب. وهو جاهل وضال وفاسق وشرير.

أبغض الناس إلى النبي ﷺ الثرثارون

قال رسول الله ﷺ: **«إن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»**[١].

الثرثارون[٢]:

الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام ويرددونه تكلفًا وخروجًا عن الحق. والثرثار هو أبغض الناس إلى النبي ﷺ؛ لأنه سيئ الخُلُق ويتكلم بما لا خير فيه؛ قال الله

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٤٢.

(٢) مجالسنا إلى أين للمؤلف ١٩-٢٠، ٦٩ وما بعدها.

تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١) .

اعلم رحمك الله أنه ينبغي للإنسان إذا كان في مجالس الناس أن يحفظ لسانه عن الكلام المحرم أو المكروه أو الذي فيه أدنى شبهة، والصمت عن الكلام أفضل للعبد؛ لأن فيه النجاة والسلامة، إلا عن كلام تأكدت المصلحة والفائدة فيه، كما في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، والمعروف: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، وأما ما سوى هذه المصالح التي ذكرها الله عز وجل فإن الكلام في كثير منه لا خير فيه والسنة الإمساك عنه؛ لأن الكلام المباح الذي ليس فيه مصلحة ما قد يجر صاحبه إلى الكلام الحرام أو المكروه؛ ولذلك ليس هناك أفضل من الصمت في الحصول على السلامة.

ليس من الضروري أن يُفرض رسوم مالية على الكلام حتى يمتنع الناس عن الثرثرة، والقيل والقال، وكثرة السؤال، ويقتصدوا في الكلام غاية الاقتصاد، ويعدوا الكلمات عداً، ويعملوا بقاعدة خير الكلام ما قلَّ ودل، بل هذا هو المطلوب منهم شرعًا، وهناك رقيب عتيد لدى كل إنسان يكتب كلامه ليجازى عليها يوم الحساب، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢).

فللكلمة شأن عظيم وكل كلمة ينطق بها الإنسان محسوبة له أو عليه ولها جزاء من جنسها، فإن كانت خيرًا فخير، وإن كانت شرًا فشر، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(٣)، فينبغي للإنسان ألا يطلق العنان للسانه بالكلام والثرثرة بل يتفكر جيدًا بالكلمة قبل النطق بها حتى لا يسجل في كتابه الذي سوف يقرأه يوم القيامة كلامًا محرمًا أو مكروهًا، قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت**»(٤).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) سورة ق، الآية: ١٨.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

وهذا الحديث صريح في أنه لا ينبغي للإنسان أن يقول إلا ما هو خير، وإن لم يكن لديه شيء من ذلك أو شك في الكلام فلم يعرف إذا كان فيه خير أم لا فالأسلم له أن يصمت؛ لأن السلامة لا يعدلها شيء، فهو لا يدري ما تكون نتائج كلمته، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[١].

فإذا كان هذا هو شأن الكلمة الواحدة فكيف بالثرثرة والقيل والقال التي يبغضها الله ورسوله؟! لقد سأل معاذ بن جبل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «**لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**»، ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل**»، قال: ثم تلا: «﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾[٢] حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ﴾»، ثم قال: «**ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه**» قلت: بلى يا رسول الله قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**» ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بلسانه، قال: «**كف عليك هذا**». فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم**»[٣].

لقد أخذ النبي ﷺ بلسانه وأشار إليه من غير اكتفاء بالقول، تنبيهًا على أن أمر اللسان صعب. والمعنى لا تتكلم بما لا يعنيك، فإن من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ولكثرة الكلام مفاسد لا تحصى. وهل يلقي الناس ويسقطهم ويصرعهم في النار على وجوههم إلا محصودات ألسنتهم من الكفر والقذف والشتم والغيبة والنميمة والبهتان والإفك ونحوها؟![٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب حفظ اللسان.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦- ١٧، وتمامها: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢١١٠.

(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٧/٣٠٥-٣٠٦، (بتصرف).

أبغض الناس إلى النبي ﷺ المتشدقون

قال رسول الله ﷺ: «**إن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**»[(١)].

المتشدقون[(٢)]:

المتشدقون هم الذين يتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز ويفتح به فمه، وقيل: المتشدق هو المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم، والشدق جانب الفم. وقيل: هو المتكلم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه واستعلاء على غيره.

فالتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاصحين المدَّعين للخطابة، كل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت ومن العمل المبغوض إلى الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها**»[(٣)]؛ والبليغ هو المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته، الذي يتخلل بلسانه، أي يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه، تخلل الباقرة وهي البقرة بلسانها، أي يتشدق في الكلام بلسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًا. وخص البقرة؛ لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها وهي تجمع بلسانها. وأما من بلاغته خلقية فغير مبغوض.

والمتشدق هو المظهر للتفصح تيهًا على الغير وتفاصحًا واستعلاء، ووسيلة إلى الاقتدار على تصغير عظيم أو تعظيم حقير، أو بقصد تعجيز غيره، أو تزيين الباطل في صورة الحق أو عكسه، أو إجلال الحكام له ووجاهته وقبول شفاعته.

فينبغي للإنسان أن يقتصر في كل شيء على مقصوده: ومقصود الكلام التفهيم للغرض وبلوغ الحاجة غير زائدة عليها يوافق ظاهره باطنه وسره علانيته وما وراء

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٤٢.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ١٢٠، وفيض القدير للمناوي ٢/ ٢٨٣، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/ ٢٣٧، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٨/ ١١٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٨٥.

ذلك تصنع مذموم. ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به.

فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه. قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا[١]. والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

فلا ينافي كون الجمال في اللسان، ولا أن المروءة في البيان، ولا أنه زينة من زينة الدنيا وبهاء من بهائها، ولا يناقض هذا ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٢]؛ لأن جعله من نعم الوهاب آية أن موضع البغض ما كان على جهة الإعجاب والتعاظم.

أبغض الناس إلى النبي ﷺ المتفيهقون

قال رسول الله ﷺ: «**إن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»[٣].

المتفيهقون[٤]:

المتفيهقون هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع. قيل: وهذا من الكبر والرعونة. وقيل: المتفيهق هو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه إظهارًا لفصاحته وفضله واستعلاء على غيره؛ ولهذا فسره النبي ﷺ بالتكبر.

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٣-٤.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٤٢.

(٤) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٣٦.

والكبر: العظمة والتجبر، والارتفاع على الناس واحتقارهم والازدراء بهم، وتسفيه الحق وإبطاله، وهو ضد التواضع. قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر»**[1]، والمتكبر لا يحبه الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾[2].

أبغض الناس إلى النبي ﷺ بنو حنيفة

عن أبي برزة قال: **«كان أبغض الناس - أو أبغض الأحياء - إلى رسول الله ﷺ: ثقيف وبنو حنيفة»**[3]. قال أبو بكرة: أكثرَ الناس في شأن مسيلمة الكذاب قبل أن يقول فيه رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله - تبارك وتعالى - بما هو أهله، ثم قال: **«أما بعد، فإن شأن هذا الرجل الذي قد اكثرتم في شأنه، فإنه كذاب من ثلاثين كذابًا يخرجون قبل الدجال»**[4].

مسيلمة الكذاب الحنفي[5]:

بنو حنيفة قبيلة كبيرة شهيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن، ومسيلمة بن حبيب الكذاب منهم وهو صاحب اليمامة الذي قال فيه النبي ﷺ: **«بينا أنا نائم أُتيتُ بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبُرا عليَّ، فأُوحِيَ إليَّ أن انفخهما، فنفختهما فذهبا، فأوَّلتهما الكذَّابَين اللذَين أنا بينهما: صاحب صنعاء؛ وصاحب اليمامة»**[6].

«قَدِمَ مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته. وقدِمَها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر.
(٢) سورة النحل، الآية: ٢٣.
(٣) مسند أحمد، رقم: ١٩٦٦٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٤) مسند أحمد، رقم: ٢٠٣٤٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٥) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٢٠-٣٢٧.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال.

ثابت بن قيس بن شماس - وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: **«لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكَها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنَّك الله. وإني لأراك الذي أُرِيتُ فيه ما رأيتُ وهذا ثابت يجيبك عني»**. ثم انصرف عنه»[1].

فقد جاء مسيلمة الكذاب إلى النبي ﷺ في المدينة وكان إذ ذاك يظهر الإسلام، وإنما ظهر كفره وارتداده بعد ذلك، وطلب أن تكون الخلافة له من بعد النبي ﷺ فلم يجبه النبي ﷺ إلى طلبه بل بشَّره بما هو من معجزات النبوة، وهو أنه إن أدبر عن طاعة النبي ﷺ ليقتلنه الله، وقتله الله تعالى يوم اليمامة.

وقد ادَّعى مسيلمة النبوة بعد ذلك، وكذلك سجاح وهي امرأة من تغلب من نصارى العرب، ادَّعت النبوة أيضًا فتابعها جماعة من قومها، ثم بلغها أمر مسيلمة فخادعها إلى أن تزوجها، كما قال الله تعالى: **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾**[2]، وبعد زواجهما اجتمع قومها وقومه على طاعة مسيلمة.

أقبلت سجاح ومعها جنود من قومها ومن التف بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ، فلما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، ثم قصدت سجاح بجنودها اليمامة لتأخذها من مسيلمة الكذاب، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض التي كانت لقريش لو عدلت، وراسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه، فركب إليها في أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض قبلت ذلك. وسألها مسيلمة ماذا يوحى إليها؟ فقالت: بل أنت ماذا أوحي إليك؟ فقال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى؟ أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا. وقال غير ذلك من السخافات فقالت: أشهد أنك نبي، فقال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٦.

أصدقك؟ فقالت: لم يصدقني شيئًا، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق، فبعثت إليه تسأله صداقًا، فقال لرسولها: ناد في قومك: إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد - يعني صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة - فكان هذا صداقها عليه. ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها؛ وذلك حين بلغها دنو خالد بن الوليد من أرض اليمامة فكرت راجعة إلى الجزيرة بعدما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه.

بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى قتال بني حنيفة باليمامة، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عقربًا في طرف اليمامة والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة. وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل امرأته أم تميم، حتى أجارها مجاعة الذي أسره خالد وأبقاه مقيدًا عنده وجعله في خيمته مع امرأته، وكان سيدًا في بني حنيفة، شريفًا مطاعًا، وقال لقومه: نعمت الحرة هذه. ثم تذامر الصحابة بينهم، وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب، أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتًا حتى قُتل هناك، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قُدمًا، فقُتل شهيدًا رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا إلى البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين، وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه، وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رحى المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه

النصف والرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئًا، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبرًا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاؤوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة، وأغلق بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب - قاتل حمزة - فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط. فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبًا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفًا، وقتل من المسلمين ست مئة، وقيل: خمس مئة، فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة وأعيان الناس.

قيل: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة، وقيل: كانت في سنة ثنتي عشرة. ولما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم: أسمعونا شيئًا من قرآن مسيلمة، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقي لكم نقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين. وكان يقول: والمبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعي فواسوه. وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، وكان يقول: والفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، وكان يقول: والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس. وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميج، مما يدل على ضعف عقولهم

وعقول من اتبعهم على ضلالهم ومحالهم. فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من أل.

وقد وفد عمرو بن العاص إلى مسيلمة في أيام جاهليته، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]، ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليَّ مثلها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب.

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبي ﷺ، بلغه أن رسول الله ﷺ بصق في بئر فغزر ماؤه، فبصق في بئر فغاض ماؤه بالكلية، وفي أخرى فصار ماؤه أجاجًا، وتوضأ وسقى بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت، وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمي. وعن عمير بن طلحة عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ فقال: مه رسول الله، فقال: لا حتى أراه، فلما جاء قال: أنت مسيلمة؟ فقال: نعم. قال: من يأتيك؟ قال: رجس، قال: أفي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، واتبعه هذا الأعرابي الجلف حتى قُتل معه يوم عقربًا.



أبغض الناس إلى النبي ﷺ ثقيف

عن أبي برزة قال: **«كان أبغض الناس - أو ابغض الأحياء - إلى رسول الله ﷺ: ثقيف وبنو حنيفة»**[2]؛ قال رسول الله ﷺ: **«في ثقيف: كذاب ومبير»**[3].

---

(١) سورة العصر.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٩٦٦٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٠٨.

الكذاب: المختار الثقفي[1]:

اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان شديد الكذب، ومن أقبح كذبه ادعاؤه أن جبريل عليه السلام يأتيه.

أسلم أبو المختار في حياة النبي ﷺ ولم يره؛ فلهذا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة، فقُتل يومئذ شهيدًا وقُتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين، وعُرف ذلك الجسر به، وهو جسر على نهر دجلة في العراق ويقال له جسر أبي عبيد، وكان له من الولد صفية بنت أبي عبيد، وكانت من الصالحات العابدات. وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان عبد الله لها مكرمًا ومحبًا، وماتت في حياته، وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولاً ناصبيًا يبغض عليًا بغضًا شديدًا، وكان عند عمه بالمدائن، وكان عمه نائبها، فلما دخلها الحسن بن علي خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه، فلما أحس الحسن منهم بالغدر فر منهم إلى المدائن في جيش قليل، فقال المختار لعمه: لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء أبدًا، فقال له عمه: بئس ما تأمرني به يا ابن أخي، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبي طالب ما كان، وكان المختار من الأمراء بالكوفة، فجعل يقول: أما لأنصرنه، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مئة جلدة، فأرسل ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يتشفع فيه، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز في عباءة، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره أهل الشام قتالاً شديدًا، ثم بلغ المختار ما قال أهل العراق فيه من التخبيط، فسار إليهم وترك ابن الزبير، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتابًا إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبه في السر، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بثأر الحسين؛ وبسبب ذلك التفت عليه جماعات كثيرة من الشيعة وأخرج عامل ابن الزبير منها، واستقر ملك المختار بها، ثم كتب إلى ابن

---

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٨/٢٨٩-٢٩٢.

الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مداهنًا لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدقه ابن الزبير؛ لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته، ثم شرع في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد، فقتل منهم خلقًا كثيرًا، وظفر برؤوس كبار منهم، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين، وشمر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين، وسنان بن أبي أنس، وخولى بن يزيد الأصبحي، وخلق غير هؤلاء، وما زال حتى قتل ابن زياد وبعث برأسه إلى ابن الزبير بمكة.

وطابت نفس المختار بالملك، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه، بعث أخاه مصعبًا أميرًا على العراق، فسار إليه مصعب بن الزبير في جيش هائل فقتله، ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها؛ وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقًا، بل كان كاذبًا يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل. عن رفاعة القتباني قال: دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك. قال: فأردت أن أضرب عنقه فذكرت حديثًا حدثنيه أخي عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيما مؤمن أمَّن مؤمنًا على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء»**(١). وقد قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال: صدق، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ**﴾(٢).

كان المختار يظهر التشيع ويبطن الكهانة، وأسرَّ إلى أخصائه أنه يوحى إليه، ولا شك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين. وذُكِر أن المختار لم يزل مظهرًا موافقة ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفًا، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكذب، فلما

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢١٨٤٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الإمارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل.

المبير: الحجاج الثقفي[1]:

هو الحجاج بن يوسف الثقفي، والمبير أي المهلك يسرف في إهلاك الناس، ولم يكن أحد في الإهلاك مثل الحجاج. قال هشام بن حسان: «أحصوا ما قتل الحجاج صبرًا فبلغ مئة ألف وعشرين ألف قتيل»[2]. وقيل إن السجون عرضت بعد الحجاج فوجدوا فيها أكثر من ثلاثين ألفًا.

كان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين وقيل غير ذلك، وذُكر أنه لم يرتضع أيامًا حتى سقوه دم جدي ثم دم سالخ ولطخ وجهه بدمه فكان أول ما ارتضع هذا الدم، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء. ثم نشأ شابًا لبيبًا فصيحًا بليغًا حافظًا للقرآن.

وفي سنة اثنتين وسبعين بعثه عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة، قال ابن جرير: وكان السبب في بعثه له دون غيره، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعبًا وأخذه العراق، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك، فقام الحجاج وقال: يا أمير المؤمنين أنا له، وقص الحجاج على عبد الملك منامًا زعم أنه رآه، قال: رأيت يا أمير المؤمنين كأني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فابعث بي إليه فإني قاتله، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أمانًا لأهل مكة إن هم أطاعوه، قالوا: فخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف، ثم ارتحل من الطائف فنزل بئر ميمونة وحصر ابن الزبير بالمسجد، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات، وكذا فيما بعدها من

---

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٨/٣٢٥ وما بعدها، ٩/ ٧، ١٣٩.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٠٨، أبواب الفتن، باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير.

المشاعر، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة، بل نحر بدنًا يوم النحر، وهكذا لم يتمكن كثير ممن معه من الحج والوقوف بعرفات، وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج أن يطوفوا بالبيت، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين والحجاج محاصر بجيشه أهل مكة، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك، وكان مع الحجاج الحبشة فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقًا كثيرًا، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت حجارة المجانيق تقع في الكعبة، وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول: إني خبير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضًا، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون: مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد. فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم، ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تُقُبل منهم؟ فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، فعادوا إلى المحاصرة. وكان ابن الزبير يخرج لهم ويقاتلهم فيتفرقون عنه يمينًا وشمالاً ولا يثبت له أحد. وفي السابع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة ثلاث وسبعين، وبعد حصار الحجاج لابن الزبير خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة، خرج ابن الزبير مع جماعته للقتال وحمل على جيش الحجاج حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءت آجرة فأصابت ابن الزبير في وجهه

فارتعش لها ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضي الله عنه، وأخبروا الحجاج فخر ساجدًا، وبعث برأس ابن الزبير إلى عبد الملك، ثم أمر بجثة ابن الزبير فصلبت.

ودخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بعد أن قتل ابنها عبد الله بن الزبير وصلبه، وقال لها: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين؛ أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا: «**أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا**»، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه[1]. فقام الحجاج عنها ولم يراجعها.

كان ابن الزبير قد هدم الكعبة وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام عملاً بحديث النبي ﷺ الذي سمعه من خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ قال النبي ﷺ: «**إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه**»، فأراها قريبًا من سبعة أذرع. وقال ﷺ: «**ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيًا وغربيًا**»[2]. فلما قُتل ابن الزبير قام الحجاج بردِّ الكعبة إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك. فهدم الحائط الشمالي وأخرج الحِجر كما كان أولاً، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيها، ورفع الباب الشرقي وسد الغربي، فصارت بالشكل الذي هي عليه الآن. ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من خالته من حديث النبي ﷺ عن بنيان الكعبة.

وفي سنة خمس وسبعين ولى عبد الملك الحجاج نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار؛ وذلك بعد موت أخيه بشر، فرأى عبد الملك أنه لا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها.

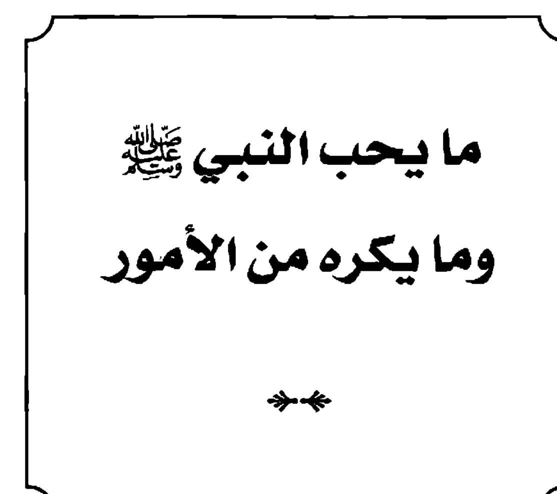
يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقسوته وشهامته، فسار الحجاج من المدينة فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها فنزل دار الإمارة؛ وذلك يوم الجمعة وقد أذَّن المؤذن الأول لصلاة الجمعة، فخرج عليهم وهم لا يعلمون، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها، وقد كانوا حصبوا الذي كان قبله، فلما سكت أبهتهم وأحبوا أن يسمعوا كلامه، فكان أول ما تكلم به أن قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، والله إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتي إليكم، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي، ولقد سقط مني البارحة سوطي الذي أؤدبكم به، فاتخذت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ثم قال: والله لآخذن صغيركم بكبيركم، وحركم بعبدكم، ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدة، والخباز العجينة. وقال: وإني لأرى رؤوسًا قد أينعت وآن اقتطافها، وإني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى. وقال: وأقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعن الإرجاف وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان، وإيش الخبر وما الخبر، أو لأهبرنكم بالسيف هبرًا يدع النساء أيامى والأولاد يتامى. وقال كلامًا طويلاً يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير. وفي اليوم الثالث أمر بقتل عمير بن ضابئ التميمي. ورحل إلى البصرة فخطبهم نظير ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد، ثم أمر بقتل واحد منهم ففزع أهل البصرة وخرجوا منها، وخرج إليهم الحجاج في أمراء الجيش فاقتتلوا قتالاً شديدًا وقتل أميرهم في رؤوس من القبائل معه، وأمر برؤوسهم فقطعت ونصبت عند الجسر.

وخرجت بعد ذلك جماعات كثيرة من الخوارج على الحجاج فقاتلهم وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وكذلك خرج عليه ابن الأشعث وبايعه الناس وانضم إليه العلماء منهم سعيد بن جبير والشعبي، وخلعوا الحجاج بسبب جوره واستزلاله الضعفاء، وجرت بين ابن الأشعث والحجاج حروب ومناوشات طويلة حتى انهزم ابن الأشعث وسار إلى بلاد الترك، وشرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم مثنى

وفرادى، حتى قيل إنه أعدم منهم بين يديه أكثر من مئة وعشرين ألفًا، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، وجماعات من السادات الأخيار، والعلماء الأبرار، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير، وذُكر عن الإمام أحمد أنه قال: قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه. وكان الحجاج قد آذى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أثناء فتنة الأشعث، إذ توهم الحجاج أن لأنس مداخلة في أمر ابن الأشعث، فكتب فيه أنس إلى عبد الملك فكتب عبد الملك إلى الحجاج يؤنبه ويلومه على تعرضه لأنس رضي الله عنه ومما قال له: والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عزير بن عزرى، وعيسى ابن مريم، لعظمته وشرفته وأكرمته وأحبته، بل لو رأوا مَن خدم حمار العزير أو خدم حواري المسيح لعظموه وأكرموه، فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ثماني سنين، يطلعه على سره، ويشاوره في أمره، ثم هو مع هذا بقية من بقايا أصحابه، فإذا قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خفه ونعله، وإلا أتاك مني سهم بكل حتف قاض، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

وبقي الحجاج في العراق عشرين سنة، فتح فيها فتوحات كثيرة، هائلة منتشرة، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم، ووصلت خيوله أيضًا إلى قريب من بلاد الصين. ومات الحجاج بمدينة واسط من أرض العراق في شوال وقيل في رمضان سنة خمس وتسعين وكان عمره إذ ذاك خمسًا وخمسين سنة وقيل أكثر أو أقل من ذلك.

وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة، وخذلانهم لهم، وعصيانهم، ومخالفتهم، والافتيات عليهم. وقد كان الحجاج ناصبيًا يبغض عليًا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبارًا عنيدًا، مقدامًا على سفك الدماء بأدنى شبهة. قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها، وجئنا بالحجاج لغلبناهم.



ما يحب النبي ﷺ وما يكره من الأمور

ما يحب النبي ﷺ من الأمور

تمهيد:

لقد كان رسول الله ﷺ مثله مثل أي بشر آخر يحب أمورًا معينة، ولكن كان حبه في الله ومن ثَم فلا بد أنه كان يحب ما يحبه الله من معالي الأمور وأشرافها؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها**»(١)، وكذلك يحب ﷺ معالي الأخلاق التي يحبها الله تعالى؛ وقد قال الله عن رسوله محمد ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(٢)، وقال النبي ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٣).

ومن هذه الأمور التي يحبها النبي ﷺ: الأخلاق الشرعية والخصال الدينية والصفات الحسنة وآداب المعاملة مع الناس وآداب اللسان ونحو ذلك.

وكان من سنة النبي ﷺ أنه إذا رأى ما يحب يحمد الله ويثني عليه؛ فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»(٤).

إن الأمور التي كان النبي ﷺ يحبها كثيرة جدًا، ولكن سيكون التركيز فقط على الأمور التي نصت الأحاديث على أنه يحبها وذُكِر فيها لفظ الحب أو الإعجاب.

يعجب النبي ﷺ كثرة أمته

عن ابن مسعود: «أن رسول الله ﷺ أُرِيَ الأمم بالموسم، فراثت عليه أمته، قال: «**فأريت أمتي، فأعجبني كثرتهم، قد ملؤوا السهل والجبل**»(٥). راثت: أبطأت.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٤٥ . (٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٦٦.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٣٨١٩، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

كثرة أمة محمد ﷺ يوم القيامة:

إن رسول الله ﷺ يحب أن تكون أمته أكثر الأمم عددًا حتى يكاثر بها الأمم الأخرى يوم القيامة، بل إنه ﷺ يطمع أن تكون أمته نصف أهل الجنة إن لم يكن أكثر، وهو ﷺ يأمر بكل ما يمكن أن يكون سببًا لتكثير أمته، وينهى عن كل ما يمكن أن يكون سببًا لتقليلها.

فمن الأسباب التي يأمر بها النبي ﷺ لتكثير أمته: الزواج؛ قال ﷺ: **«النكاح من سنتي. فمن لم يعمل بسنتي فليس مني. وتزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم»**[١]، ولا يكفي الزواج من أي امرأة فحسب، بل الزواج من المرأة الولود فهي سبب لتكثير أمة النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»**[٢]، أي تزوجوا المرأة التي تكون ولودًا، ويُعرف ذلك في البكر من أقاربها إذ الغالب أن يسري ذلك إليها بالوراثة خاصة من أمها؛ فبالمرأة الولود يحصل المطلوب من تكثير أمة محمد ﷺ حتى يفاخر النبي ﷺ بسبب أمته سائر الأمم لكثرة أتباعه.

ونهى النبي ﷺ عن الأسباب التي تضاد تكثير أمته بل تقللها مثل التقاتل؛ قال ﷺ: **«ألا إني فَرَطُكُم على الحوض. وإني مكاثر بكم الأمم. فلا تَقْتَتُلُنَّ بعد»**[٣]، فرطكم أي متقدمكم، الذي يهيئ لكم ما تحتاجون إليه، فلا تتقاتلوا بعدي، ولا تُسَوِّدوا وجهي، كما قال ﷺ: **«ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا في يومكم هذا. ألا وإني فرطكم على الحوض. وأكاثر بكم الأمم. فلا تُسَوِّدوا وجهي. ألا وإني مُستَنقِذ أناسًا، ومُستَنقَذ مني أناس. فأقول: يا رب! أُصَيْحابي؟ فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[٤].

ونهى النبي ﷺ أمته عن الرجوع إلى الكفر والتقاتل فيما بينها فقال ﷺ: **«إني مكاثر بكم الأمم، فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[٥].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٤٩٦.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٨٠٥.
(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣١٨٧.
(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٤٨١.
(٥) مسند أحمد، رقم: ١٨٩٨٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

كذلك نهى النبي ﷺ أمته عن الرجوع للخلف بعيداً عن الدين، فقال ﷺ: «**إنكم اليوم على دين، وإني مكاثر بكم الأمم، فلا تمشوا بعدي القهقرى**»[١].

وهكذا فالنبي ﷺ يحب أن يكاثر بأمته سائر الأمم، ويحب كذلك أن تكون أمته نصف أهل الجنة، حيث قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**». قال: فحمدنا الله وكبّرنا. ثم قال: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة. إن مَثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقمة في ذراع الحمار**»[٢]. بل إنه ﷺ من حبه الشديد لأمته يرجو أن تكون أمته ثلثي أهل الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**أهل الجنة عشرون ومئة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم**»[٣]، فقد فضَّل الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ على الأنبياء، وفضَّل أمته على الأمم، كما قال ﷺ: «**إن الله فضلني على الأنبياء - أو قال: - امتي على الأمم، وأحل لي الغنائم**»[٤]؛ ولذلك كانت أمة محمد ﷺ هي أكثر الأمم يوم القيامة، وأكثر أهل الجنة، حتى يعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.



يحب النبي ﷺ الرمي

قال رسول الله ﷺ: «**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا**»[٥].

الرمي[٦]:

لقد كان رسول الله ﷺ يحب الرمي؛ لأنه قوة، بل هو القوة كما فسره ﷺ بقوله: «**﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٧] ألا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[٨].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٤٧٤٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قوله عزَّ وجلَّ ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٦٥. (٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٢٥٦.

(٥) مسند أحمد، رقم: ١٧٢٣٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٦) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/٦٤-٦٥، وفتح الباري للعسقلاني ٦/٩١.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

لقد حث الإسلام على تعلم الرمي وممارسته والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك ممارسة الفنون القتالية واستعمال سائر أنواع السلاح، والمسابقة بالخيل وغيرها، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب واكتساب الخبرات القتالية ورياضة الأعضاء بذلك حتى يصبح المؤمن قويًا قادرًا على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ومحاربة أعداء الدين والدفاع عن بلاد الإسلام وتحرير أراضيه؛ والله عز وجل يحب المؤمن القوي كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، إذ يقول ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير»**(١).

ولا يكفي تعلم الرمي ثم التوقف عن ممارسته، بل لا بد من استمرار التدرب عليه حتى يكون المسلم جاهزًا للقتال في أي وقت، وقد قال النبي ﷺ: **«ستُفتح عليكم أرَضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»**(٢)، وحتى لا ينسى الرمي بعد تعلمه؛ لأن التوقف عن ممارسة الرمي يتسبب في إضعاف الخبرة به على الأقل إن لم يكن نسيانه بالكلية، قال ﷺ: **«من عَلِمَ الرمي ثم تركه فليس منا - أو - قد عصى»**(٣)، فهذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه، وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر.

وقد كان المسلمون في زمن النبي ﷺ يتدربون باستمرار على الرمي وفي أحد الأيام «مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ: **«ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع بني فلان»**. فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: **«ما لكم لا ترمون؟»** قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ قال النبي ﷺ: **«ارموا فأنا معكم كلكم»**(٤). وإذا كان ذلك في حق الأفراد فإنه في حق الجيوش الإسلامية أولى، فمن واجبها ممارسة الرمي والتدرب على الحرب بصورة متواصلة حتى تبقى جاهزة عند الحاجة للدفاع عن الإسلام والبلاد الإسلامية ضد من تسول لهم أنفسهم التداعي على المسلمين كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب الإيمان للقدر والإذعان له.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب التحريض على الرمي.

وقد جعل الله للرمي في سبيل الله أجرًا عظيمًا حتى وإن أخطأ العدو، حيث يقول رسول الله ﷺ: «**من رمى العدو بسهم، فبلغ سهمه العدو، أصاب أو أخطأ، فيعدل رقبة**»[١].

وإذا كان رسول الله ﷺ قد فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة؛ لأنه قد يُرمى رأس الكتيبة فيصاب فينهزم من خلفه.

وإذا كان الرمي قديمًا قد كان في القوس والسهام فلا يختص الرمي بها بل يمكن أن يكون بأي سلاح يُرمى به كالأسلحة التي في زماننا من مسدس أو بندقية أو رشاش التي تطلق الرصاص أو غير ذلك من الأسلحة الحربية كالطائرات القاذفة والمدافع والصواريخ ونحوها.



يحب النبي ﷺ الحلم والأناة

عن زارع - وكان في وفد عبد القيس - قال: لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبل يد النبي ﷺ ورجله. قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «**إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**» قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك عليهما**» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله[٢].

الحلم:

الحلم هو صحة العقل واستيلائه، وجودة النظر للعواقب، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل.. والحليم: الكثير الحلم، وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الأذى. وقيل: الذي لم يعاقب أحدًا قط إلا في الله ولم ينتصر لأحد إلا لله. و«الحليم»، اسم من أسماء الله الحسنى. وقد كانت حياة النبي ﷺ مليئة بالصفح عن ذنوب الآخرين

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٢٦٨.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٣٥٤.

والصبر على أذاهم كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ برداء النبي ﷺ جبذة شديدة حتى أثر في كتفه ﷺ، ومع ذلك التفت إليه النبي ﷺ وضحك وأمر له بعطاء، وعن الذي اتهمه بعدم العدل في القسم.

وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنْتَهَك شيء من محارم الله فينتقم لله عزَّ وجلَّ**»[1]؛ فهذا وغيره دليل على أن النبي ﷺ كان أحلم الناس؛ ولهذا فهو يحب الحلم.

فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد. وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب، وهذا يكون عن باعث وسبب. وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة[2]: أحدها الرحمة للجهال، وذلك من خير يوافق رقة. وقد قيل في منثور الحكم: من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال. والثاني من أسباب القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة. والثالث من أسبابه الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة. والرابع من أسبابه الاستهانة بالمسيء، وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب كما حكي أن رجلاً أكثر من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه، وفي مثله يقول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

سكتُّ عن السفيه فظن أني ... عييت عن الجواب وما عييت

والخامس من أسبابه الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة. والسادس من أسبابه التفضل على السَّبَّاب، فهذا يكون من الكرم وحب التألف. والسابع من أسبابه استنكاف السباب وقطع السباب، وهذا يكون من هذا الحزم. والثامن من أسبابه الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦١-٢٦٥.

يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم. والتاسع من أسبابه الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد. والعاشر من أسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا يكون من الدهاء. فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم، وبعض الأسباب أفضل من بعض وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولاً ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة، وإنما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلاً.

الأناة[١]:

هي التؤدة، والتأني، والتثبت، وترك العجلة، والنظر في المصالح، قال رسول الله ﷺ: **«التؤدة في كل شيء خير، إلا في عمل الآخرة»**[٢]، أي التأني في كل شيء من الأعمال خير مستحسن محمود إلا في عمل الآخرة فإنه غير محمود فيه بل الحزم بذل الجهد فيه لتكثير القربات ورفع الدرجات؛ لأن في تأخير الخيرات آفات. وقال عليه الصلاة والسلام: **«التأني من الله، والعجلة من الشيطان»**[٣]؛ العجلة من الشيطان أي هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك موقع في المعاطب، وذلك من كيد الشيطان ووسوسته. قال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشيطان؛ لأنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب وضع الشيء في غير محله وتجلب الشرور وتمنع الخيور وهي متولدة بين خُلُقين ذميمين التفريط والاستعجال قبل الوقت. وعن ابن عباس: إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب، وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ. قال عمرو بن العاص: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة.

ثم العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت. ولهذا قيل لأبي العيناء: لا تعجل فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال

---

(١) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٢٧-١٢٩، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/١١٤، وفيض القدير للمناوي ٣/٢٧٧.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٠٩.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠١١.

موسى: وعجلت إليك رب لترضى. والحزم ما قال بعضهم: لا تعجل عجلة الأخرق، ولا تحجم إحجام الواني الفرق. قيل: ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾(١). وهناك فرق بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات، وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم.

وقال النبي ﷺ: «**السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة**»(٢)، أي أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها. وقيل: يحتمل أن يكون معناه أن هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا إليها الأنبياء. وقيل: معناه أن من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوى الذي ألبس أنبياءه عليهم الصلاة والسلام. فكأنها جزء من النبوة.



يحب النبي ﷺ الفأل الصالح

قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طِيَرَة، وأُحِبُّ الفأل الصالح**»(٣).

الفأل الصالح(٤):

هي الكلمة الصالحة، والحسنة، والطيبة؛ كما فسرها رسول الله ﷺ حين سئل عنها، فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**»، قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»(٥)، وفي حديث آخر قال ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة**»(٦).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفال وما يكون فيه الشؤم.

(٤) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/٢١٩-٢٢٠، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٢١٥، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٠/٢٩٦، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٥/٢٠٠.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفال وما يكون فيه الشؤم.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفال وما يكون فيه الشؤم.

فالفأل الصالح حسن ظن بالله تعالى؛ والكلمة الصالحة يسمعها أحدكم؛ قال ابن بطال: جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وإن كان لا يملكه ولا يشربه. عن أنس ابن مالك: «أن النبي ﷺ **كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا راشد، يا نُجيح**»[١]؛ يا راشد؛ أي واجد الطريق المستقيم. يا نُجيح؛ أي من قضيت حاجته.

والفأل يكون فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور، والطيرة لا يكون إلا فيما يسوء، وقد يُستعمل الفأل مجازًا في السرور، يقال: تفاءلت بكذا، وإنما أحب رسول الله ﷺ الفأل؛ لأن الإنسان إذا أمَّل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال وإن غلط في جهة الرجاء، فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له.

ومن أمثال التفاؤل أن يكون له مريض فيتفاءل بما يسمعه فيسمع من يقول يا سالم، أو يكون طالب حاجة فيسمع من يقول يا واجد فيقع في قلبه رجاء البرء أو الوجدان.

فالتفاؤل يمكن أن يكون بسماع كلمة طيبة صالحة، ويمكن أن يكون بسماع اسم حسن، مثل أن يكون لديه أمر صعب وشائك فيأتيه إنسان اسمه سهل فيتفاءل ويقع في قلبه رجاء تسهيل الأمر. وفي غزوة الحديبية لما جاء سهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ للتفاوض معه على الصلح، قال النبي ﷺ: «**قد سَهُلَ لكم من أمركم**»[٢]. وربما يكون التفاؤل أيضًا برؤية منظر أو مكان ما.

وكان النبي ﷺ يتفاءل بالاسم الحسن ويعجبه، فعن ابن عباس قال: «**كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن**»[٣]، بل كان ﷺ يفرح بالاسم الحسن ويُرى ذلك في وجهه الأنور، وجبينه الأزهر صلى الله عليه وآله وسلَّم؛ فعن بريدة: «**أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه: فإذا**

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٣١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٣٢٨، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

أعجبه اسمه فرح به، ورُئِيَ بِشْرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه، رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها: فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها، رئي كراهية ذلك في وجهه»(١). أي رئي كراهة الاسم المكروه في وجهه لا تشاؤمًا وتطيرًا بالاسم بل لانتفاء التفاؤل. وقد غيَّر ﷺ عددًا من الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة.

قال ابن الملك: فالسنة أن يختار الإنسان لولده وخادمه من الأسماء الحسنة، فإن الأسماء المكروهة قد توافق القدر، كما لو سمى أحد ابنه بـ «خسارة» فربما جرى قضاء الله بأن يلحق بذلك الرجل أو ابنه خسارة فيعتقد بعض الناس أن ذلك بسبب اسمه فيتشاءمون ويحترزون عن مجالسته ومواصلته.

وفي شرح السنة: ولذلك ينبغي للإنسان أن يختار لولده وخدمه الأسماء الحسنة فإن الأسماء المكروهة قد توافق القدر. روى سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحراقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار، قال: بأيها؟ قال: بذات لظى، فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

قال القاري: فالحديث في الجملة يرد على ما في الجاهلية من تسمية أولادهم بأسماء قبيحة ككلب وأسد وذئب، وعبيدهم براشد ونجيح ونحوهما معللين بأن أبناءنا لأعدائنا وخدمنا لأنفسنا.

قال الحليمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.



---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣١٩.

يعجب النبي ﷺ الرؤيا الحسنة[(١)]

عن أنس بن مالك قال: «**كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا الحسنة**»[(٢)]، وعن أبي بكرة قال: «**كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها**»[(٣)].

الرؤيا:

الرؤيا هي ما يراه الإنسان في منامه، وقال القاضي أبو بكر بن العربي: الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملَك أو شيطان، إما بأسمائها أي حقيقتها، وإما بكناها أي بعبارتها، وإما تخليط. ونظيرها في اليقظة الخواطر فإنها قد تأتي على نسق في قصة وقد تأتي مسترسلة غير محصلة، هذا حاصل قول الأستاذ أبي إسحاق.

وقال المازري: مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علمًا على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملَك فيقع بعدها ما يسر أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله تعالى.

إن رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الصالحة وكان ﷺ مما يكثر أن يسأل أصحابه: «**هل رأى أحد منكم من رؤيا؟**»[(٤)]؛ فالرؤيا هي أول ما بُدِئَ به النبي ﷺ من الوحي، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح**»[(٥)]. وقد قال ﷺ:

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٢/٣٥٣، ٣٦٢، ٣٧٠ -٣٧٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٧-١٨ .

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٣٦٣٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٠٣٢٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة.

«الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[٢]. عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: **﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**[٣] قال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو تُرى له**»[٤].

قال القرطبي: المسلم الصادق الصالح هو الذي يناسب حاله حال الأنبياء فأُكرم بنوع مما أُكرم به الأنبياء وهو الاطلاع على الغيب، وأما الكافر والفاسق فلا، ولو صدقت رؤياهم أحياناً فذاك كما يصدق الكذوب، وليس كل من حدَّث عن غيب يكون خبره من أجزاء النبوة كالكاهن والمنجم. وقال ابن بطال: كون الرؤيا جزءاً من أجزاء النبوة مما يستعظم ولو كانت جزءاً من ألف جزء، فيمكن أن يقال إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام لغة، فعلى هذا فالمعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الرؤيا ثلاثة أنواع فقال ﷺ: «**والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يُحدِّث المرء نفسه**»[٥]، وقال ﷺ: «**الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان**»[٦].

وأرشد النبي ﷺ إلى ما يجب أن يفعله المسلم عند كل نوع منها فقال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرِّها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره**»[٧]، وقال ﷺ: «**الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا**

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب المبشرات.
(٣) سورة يونس، الآية: ٦٤.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٥٥.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله.

يحدث به إلا من يحب. وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا، فإنها لن تضره»[١]، وفي رواية: «**وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»[٢]، وفي رواية: «**فليقُم فليُصلِّ**»[٣].

وقال ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى رؤيا فكره منها شيئًا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان لا تضره ولا يخبر بها أحدًا، فإن رأى رؤيا حسنة فليُبْشِر ولا يُخبر إلا من يحب**»[٤].

فحاصل ما ذُكر من أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره. وحاصل ما ذُكر من أدب الرؤيا المكروهة ستة أشياء: أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وأن يتفل أو ينفث أو يبصق حين يهب من نومه عن يساره ثلاث مرات، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يصلي، وأن لا يذكرها لأحد أصلاً.

وحكمة هذه الأمور: فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح وهي مشروعة عند كل أمر يكره، وأما الاستعاذة من الشيطان فلِما وقع في بعض طرق الحديث أنها منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه، وأما التفل فقال القاضي عياض: وأُمر بالنفث ثلاثًا طردًا للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة تحقيرًا له واستقذارًا، وخصت به اليسار؛ لأنها محل الأقذار والمكروهات ونحوها واليمين ضدها. قال ابن حجر: وأما الصلاة فلِما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها.

وأما عدم التحدث بالرؤيا المكروهة لأحد فسببه أنه ربما فسرها تفسيرًا مكروهًا على ظاهر صورتها وكان ذلك محتملاً فوقعت كذلك بتقدير الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: «**الرؤيا على رجلِ طائر ما لم تعبَّر فإذا عُبِّرَت وقعت**»[٥]؛ ومعناه أنها

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يُكره فلا يخبر بها ولا يذكرها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا .

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٩٨.

إذا كانت محتملة وجهين ففسرت بأحدهما وقعت على قرب تلك الصفة. وقيل: وقد يكون ظاهر الرؤيا مكروهًا ويفسر بمحبوب وعكسه وهذا معروف لأهله. وقال القاضي عياض: وأما كتمها مع أنها قد تكون صادقة فخفيت حكمته، ويحتمل أن يكون لمخافة تعجيل اشتغال سر الرائي بمكروه تفسيرها؛ لأنها قد تبطئ فإذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها، ويبقى إذا لم يعبرها له أحد بين الطمع في أن لها تفسيرًا حسنًا، أو الرجاء في أنها من الأضغاث فيكون ذلك أسكن لنفسه.. واستدل به على أن للوهم تأثيرًا في النفوس؛ لأن التفل وما ذكر معه يدفع الوهم الذي يقع في النفس من الرؤيا، فلو لم يكن للوهم تأثير لما أرشد إلى ما يدفعه.

وأما عدم ذكر الرؤيا المحبوبة الحسنة إلا لمن يحب فسببه أنه إذا أخبر بها من لا يحب ربما حمله البغض أو الحسد على تفسيرها بمكروه، فقد يقع على تلك الصفة وإلا فيحصل له في الحال حزن ونكد من سوء تفسيرها، أما المحب فإن حبه يحمله على تفسيرها تفسيرًا حسنًا فيستبشر الرائي خيرًا وينشرح صدره ويفرح بها؛ ولهذا أوصى النبي ﷺ قائلاً: **«ولا يقصُّها إلا على وادٍّ، أو ذي رأي»**(١)، وقال ﷺ: **«ولا تحدِّث بها إلا لبيبًا أو حبيبًا»**(٢).

قال النووي: وأما قوله ﷺ **«فإنها لا تضره»** معناه أن الله تعالى جعل هذا سببًا لسلامته من مكروه يترتب عليها كما جعل الصدقة وقاية للمال وسببًا لدفع البلاء، فينبغي أن يجمع بين هذه الروايات ويعمل بها كلها، فإذا رأى ما يكرهه نفث عن يساره ثلاثًا قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان ومن شرها، وليتحول إلى جنبه الآخر، وليصل ركعتين، فيكون قد عمل بجميع الروايات، وإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضرها بإذن الله تعالى كما صرحت به الأحاديث.

وقيل: وفعل الأمور المذكورة مانع من وقع المكروه كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء والصدقة تدفع ميتة السوء وكل ذلك بقضاء الله وقدره، ولكن الأسباب عادات لا موجودات، وأما ما يُرى أحيانًا مما يُعجب الرائي ولكنه لا يجده في اليقظة ولا ما

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٩٨.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٥٨.

يدل عليه فإنه يدخل في قسم آخر وهو ما كان الخاطر به مشغولاً قبل النوم ثم يحصل النوم فيراه، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع.

وقد علَّمنا رسول الله ﷺ دعاء يدعو به من يرى في نومه ما يفزعه فقال ﷺ: **«إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، فإنها لن تضره»**(١).

أما تعبير الرؤيا أو تأويلها فهو علم بحد ذاته ونعمة عظيمة ينعم الله بها على من يشاء من عباده، وقد ذكر الله لنا في كتابه الكريم أن النبي يوسف ﷺ كان ممن أنعم الله عليه بهذه النعمة فقال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾**(٢). تأويل الأحاديث؛ يعني تعبير الرؤيا. والتعبير خاص بتفسير الرؤيا وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها. وقيل: النظر في الشيء فيعتبر بعضه ببعض حتى يحصل على فهمه. وقيل: أصله من العَبْر وهو التجاوز من حال إلى حال، وخصوا تجاوز الماء بسباحة أو في سفينة أو غيرها بلفظ العبور، وعبر القوم إذا ماتوا كأنهم جازوا القنطرة من الدنيا إلى الآخرة. وقيل: والاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، ويقال عبَرت الرؤيا إذا فسرتها وعبَّرتها للمبالغة في ذلك.

يحب النبي ﷺ القيد(٣)

قال رسول الله ﷺ: **«إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، والرؤيا من تحزين الشيطان، والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه. فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس» قال: «وأحب القيد في النوم وأكره الغل. القيد ثبات في الدين»**(٤). أي أن يرى النائم رؤيا ويكون فيها إما مقيدًا بقيد أو مغلولاً بغل.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٩٣ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦.

(٣) راجع شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/٢٢-٢٤ .

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٥١.

قال العلماء: إنما أحب القيد؛ لأنه في الرجلين؛ وهو كف عن المعاصي والشرور وأنواع الباطل، والقيد ثبات قدم ورسوخ تمكين. وأما الغل فموضعه العنق وهو صفة أهل النار.

وأما أهل العبارة فنزلوا هاتين اللفظتين منازل فقالوا: إذا رأى القيد في رجليه وهو في مسجد أو مشهد خير أو على حالة حسنة فهو دليل لثباته في ذلك. وكذا لو رآه صاحب ولاية كان دليلاً لثباته فيها، ولو رآه مريض أو مسجون أو مسافر أو مكروب كان دليلاً لثباته فيه.

قالوا: ولو قارنه مكروه بأن يكون مع القيد غل غلب المكروه؛ لأنها صفة المعذبين.



يحب النبي ﷺ التيمن[1]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله: في طُهُورِهِ، وتَرَجُّلِهِ وتَنَعُّلِهِ**»[2]. الترجل: أي تسريح الشعر ودهنه بماء أو دهن ليلين ويرسل الثائر ويمد المنقبض.

لقد كان النبي ﷺ يحب التيمن في جميع أموره إلا ما لا يستطاع فيه التيمن شرعًا كدخول الخلاء والخروج من المسجد، وكذلك تعاطي الأشياء المستقذرة باليمين كالاستنجاء والتمخط.

هذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتشريف والتزيين، كلبس الثوب والسراويل والخف، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وتمشيط الشعر، ونتف الإبط، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج من الخلاء، والأكل والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٦٠، ١٣/١٩١-١٩٢، وفتح الباري للعسقلاني ١/٢٦٩، ٩/٥٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره.

وأما ما كان بضده كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط، والاستنجاء، وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك، فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها. وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين على اليسار من اليدين والرجلين في الوضوء سنة لو خالفها فاته الفضل وصح وضوءه. ثم إن من أعضاء الوضوء ما لا يستحب فيه التيامن وهو الأذنان والكفان والخدان بل يطهران دفعة واحدة، فإن تعذر ذلك كما في حق الأقطع ونحوه قدَّم اليمين.

وقد أمر رسول الله ﷺ بتقديم اليمين في اللباس والوضوء فقال ﷺ: **«إذا لبستم وإذا توضأتم فابدؤوا بأيامنكم»**(١).

وأمر ﷺ بالأكل والشرب باليمين فقال ﷺ: **«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»**(٢). ونهى ﷺ عن الأكل بالشمال فقال ﷺ: **«لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال»**(٣). قال النووي: فيه استحباب الأكل والشرب باليمين وكراهتهما بالشمال، وقد زاد نافع الأخذ والإعطاء، وهذا إذا لم يكن عذر، فإن كان عذر يمنع الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة أو غير ذلك فلا كراهة في الشمال، وفيه أنه ينبغي اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشياطين وأن للشياطين يدين.

وهذا الأمر إن كان يتناول من يتعاطى ذلك بنفسه، فهو يتناول أيضًا من يفعل ذلك لغيره بأن يطعمه أو يسقيه أو يلبسه وغير ذلك من الأمور.

وكدليل على أهمية هذا الأمر: فإن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له ﷺ: **«كُلْ بيمينك»**، قال: لا أستطيع. قال: **«لا استطعت»** ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فِيهِ(٤). وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٨٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

وعلى الجملة فإن الأمر باستخدام اليمين من باب تشريف اليمين على الشمال؛ لأنها أقوى في الغالب وأسبق للأعمال وأمكن في الأشغال، وهي مشتقة من اليمن، وقد شرَّف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، وعكسه في أصحاب الشمال. واليمين وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينًا، والشمال على نقيض ذلك، وإذا تقرر ذلك فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة عند الفضلاء اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة والأحوال النظيفة.



يحب النبي ﷺ الاستتار للحاجة

عن عبد الله بن جعفر قال: «**وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل**»(١).

لقد سن رسول الله ﷺ لأمته الاستتار عند قضاء الحاجة، خاصة في الأرض الفلاة، وكان النبي ﷺ أحب ما استتر به هدف وهو ما ارتفع من الأرض من صخر أو رمال أو بنيان أو غير ذلك، أو حائط نخل أو بستان أو نحو ذلك. وذلك حتى يغيب جميع جسم الإنسان عن أعين الناظرين.

أما إذا كان قضاء الحاجة في مرحاض خاص أو عام فيغلق الإنسان الباب عليه ويقفله بحيث لا يفتحه عليه أحد.



يحب النبي ﷺ السفر يوم الخميس

عن كعب بن مالك رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك وكان يحب أن يخرج يوم الخميس**»(٢).

لقد كان النبي ﷺ يحب أن يخرج في أسفاره يوم الخميس، ولكن محبته للخروج في يوم الخميس لا تستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه، وقد ثبت أن النبي ﷺ قد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب التستر عند البول.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فورَّى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس.

خرج مسافرًا في غير يوم الخميس، وقد خرج في بعض أسفاره يوم السبت، ولكن قلما كان يخرج إلا يوم الخميس، وقد قال كعب بن مالك: «**لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس**»[١].

يقول المناوي: «لأنه يوم مبارك أو لأنه أتم أيام الأسبوع عددًا، لأنه تعالى بث فيه الدواب في أصل الخلق، فلاحظ الحكمة الربانية، والخروج فيه نوع من بث الدواب الواقع في يوم المبدأ، أو أنه إنما أحبه لكونه وافق الفتح له، والنصر فيه، أو لتفاؤله بالخميس على أنه ظفر على الخميس وهو الجيش، ومحبته لا تستلزم المواظبة عليه، فقد خرج مرة يوم السبت ولعله كان يحبه أيضًا»[٢].

ويوم الخميس هو يوم تعرض فيه الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»[٣]، فربما هناك وجه لمحبة النبي ﷺ السفر يوم الخميس مثل أنه يحب السفر في يوم تعرض فيه الأعمال والله أعلم.



يُعجب النبي ﷺ حياء المرأة

عن عائشة قالت: «جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها ﴿**أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ**﴾ الآية[٤]؛ قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذًا. فبايعها بالآية»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس.

(٢) فيض القدير ٥/٢٠٧.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٥٩٦.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٥٠٥٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

حياء المرأة:

لقد استحيت المرأة ووضعت يدها على رأسها لأجل سماعها كلمة واحدة هي ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ فأُعجب النبي ﷺ بحيائها، والحياء شعبة من الإيمان؛ قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ والحياء شعبة من الإيمان»**(١)، وهو نفسه ﷺ **«كان أشد حياءً من العذراء في خِدرها»**(٢)، والله عز وجل يحب الحياء، قال ﷺ: **«إن الله عزَّ وجلَّ حَيي ستِّير يحب الحياء والستر»**(٣).

لقد فطر الله تعالى المرأة على الحياء والحشمة والستر خاصة إذا كانت عذراء؛ ولهذا ضُرب بها المثل وقيل: أشد حياءً من العذراء. إن وجه المرأة يحمر خجلاً وحياءً خاصة إذا كان الكلام في المسائل الجنسية حتى إنها تخبئ وجهها بيديها أو تضع يدها على فمها بحركة تلقائية طبيعية.

وإنما دخل النقص على المرأة وقل الحياء عند الكثير منهن عندما استخف بها الشيطان فذهب بها وأزالها عما كانت من الحياء وجال معها في الباطل. ولم يكف هذه المسكينة الضعيفة تسلط الشيطان عليها لإفسادها وإخراجها من خِدرها وحيائها ونزع الملابس عنها ليُري سوأتها على الملأ في الشوارع وجعلها حطب جهنم - حتى أخذت بيئتها ومجتمعها وربما أهلها وكذلك حركة (تحريف المرأة) ومؤسسها إبليس اللعين بإفسادها وإبعادها عن هذه الفطرة والأصل ودفعها دفعًا إلى ما هو عكس الحياء، إلى **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**(٤)، إلى الوقاحة والفسق والفجور والتبرج والسفور، وتحويلها إلى فتنة من أضر الفتن على الناس وخاصة الرجال، مستغلين بذلك عاطفتها القوية وحبها للتزين والتجمل، وقد أوهموها أن هذا من التقدم وتحرير المرأة، وأن الحياء والستر والعفاف تأخر وكبت لحرية المرأة؛ ليحقق الشيطان من ذلك هدفه الكبير وهو إلقاؤها في الجحيم وهو ما حذرنا الله منه وأمرنا باتخاذ الشيطان عدوًا، فقال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحياء.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾[١]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٢].

فسنة الشيطان وخطته منذ آدم وحواء هي: نزع الملابس أو التعري؛ لأن العري هو أقوى معول لإفساد الأمم والشعوب ولهدم الأخلاق ومن ثم الدين في نفوس الناس؛ ومن الطبيعي أن يكون تركيز الشيطان على المرأة لتطبيق خطته في نزع الملابس؛ لأنها مطلوبة وجسمها مطلوب، وهي الفتنة الأضر على الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال، من النساء**»[٣]، ولا يزال في كل عصر ومصر من يتولى تنفيذ سنة (نزع الملابس) الشيطانية وخطة التعري التدريجي[٤].

إن الشياطين من الجن والإنس دعوا المرأة إلى التحرر من الحياء والتغلب عليه، وقالوا إن الحياء عقبة أمام تقدمها وتحررها، وإنني لأؤكد صحة قولهم بأن الحياء عقبة بل هو السد المنيع أمام تقدمها وتحررها، ولكن تقدمها إلى أين، وتحررها من ماذا؟ دعونا نلقي نظرة تأمل على المرأة التي تحررت من حيائها ونجيب إجابة عادلة على السؤال.

إن الإجابة العادلة هي أن المرأة التي تخلصت من حيائها أو تغلبت عليه تحررت ولكن تحررها كان من ملابسها بالذات، ولا داع لضرب الأمثلة على ذلك؛ لأنها موجودة في ذهن كل إنسان؛ لم تتجه المرأة لتصبح عالمة أو مكتشفة أو داعية للدين والأخلاق بل لم يحلُ لها سوى تعرية أجزاء من جسمها.

فمن المؤكد أن الشيطان وأعوانه من الإنس يعرفون تمامًا أن تخلص المرأة من الحياء وإعطاءها الحرية لتفعل ما تشاء وتتصرف كما يحلو لها يؤدي بها إلى شيء واحد فقط هو التحرر من ملابسها وتعرية جسمها جزئيًا كما أصبحت تظهر على الملأ وفي الشوارع، أو كليًا كما يحدث على شواطئ البحار، وهذا بالذات ما يريده الشيطان لتستحق الخطوة التالية وهي التقدم، التقدم نحو ماذا؟ التقدم نحو جهنم وبئس المصير؛ وهذا هو الحق الذي لا مفر منه والمصير الذي لا بد منه لكل امرأة تخلصت من حيائها فتحررت من ملابسها وعرَّت أجزاء من جسمها فتقدمت نحو

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧ .
(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة.
(٤) راجع كتاب (التعري الشيطاني) للمؤلف.

النار وصارت الصنف الثاني من أهلها؛ قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[١].

إن هذا الصنف من النساء لم يره النبي ﷺ في زمانه مع أنه كان يوجد الكثير من النساء الجاهليات غير المسلمات ولكن لم تكن هذه الأوصاف تنطبق عليهن، فالتبرج نفسه لم يكن عندهن سوى إلقاء الخمار على الرأس وعدم شده ليواري القلائد والعنق؛ ومع ذلك نهى الله عنه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[٢]، بل كنَّ يستحين لسماع كلمة واحدة جنسية فضلاً عن أنهن لم يكنَّ كاسيات عاريات، وكانت العذراء منهن تستحي حتى وهي في خِدرها أي بيتها فضلاً عن خارجه، أوَليس من الأولى أن تكون المرأة المسلمة كذلك؟.

هل ترضى المرأة المسلمة أن تكون أقل حياء من المرأة الجاهلية فلا تستحي حتى خارج بيتها فتمشي كاسية عارية؟ فمن كانت لا تريد أن تكون من هذا الصنف من أهل النار فلا تتقدم نحو النار، وحتى لا تتقدم نحو النار فلا تتحرر من ملابسها ولا تنساق خلف دعوات التحرر التي تطلقها حركات (تحريف المرأة) عن فطرتها السليمة التي فطرها الله عليها، وحتى لا تتحرر من ملابسها فلتحافظ على الحياء الذي لا يأتي إلا بخير، حياء الأنوثة الذي فطرها الله عليه وضُرب به المثل: أشد حياء من العذراء. الحياء الذي يحبه الله تعالى ويعجب رسوله ﷺ الذي قال: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**[٣]، وقال ﷺ: **«الحياء خير كله»**[٤]، بل إن النبي ﷺ قال: **«ما كان الحياء في شيء إلا زانه»**[٥]، فلو قدر أن يكون الحياء في جماد لزانه فكيف بالإنسان بل فكيف بالمرأة التي تحرص على الجمال والتزين؟.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحياء شعبة من الإيمان.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحياء شعبة من الإيمان.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٧.

ما يكره النبي ﷺ من الأمور

تمهيد:

لقد كان رسول الله ﷺ يبغض ويكره مثل أي إنسان آخر، ولكن كان بغضه في الله وكرهه في الله ولم يكن يكره أو يغضب لنفسه، وإذا كان هذا شأنه فلا بد إذًا أنه كان يبغض ما يبغضه الله ويكره ما يكرهه؛ ومن ذلك سفساف الأمور، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب: معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سفسافها**»(١)، وكذلك يكره النبي ﷺ سفساف الأخلاق التي يكرهها الله تعالى.

ومن الأمور التي يكرهها النبي ﷺ: كل نهي نهى الله تعالى عنه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ومن ذلك: الكفر والشرك والفسوق والعصيان. وكذلك يكره النبي ﷺ الصفات السيئة والأخلاق الدنيئة والسلوكيات الخاطئة والأشياء القبيحة ونحو ذلك.

وقد كان من صفات النبي ﷺ أنه لم يكن يواجه أحدًا بما يكرهه، وإذا كره شيئًا لا يتكلم به لحيائه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهيته لذلك، فعن أبي سعيد الخدري قال: «**كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه**»(٢).

وكان من سنة النبي ﷺ أنه إذا رأى ما يكره يحمد الله ويثني عليه على كل حال؛ ويقول ﷺ: «**الحمد لله على كل حال**»(٣).

إن الأمور التي كان النبي ﷺ يكرهها كثيرة جدًا، ولكن سيكون التركيز فقط على الأمور التي ورد في الأحاديث التي تخصها لفظ الكره أو البغض أو عدم الحب.



---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٦٦.

يكره النبي ﷺ الكفر والفسوق والعصيان

قال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان**»[(١)]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[(٢)].

الكفر:

الكفر هو ضد الإيمان. وأصل الكَفْر في كلام العرب: الستر والتغطية؛ ومنه سمي الليل كافرًا؛ لأنه يغطي كل شيء بسواده. والكافر هو الذي غطَّى الحق وستره.

والكفر كفران: كفر أصغر، وكفر أكبر: فأما الكفر الأصغر فلا يُخْرِجُ من الملة وهو كفر النعمة والإحسان، وأما الكفر الأكبر فيُخْرِجُ من الملة وهو خمسة أنواع: كفر التكذيب، وكفر الإباء والاستكبار مع التصديق، وكفر الشك وهو كفر الظن، وكفر الإعراض، وكفر النفاق وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

الفسوق:

الفِسْق أصله الخروج عن الشيء؛ يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها؛ والفأرة من جحرها. وفسق الرجل فسقًا وفسوقًا؛ أي فجر. والفِسِّيق: الدائم الفسق. والفِسْق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان.

العصيان:

العصيان هو جميع المعاصي، ما ظهر منها وما بطن.



---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٥٤٣١، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.

يكره النبي ﷺ التشريك في مشيئة الله[١]

قال رسول الله ﷺ: **«قد كنت أكره أن تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم ما شاء محمد»**[٢].

كان رسول الله ﷺ يكره أن يقال: ما شاء الله وشاء محمد، لما في هذا القول من إيهام التشريك في مشيئة الله تعالى؛ ولهذا عندما قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال له النبي ﷺ: **«أجعلتني والله عدلاً؟! بل ما شاء الله وحده»**[٣].

وأمر النبي ﷺ أن يقال: ما شاء الله ثم ما شاء محمد، وهذا نهي تنزيه رعاية للأدب ودفعًا لذلك التوهم. وإنما أتى بـ «ثم» لكمال البعد مرتبة وزمانًا. وقال عليه الصلاة والسلام: **«إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئتَ. ولكن ليقل: ما شاء الله، ثم شئتَ»**[٤]، قال الخطابي: أرشدهم إلى رعاية الأدب في التقديم واختار لهم من بين طرق التقديم (ثم) المفيدة للترتيب والمهلة والفاصلة الزمانية ليفيد أن مشيئة غير الله مؤخرة بمراتب وأزمنة.

وقد ذكر ابن القيم أن من الشرك الأصغر: قول الرجل للرجل «ما شاء الله وشئت» و«هذا من الله ومنك» و«أنا بالله وبك» و«ما لي إلا الله وأنت» و«أنا متوكل على الله وعليك» و«في حسب الله وحسبك» و«والله وحياتك» و«لولا أنت لم يكن كذا وكذا» وقد يكون هذا شركًا أكبر، بحسب قائله ومقصده.



يكره النبي ﷺ المسح في الصلاة[٥]

عن معيقيب قال: سألت رسول الله ﷺ عن مسح الحصى في الصلاة؟ فقال: **«إن كنت لا بد فاعلاً، فمرة واحدة»**، قال أبو عيسى: قد روي عن النبي ﷺ: أنه كره

(١) راجع: فيض القدير للمناوي ٥٠٩/٤، ومدارج السالكين لابن القيم ٣٥٢/١.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٣٧٨.
(٣) مسند أحمد، رقم: ١٨٣٩، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٢٠.
(٥) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٧٩/٣، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٣١٩/٢.

المسح في الصلاة وقال: «**إن كنت لا بد فاعلاً، فمرة واحدة**»[١]. معناه لا تفعل وإن فعلت فافعل واحدة لا تزد. والحصى هي الحجارة الصغيرة.

لقد كره النبي ﷺ للمصلي أن يمسح الحصى، وأذن له بمرة واحدة عند الحاجة. والتقييد بالحصى خرج مخرج الغالب لكونه كان الغالب على فرش مساجدهم، ولا فرق بينه وبين التراب والرمل، ويدل على ذلك ما صح عن النبي ﷺ في حديث آخر؛ أن النبي ﷺ قال في الرجل يسوِّي التراب حيث يسجد قال: «**إن كنت فاعلاً فواحدة**»[٢]؛ ولا يدل تعليق الحكم به على نفيه عن غيره مما يُصلَّى عليه مثل الحصير أو السجاد وغير ذلك.

قيل: الذي يظهر أن علة كراهيته المحافظة على الخشوع، أو لئلا يكثر العمل في الصلاة. وقيل: إن الحكمة في النهي عن المسح ألا يشغل خاطره بشيء يلهيه عن الرحمة المواجهة له فيفوته حظه منها، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحرك الحصى - أو لا يمس الحصى**»[٣].



يكره النبي ﷺ افتراش السبع

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، فإذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي قاعداً، وكان يقول في كل ركعتين التحية، وكان يكره أن يفترش ذراعيه افتراش السبع، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عقب الشيطان، وكان يختم الصلاة بالتسليم**»[٤].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣١٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب مسح الحصى في الصلاة.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢١٢٢٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح..

(٤) مسند أحمد، رقم: ٢٣٩١٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

افتراش السبع:

لقد كان النبي ﷺ يكره أن يفترش ذراعيه افتراش السبع في السجود في الصلاة، وافتراش السبع يكون ببسط الساعدين وإلصاقهما بالأرض عند السجود، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: **«اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»**(١)، وكان ﷺ إذا أراد السجود **«كبر وسجد ووضع كفيه على الأرض»**(٢)، ودعم على راحتيه و**«ضم أصابعه»**(٣)، ووجهها نحو القبلة، وكان يضع كفيه **«حذو منكبيه»**(٤)، وأحيانًا يجعلهما **«بحذاء أذنيه»**(٥)، وكان ﷺ **«لا يفترش ذراعيه في السجود»**(٦)، بل **«كان إذا صلَّى فرَّج بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه»**(٧)، وكان في سجوده على هذا النحو **«لو شاءت بهمة**(٨) **أن تمر بين يديه لمرت»**(٩)، وكان ﷺ يبالغ في ذلك حتى قال بعض أصحابه: **«إن كنا لنأوي**(١٠) **لرسول الله ﷺ مما يجافي بيديه عن جنبيه، إذا سجد»**(١١).

وكان ﷺ يأمر بذلك فيقول: **«إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك»**(١٢)، وكان ﷺ يعلِّم الطريقة الصحيحة لذلك فيقول: **«لا تبسط ذراعيك، وادعم على راحتيك، وتجاف عن ضبعيك**(١٣)**، فإنك إذا فعلت ذلك سجد كل عضو منك معك»**(١٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب لا يفترش ذراعيه في السجود.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٧٦٩.
(٣) أخرجه الحاكم في الصلاة، باب كان ﷺ إذا سجد ضم أصابعه.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٦٧٣.
(٥) صحيح سنن النسائي، رقم: ٨٥٦.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب لا يفترش ذراعيه في السجود.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يبدي ضبعيه ويجافي في السجود.
(٨) البهمة: أولاد الضأن أو المعز.
(٩) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين.
(١٠) لنأوي: لنرثي ونشفق عليه ونرق له.
(١١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٧٢٤.
(١٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين.
(١٣) الضَّبُع: العضد كلها أو وسطها بلحمها أو الإبط أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه (القاموس).
(١٤) أخرجه الحاكم في الصلاة، باب كان ﷺ إذا سجد ضم أصابعه.

إن لتعدد أوامر النبي ﷺ عن كيفية وضع اليدين على الأرض في السجود، ليدلنا على أهمية ذلك وعلى أن فيه حكمًا متعددة، حتى إن فيه حكمة كبيرة تتعلق بالبدن، وقد بسطت ذلك في كتابي الصلاة والرياضة والبدن.



يكره النبي ﷺ الاختلاف في القرآن

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلا قرأ آية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية وقال: **«كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**[1].

لقد كان النبي ﷺ يكره الاختلاف في القرآن، بل كان يكره الاختلاف في أي آية من آياته، فالقرآن أُنزل على سبعة أحرف وقال رسول الله ﷺ: **«أقراني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[2]، أي على سبعة أوجه أو قراءات يجوز أن يقرأ بكل واحدة منها، وكل من يقرأ بواحدة من هذه القراءات السبع فهو محسن لا يجوز الإنكار أو التشنيع عليه.

وقد يحفظ المسلم قراءة من هذه القراءات ولا يعرف غيرها فيسمع من إنسان آخر قراءة أخرى فيستنكر عليه ويظن به السوء وقد يؤدي بهما النقاش والجدال إلى الاختلاف في القرآن وهو ما نهى عنه النبي ﷺ وكره أن يقع بين المسلمين، وقد وقع مثل ذلك في حياة النبي ﷺ كما في قصة ابن مسعود، وفي قصة أخرى قال عبد الله بن عمرو: هجَّرْتُ إلى رسول الله ﷺ يومًا، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعْرف في وجهه الغضب فقال: **«إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه.

وحدث مثل ذلك مع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله، اقرأ يا هشام**». فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أُنزلت**». ثم قال: «**اقرأ يا عمر**» ، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أُنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه**»[1].

فقد حفظ عمر هذه السورة من النبي ﷺ قديمًا ثم لم يسمع ما نزل فيها بأحرف أخرى، أما هشام فكان النبي ﷺ أقرأه على ما نزل أخيرًا، فلما سمع عمر هشامًا خشي ألا يكون أتقن القراءة؛ لأن هشامًا كان قريب العهد بالإسلام فكان ما جرى بينهما.

وقد أمر النبي ﷺ المسلمين بقراءة القرآن ما اجتمعت عليه قلوبهم، فإذا اختلفوا في فهم معانيه فليتفرقوا لئلا يتمادى بهم الاختلاف إلى الشر، قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»[2]؛ قال ابن حجر: قيل: يحتمل أن يكون المعنى اقرؤوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة، وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وهو كقوله ﷺ «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذروهم**»[3]، ويحتمل أنه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء بأن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه.

يتفرقوا عند الاختلاف ويستمر كل منهم على قراءته، كما تقدم عن ابن مسعود لما وقع بينه وبين الصحابي الاختلاف في الأداء، فترافعا إلى النبي ﷺ فقال لهما: «**كلاكما محسن**». وهكذا حض رسول الله ﷺ على الجماعة والألفة، وحذَّر من الفرقة والاختلاف في القرآن، ونهى عن المراء في القرآن بغير حق، ومن شر ذلك أن تظهر دلالة الآية على شيء يخالف الرأي فيتوسل بالنظر وتدقيقه إلى تأويلها وحملها على ذلك الرأي ويقع اللجاج في ذلك والمناضلة عليه[١].

وقال النووي: الأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز كاختلاف في نفس القرآن أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة وخصومة أو شجار ونحو ذلك، وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس منهيًا عنه بل هو مأمور به وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن والله أعلم[٢].



يكره النبي ﷺ الإضراب عن الحجر الأسود

عن عائشة قالت: «**طاف النبي ﷺ في حَجَّة الوداع حول الكعبة على بعيره يستلم الرُّكْنَ كراهية أن يُضْرَبَ عنه الناس**»[٣].

الحجر الأسود[٤]:

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الحجر الأسود من الجنة، وقال ﷺ: «**نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسوَّدته خطايا بني آدم**»[٥]، وقال عليه

---

(١) فتح الباري للعسقلاني ١٠١/٩-١٠٣ (بتصرف).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٢١٨/١٦-٢١٩.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعير واستلام الحجر بمحجن ونحوه.
(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٤٦٣/٣، ٤٧٣، ٤٧٦، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/٩.
(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٦٩٥.

الصلاة والسلام: «**إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله تعالى نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب**»[١]. وأخبر ﷺ: «**إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق**»[٢].

لقد كان رسول الله ﷺ يكره أن يُصرف الناس عن الحجر الأسود فلا يستلموه في طوافهم فسنَّ ﷺ لأمته استلامه وتقبيله أو تقبيل الشيء الذي يُستلم به سواء كان يدًا أم عصًا أم غير ذلك؛ فعن أبي الطفيل قال: «**رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه ويقبل المحجن**»[٣]؛ والمِحْجَن هو عصا محنية الرأس، والاستلام أي التحية، والمعنى أنه يومئ بعصاه إلى الركن حتى يصيبه. وقال الجمهور: السنة أن يستلم الركن ويقبل يده، والاستلام المسح باليد عليه، وهذا إذا عجز عن تقبيل الحجر وإلا فالقادر يقبل الحجر ولا يقتصر في اليد على الاستلام بها. فإن لم يستطع أن يستلمه بيده استلمه بشيء في يده وقبَّل ذلك الشيء، فإن لم يستطع أشار إليه واكتفى بذلك. وقد «**طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبَّر**»[٤].

ولأن النبي ﷺ قد سنَّ استلام الحجر الأسود فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقتدون به؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك**»[٥]، وقد قبَّل عمر الحجر والتزمه وقال: «**رأيت رسول الله ﷺ بك حفيًا**»[٦]، يعني مهتمًا ومعتنيًا. وفي فعل عمر وقوله تسليم للشارع في أمور الدين وحسن اتباع له فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٣٣.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢١٨٤.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعير واستلام الحجر بمحجن ونحوه.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب التكبير عند الركن.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذُكر في الحجر الأسود.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.

قال الطبري: إنما قال ذلك عمر؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان. وقال المهلب: إنما شرع تقبيله اختيارًا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم.

وقد **«سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. قال: قلت: أرأيت إن زُحمتُ، أرأيت إن غُلِبت؟ قال: اجعل «أرأيت» باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله»**[1]. وإنما قال له ذلك؛ لأنه فهم منه معارضة الحديث بالرأي فأنكر عليه ذلك وأمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به ويتقي الرأي. والمستحب في التقبيل ألا يرفع به صوته.

ولم تقتصر سنة النبي ﷺ على استلام الحجر الأسود فحسب بل سنَّ ﷺ استلام الركن اليماني وهو الركن الثاني لجدار الكعبة الجنوبي؛ فعن عبد الله بن عمر قال: **«لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين»**[2]؛ ولهذا يقول: **«ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء منذ رأيت النبي ﷺ يستلمهما»**[3].

فالركن الأول وهو الركن الأسود له فضيلتان؛ الأولى: كون الحجر الأسود فيه وهو الذي جعل مبدأً للطواف ومنتهى له، والثانية: كونه على قواعد إبراهيم. والركن الثاني وهو الركن اليماني فيه فضيلة واحدة وهي كونه على قواعد إبراهيم. أما الركنان الآخران فيقال لهما الشاميان وهما لجدار الكعبة الشمالي فهما ليسا على قواعد إبراهيم؛ ولذلك لا يستلمان. وليس على وجه الأرض موضع يُشرع تقبيله واستلامه، وتُحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والركن اليماني.



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب تقبيل الحجر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الرمل في الحج والعمرة.

يكره النبي ﷺ الطِّيَرَة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**كان النبي ﷺ يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطِّيَرَة**»[١]. وقال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طِيَرَة، وأُحِبُّ الفأل الصالح**»[٢].

الطِّيَرَة[٣]:

التطير هو التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكان المشركون يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور؛ فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم؛ فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر؛ فهذا معنى قوله ﷺ: «**لا طيرة**».

بل قال رسول الله ﷺ: «**الطِّيَرة شرك**»[٤]، أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذ عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد. ومن اعتقد أن شيئًا سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك شركًا جليًا. قال القاضي: إنما سماها شركًا؛ لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببًا مؤثرًا في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد؟.

والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الفرق بين الطيرة والتطير أن التطير هو الظن السيئ الذي في القلب، والطيرة هو الفعل المرتب على الظن السيئ.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٨٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفال وما يكون فيه الشؤم.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/٢١٨-٢٢٠، وزاد المعاد لابن القيم ٢/٤٤٣-٤٤٥، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٢١٥، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٠/٢٨٨.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٠٩.

لقد كان رسول الله ﷺ يكره الطيرة؛ لأنه كان يحب الفأل الحسن والاسم الحسن، وعن ابن عباس قال: «**كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن**»[1]، وعن بريدة: «**أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه: فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورُئِيَ بِشْرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه، رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها: فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها، رئي كراهية ذلك في وجهه**»[2]. أي رئي كراهة الاسم المكروه في وجهه لا تشاؤمًا وتطيرًا بالاسم بل لانتفاء التفاؤل.

قيل: الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء؛ فلذلك كرهت. وقال الطيبي: معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئًا فظنه حسنًا محرضًا على طلب حاجته فليفعل ذلك. وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله. فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم.

والطيرة لا تمنع مسلمًا عن المضي في حاجته، فإن ذلك ليس من شأن المسلم، بل شأنه أن يتوكل على الله تعالى في جميع أموره ويمضي في سبيله. وقد عوَّض رسول الله ﷺ أمته عند إرادتهم السفر أو غير ذلك من الأعمال بدعاء الاستخارة عما كان عليه أهل الجاهلية من التطير وزجر الطير والاستقسام بالأزلام؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن؛ يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه**

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٣٢٨، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣١٩.

عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به. قال: ويسمي حاجته»(١).

فعوَّض النبي ﷺ أمته بهذا الدعاء الذي هو توحيد وافتقار، وعبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه من التطير والتنجيم، واختيار الطالع ونحوه. فهذا الدعاء هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق، الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لا طالع أهل الشرك والشقاء والخذلان، الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر، فسوف يعلمون.

تضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه، والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها، وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليِّه وفاطره وإلهه الحق.

والمقصود أن الاستخارة توكل على الله وتفويض إليه، واستقسام بقدرته وعلمه، وحسن اختياره لعبده، وهي من لوازم الرضى به ربًا، الذي لا يذوق طعم الإيمان مَن لم يكن كذلك، وإن رضي بالمقدور بعدها، فذلك علامة سعادته.



يكره النبي ﷺ نكاح السر

عن أبي حسن المازني «**أن النبي ﷺ كان يكره نكاح السر حتى يضرب بدف ويقال أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٦٦٥٨، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

لقد أباح الإسلام النكاح وحرَّم السفاح، والنكاح الحلال له شروط وعلامات؛ ومن علاماته إعلانه للناس وإشهار أمره بينهم، كما قال رسول الله ﷺ: **«أشيدوا النكاح، وأعلنوه»**(١).

وإعلان النكاح يكون بالدف والأناشيد، فذلك يعد من الأمور التي تفصل ما بين الحلال والحرام؛ قال ﷺ: **«فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف، والصوت في النكاح»**(٢)، والمراد الترغيب إلى إعلان أمر النكاح بحيث لا يخفى على الناس؛ فالسنة إعلان النكاح بضرب الدف وأصوات الحاضرين بالتهنئة أو النغمة في إنشاد الشعر المباح.

أما نكاح السر فهو كتم النكاح وإخفاؤه عن الناس والاتفاق على ذلك، ويكون النكاح سرًا حتى بنقصان عدد الشهود، فإذا كان عدد الشهود أقل من رجلين أو أقل من رجل وامرأتين كان النكاح سرًا كما وصفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ في كتاب النكاح أن عمر بن الخطاب أتي بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامرأة فقال: هذا نكاح السر ولا أجيزه ولو كنت تقدمت فيه لرجمت.



يكره النبي ﷺ أن يثير شراً

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِرَ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: **«يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومَن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بني زُريق حليف ليهود كان منافقًا. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال: في جُف طلعة ذكر تحت رَعوفة في بئر ذَروان»**، قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال:

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٠١١.

(٢) صحيح سنن النسائي، رقم: ٣١٥٤.

«هذه البئر التي أُريتها، وكأن ماءها نُقاعة الحِناء، وكأن نخلها رءوس الشياطين». قال فاستُخرِج. قالت فقلت: أفلا؟ - أي تنشرت - فقال: «**أما الله فقد شفاني، وأكره أن أُثير على أحد من الناس شراً**»[١]. وفي رواية أخرى قالت عائشة: أفلا أحرقته؟ قال: «**لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أُثير على الناس شراً فأمرت بها فدُفنت**»[٢].

لقد كان النبي ﷺ يكره أن يثير على أحد من الناس شرًا حتى ولو أدى ذلك إلى ترك مصلحة وذلك خوفًا من حدوث مفسدة أعظم منها وهذا من أهم قواعد الإسلام.

وبالرغم من أنه ﷺ قد سُحِر فلم ينتقم لنفسه فيأمر بقتل لبيد الذي سحره مع تمكنه وقدرته على ذلك، وهذا من كرمه ونبله وأخلاقه العظيمة التي مدحه الله عليها فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]. قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنْتَهَك شيء من محارم الله فينتقم لله عزَّ وجلَّ**»[٤]؛ لم يكن النبي ﷺ ينتقم لنفسه إذا آذاه أحد من الناس بقول أو فعل ولكن إذا أُضيف إلى ذلك انتهاك لمحارم الله بارتكاب ما حرمه الله تعالى انتقم ﷺ وانتصر لله تعالى ممن ارتكب ذلك كما أمر بقتل بعض الرجال ممن كان يؤذيه؛ لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله.

أما فيما عدا ذلك فإن حياة النبي ﷺ حافلة بالعفو عمن ظلمه وآذاه كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ برداء النبي ﷺ جبذة شديدة حتى أثر في كتفه ﷺ، ومع ذلك التفت إليه النبي ﷺ وضحك وأمر له بعطاء، وعن الذي آذاه بكلام لا يقال في حق رجل عادي إذا كان عادلاً فكيف في حق رسول الله ﷺ وهو أعدل الناس؟ فقد قسم النبي ﷺ قسمًا، فقال رجل: والله إن هذه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب السم.
(٣) سورة القلم، الآية: ٤.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.

القسمة ما عُدِل فيها وما أُريد بها وجه الله. فقال النبي ﷺ: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»(١).

بل لقد عفا رسول الله ﷺ عن الذين حاربوه وأخرجوه من أحب الأرض إليه وهي مكة؛ فعفا عن أهلها يوم فتح مكة مع أنه كان متمكنًا وقادرًا على الانتقام ولكنه لم يفعل، فهو ﷺ يكره أن يثير على أحد من الناس شرًا.

وفي فعل الرسول ﷺ تعليم لأمته سواء أكانوا من عامة الناس أم من أصحاب السلطان ألا ينتقموا لأنفسهم ممن آذاهم بالكلام أو الأفعال بل يعفوا عن ذلك ولا يكون غضبهم وانتقامهم إلا إذا انتهكت محارم الله فينتصرون لله ممن ارتكب ما حرَّمه الله تعالى.



يكره النبي ﷺ أن يشهد على الجور

عن النعمان بن بشير: «**أن أباه نحله نحلاً فقالت له أمه: أشهد النبي ﷺ على ما نحلت ابني، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فكره النبي ﷺ أن يشهد له**»(٢). وقال ﷺ له: «**يا بشير، ألَك ولد سوى هذا؟**» قال: نعم، فقال: «**أكلهم وهبت له مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فلا تُشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جَور**»(٣).

الشهادة على جَور:

لقد كره النبي ﷺ أن يشهد على جور وامتنع عن الشهادة لذلك، والجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال، وكل ما خرج عن الاعتدال فهو جور سواء أكان حرامًا أم مكروهًا.

لقد أمر الله تعالى بأداء الشهادة ونهى عن كتمانها فقال: ﴿**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾(٤)؛ أي لا تخفوا الشهادة وتغلوها ولا تظهروها. قال ابن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس.

(٢) صحيح سنن النسائي، رقم: ٣٤٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

عباس: على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد، ويخبر حيثما استخبر. وقال أيضًا: شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتمانها كذلك. أي كتمان الشهادة من أكبر الكبائر أيضًا كشهادة الزور.

ولكن حين تكون الدعوة إلى شهادة على جور أو ظلم فيحق للمدعو الامتناع عن الشهادة وليس عليه إثم في ذلك، خاصة إذا كانت الدعوة إلى شهادة زور فالواجب هنا الامتناع عنها وعن قول الزور؛ لأنه حرام، فعن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» (ثلاثًا) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» - وجلس وكان متكئًا فقال: «**ألا وقول الزور**». قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[1]، فجلوسه ﷺ لاهتمامه بهذا الأمر وهو يفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه. وقد مدح الله عز وجل المؤمنين الذين من صفاتهم أنهم لا يشهدون الزور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[2].

وقد أخبر نبي الله ﷺ أنه سيأتي قوم يعطون الشهادة قبل أن يُسألوها ويستهينون بأمر الشهادة واليمين، فقد سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «**قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»[3]، قال الطحاوي: أي يكثرون الأيمان في كل شيء حتى يصير لهم عادة فيحلف أحدهم حيث لا يراد منه اليمين ومن قبل أن يستحلف. وقال غيره: المراد يحلف على تصديق شهادته قبل أدائها أو بعده، وهذا إذا صدر من الشاهد قبل الحكم سقطت شهادته. وقيل: المراد التسرع إلى الشهادة واليمين والحرص على ذلك حتى لا يدري بأيهما يبدأ لقلة مبالاته[4].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: أشهد بالله، أو شهدت بالله.

(٤) فتح الباري للعسقلاني ١١/٥٤٤.

أبغض الخُلُق إلى النبي ﷺ الكذب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان أبغض الخُلُق إليه الكذب**»(١).

لقد كان الكذب أبغض أعمال الخُلُق إلى النبي ﷺ لكثرة ضرره وما يترتب عليه من المفاسد والفتن، وكان ﷺ لا يقول في الرضى والغضب والمزاح إلا الحق؛ ولهذا كان يزجر أصحابه وأهل بيته عن الكذب ويهجر على الكلمة الواحدة من الكذب المدة الطويلة حتى يعلم أنه قد أُحدث منها توبة؛ وذلك لأنه قد يُبْنى عليه أمور ربما ضرت بعض الناس، كما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾(٢)؛ ولهذا يبين النبي ﷺ عاقبة الكذب فيقول ﷺ: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتبَ عند الله كذابًا**»(٣).

ويحذِّر النبي ﷺ من الكذب ومن نقل كل ما يسمعه الإنسان هنا وهناك دون التثبت من صحته فيقول ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»(٤)؛ ذلك لأن ما يسمعه الإنسان فيه الصدق وفيه الكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع حدَّث بالكذب لا محالة فيكون بذلك من الكاذبين.

فالكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وهو كما يكون في القول واليمين يكون في الوعد أيضًا حتى وإن كان في أقل الأشياء مثل تمرة، فعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة**»(٥)، وفي الحديث أن ما يعد به الآباء والأمهات وغيرهم من أشياء سيعطونها للأطفال على سبيل الدعابة والهزل معهم فقط من غير أن يكون هناك نية للإعطاء فعلاً فهذا داخل في

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٦١٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

(٤) أخرجه مسلم في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٧٦.

الكذب. وهذا أمر يتساهل فيه كثير من الآباء والأمهات فيعدون أطفالهم بإعطائهم أشياء إما إسكاتًا لهم عن البكاء أو لتهدئتهم عن اللعب والحركة ونحو ذلك من الأمور، فينفِّذ الأطفال ما هو مطلوب منهم ولا يفي الآباء بما وعدوهم به من الأشياء فيتربى الولد على الكذب ويكبر على ذلك حتى يستخدم الكذب هو أيضًا مع والديه وغيرهما من الناس؛ وقد قال النبي ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن خان»**[(١)].

والكذب يُستخدم أيضًا لإضحاك الناس بأحاديث ملفقة كاذبة. وقد حذَّر النبي مَن يفعل ذلك فقال ﷺ: **«ويل للذي يحدِّث فيكذب ليُضحك به القوم، ويل له، ويل له»**[(٢)].

ويجوز الكذب في بعض الأحوال كالإصلاح بين الناس، ولا يكون المتحدث فيها كاذبًا كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا»**[(٣)]، أو بين الزوجين، أو في الحرب، وقد قال النبي ﷺ: **«لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدِّث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»**[(٤)]، قال النووي: قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور. واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها: ما هو؟ فقالت طائفة: هو على إطلاقه، وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرة، واحتجوا بقول إبراهيم ﷺ: بل فعله كبيرهم، وإني سقيم، وقوله: إنها أختي، وقول منادي يوسف ﷺ: أيتها العير إنكم لسارقون.

قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو. وقال آخرون منهم الطبري: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا المراد به التورية واستعمال المعاريض لا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٨٢.

صريح الكذب، مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا، وينوي إن قدَّر الله ذلك. وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطَب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلامًا جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك ووري.

وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه: مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غدًا يأتينا مدد أي طعام أو نحو هذا من المعاريض المباحة، فكل هذا جائز. وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف وما جاء من هذا على المعاريض والله أعلم. وأما كذبه لزوجته وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك. فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بإجماع المسلمين والله أعلم[١].



لا يحب النبي ﷺ الاكتواء[٢]

قال رسول الله ﷺ: **«إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة عسل، أو شرطة محجم، أو لذعة من نار، وما أحب أن أكتوي»**[٣].

الاكتواء هو الكي بالنار لأجل العلاج، وكانت العرب تقول في أمثالها: آخر الدواء الكي. والعلاج بالكي يأتي في آخر الأمر بعد استنفاد جميع طرق العلاج دون حصول الشفاء، ولا يُستخدم الكي إلا بعد التيقن من أن العلاج به سيكون ناجعًا وأن الداء مزمن ولن يُشفى إلا به. ولا يُستخدم الكي لأجل التجربة إن كان يفيد أم لا.

وقد كان رسول الله ﷺ لا يحب الكي بالنار بل ونهى أمته عنه بقوله: **«وأنهى أمتي عن الكي»**[٤]؛ قال ابن حجر: وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم.. ونهى عنه مع إثباته الشفاء فيه إما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم المادة

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٥٨.
(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٠/١٣٨-١٣٩، ١٥٥، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٤/١٩٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الحجامة من الشقيقة والصداع.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث.

بطبعه فكرهه لذلك؛ ولذلك كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لأمر مظنون، وقد لا يتفق أن يقع له ذلك المرض الذي يقطعه الكي.

ويؤخذ من الجمع بين كراهته ﷺ للكي وبين استعماله له أنه لا يترك مطلقًا ولا يستعمل مطلقًا، بل يستعمل عند تعينه طريقًا إلى الشفاء مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى.. وأما قوله «**وما أحب أن أكتوي**» فهو من جنس تركه أكل الضب مع تقريره أكله على مائدته واعتذاره بأنه يعافه. وقال النووي: وقوله ﷺ «**ما أحب أن أكتوي**» إشارة إلى تأخير العلاج بالكي حتى يضطر إليه لما فيه من استعمال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي.

وقال ابن قتيبة: الكي نوعان: كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل من اكتوى؛ لأنه يريد أن يدفع القدر والقدر لا يدافع، والثاني كي الجرح إذا نغل أي فسد، والعضو إذا قطع، فهو الذي يشرع التداوي به، فإن كان الكي لأمر محتمل فهو خلاف الأولى لما فيه من تعجيل العذاب بالنار لأمر غير محقق.

وقال أبو محمد بن أبي جمرة: علم من مجموع كلامه في الكي أن فيه نفعًا وأن فيه مضرة، فلما نهى عنه علم أن جانب المضرة فيه أغلب، وقريب منه إخبار الله تعالى أن في الخمر منافع ثم حرمها؛ لأن المضار التي فيها أعظم من المنافع.

فعن عمران بن حصين، قال: «**نهى النبي ﷺ، عن الكي، فاكتوينا، فما أفلحن ولا أنجحن**»[1]، قال أبو داود: وكان يسمع تسليم الملائكة فلما اكتوى انقطع عنه فلما ترك رجع إليه. وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن من بين صفات السبعين ألفًا من أمته الذين يدخلون الجنة بلا حساب أنهم لا يكتوون. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**عرضت عليَّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير،**

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٧٤.

قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»(١).



لا يحب النبي ﷺ تأمير الضعيف(٢)

قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تأمَّرَنَ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم»**(٣).

نص رسول الله ﷺ في هذا الحديث على أمرين عظيمين لا يقدر على القيام بهما إلا الأقوياء؛ لأنهما مسؤولية عظيمة وخطيرة خاصة الإمارة التي لا يمكن للضعيف أن يقوم بحقها ويؤدي ما عليه فيها.

ولما كان أبو ذر ضعيفًا وطلب من النبي أن يستعمله، حذره النبي ﷺ منها وبيَّن له عاقبة ذلك؛ يقول أبو ذر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: **«يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا مَن أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»**(٤). ولذلك حذر العلماء من الإمارة والولاية وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا.

الإمارة:

لقد ترك رسول الله ﷺ هذا الأصل العظيم في عدم تأمير الضعفاء، واجتناب الإمارات صغيرها وكبيرها، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الإمارة، والله عز وجل يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للإمارة وعدل فيها فله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/٢٠٧ - ٢١٢، وفتح الباري للعسقلاني ٢/١٤٥، ١٣/١٢٤، ١٢٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة.

فضل عظيم، كما جاء في قول النبي ﷺ **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل..»** الحديث[١]، والمراد به صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه. ويؤيده قوله ﷺ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»**[٢]، فهذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك. وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن سؤال الإمارة؛ لأن من يسأل الإمارة يسلم إليها ولا يعان، أما من أعطيها عن غير مسألة يعان عليها، قال رسول الله ﷺ: **«يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإن أُعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها»**[٣]، أي أن من طلب الإمارة فأعطيها تُركت إعانته عليها من أجل حرصه، ويُستفاد من الحديث أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه فيدخل في الإمارة القضاء والحسبة ونحو ذلك. وإن من لم يكن له من الله عون على عمله لا يكون فيه كفاية لذلك العمل فلا ينبغي أن يجاب سؤاله، ومن المعلوم أن كل ولاية لا تخلو من المشقة، فمن لم يكن له من الله إعانة تورط فيما دخل فيه وخسر دنياه وعقباه، فمن كان ذا عقل لم يتعرض للطلب أصلاً، بل إذا كان كافيًا وأعطيها من غير مسألة فقد وعده رسول الله ﷺ بالإعانة، ولا يخفى ما في ذلك من الفضل.

وقد كان رسول الله ﷺ لا يُأَمِّر الضعفاء، ولا يولِّي من يسأل الإمارة؛ ولهذا لما دخل أبو موسى رضي الله عنه هو ورجلان من قومه، فقال أحد الرجلين: أمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، قال ﷺ: **«إنَّا لا نولِّي هذا من سأله ولا من حَرَص عليه»**[٤]. قال العلماء: والحكمة في أنه لا يولِّي من سأل الولاية أنه يوكل إليها ولا تكون معه إعانة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من سأل الإمارة وُكِلَ إليها.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

كما صرح في حديث عبد الرحمن بن سمرة السابق، وإذا لم تكن معه إعانة لم يكن كفئًا ولا يولَّى غير الكفء؛ ولأن فيه تهمة للطالب والحريص والله أعلم.

فالذي يناله المتولي من النعماء والسراء دون ما يناله من البأساء والضراء، إما بالعزل في الدنيا فيصير خاملاً، وإما بالمؤاخذة في الآخرة وذلك أشد؛ قال القاضي البيضاوي: فلا ينبغي لعاقل أن يفرح بلذة يعقبها حسرات، وقال المهلب: الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك، ووجه الندم أنه قد يُقتل أو يُعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها؛ لأنه يطالب بالتبعات التي ارتكبها وقد فاته ما حرص عليه بمفارقته، ويُستثنى من ذلك من تعين عليه كأن يموت الوالي ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، وإذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال. قال ابن حجر: بل في التعبير بالحرص إشارة إلى أن من قام بالأمر عند خشية الضياع يكون كمن أعطي بغير سؤال لفقد الحرص غالبًا عمن هذا شأنه، وقد يغتفر الحرص في حق من تعين عليه لكونه يصير واجبًا عليه.

تولِّي مال اليتيم:

والأمر الثاني الذي حذَّر رسول الله ﷺ أبا ذر منه ونهاه عنه هو تولِّي مال اليتيم؛ ذلك لأنها مسؤولية خطيرة، وشأنها عظيم، وقد ذكر الله عز وجل اليتيم في كثير من آيات القرآن، فأمر تعالى بإكرامه وإصلاحه وإطعامه والإنفاق عليه، ونهى عن اقتراب ماله إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وشنَّع على الذين يأكلون أموال اليتامى وتوعدهم بالنار، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(١).

ويقول ابن عباس: لما أنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية(٣) - انطلق من كان عنده يتيم،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠؛ وتمامها ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضُلُ من طعامه فيُحْبَس له، حتى يأكله، أو يفسد. فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[١] فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرابهم بشرابه[٢].

وأكل مال اليتيم من كبائر الذنوب ومن السبع الموبقات التي أمر رسول الله ﷺ باجتنابها فقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ فذكر ﷺ: «**وأكل مال اليتيم**»[٣].

يكره النبي ﷺ المسائل

قال عاصم بن عدي: «**إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها**»[٤].

لقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[٥]، وكان السلف يكرهون الإكثار من السؤال عما لا يقع ولا تدعو إليه حاجة ويرونه من التكلف المنهي عنه، وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن السؤال عن أشياء لم ينزل فيها حكم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ..﴾[٦].

قال الشافعي: كانت المسائل فيما لم ينزل فيه حكم زمن نزول الوحي ممنوعة لئلا ينزل الوحي بالتحريم فيما لم يكن قبل ذلك محرمًا فيحرم[٧]. ويشهد له ما قاله رسول الله ﷺ: «**إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرم من أجل مسألته**»[٨].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٠ .
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٤٩٥.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا..﴾.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء.. ﴾.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾.
(٦) سورة المائدة، الآية: ١٠١.
(٧) فتح الباري ٩/٤٤٩.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه.

فكثرة السؤال مكروهة من الله ورسوله خاصة في المسائل التي فيها هتك ستر مسلم أو مسلمة أو إشاعة فاحشة أو شناعة على مسلم أو مسلمة.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال: «**سلوني**»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال: «**أبوك حذافة**». ثم قام آخر فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال: «**أبوك سالم مولى شيبة**». فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله عزَّ وجلَّ»[١]. وفي رواية أخرى: أكثر رسول الله ﷺ أن يقول: «**سلوني**»، فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: «**النار**». فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: «**أبوك حذافة**». ثم أكثر أن يقول: «**سلوني سلوني**». فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً. فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك[٢].

و«كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[٣].

يكره النبي ﷺ رؤية الغيم والريح

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسَّم. قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رؤوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟ فقال: «**يا عائشة ما يُؤْمِنِّي أن يكون فيه عذاب؟ عُذِّبَ قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾**»[٤].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾.

كان رسول الله ﷺ دائم المراقبة لله فإذا رأى تغيرات كونية مثل الخسوف والكسوف للقمر والشمس خاف ولجأ إلى الصلاة حتى تزول هذه التغيرات، كذلك إذا رأى ريحًا أو غيمًا فيه رعد وبرق عُرف في وجهه الكراهية وخاف أن يكون عذابًا سُلِّط على أمته كما عَذَّب الله تعالى أقوامًا بالريح، قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[2].

ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى الريح يتغير لونه ويظل يتحرك جيئة وذهابًا ويلجأ إلى الله بالدعاء ولا يهدأ له بال حتى ينزل المطر فيقول: «رحمة»[3]، قالت عائشة زوج النبي ﷺ: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: **«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أُرسلت به»** قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّيَ عنه فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته فقال: **«لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[4]»**[5].



يكره النبي ﷺ التصاوير

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها اشترت نُمْرُقَةً فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهة فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ما بال هذه النمرقة؟»** قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسَّدها، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٤١-٤٢ .

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٦-٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤، وتمامها: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر.

«إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وقال: **«إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»**[١].

لقد كانت عائشة رضي الله عنها حريصة كل الحرص على راحة حبيبها رسول الله ﷺ فاشترت وسادة يتوسدها أو يجلس عليها ولم تكن تعلم حكم الرسوم التي كانت على الوسادة، وكان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يكون بيته خال من كل محرم أو مكروه، ويكره وجود أي من ذلك في بيته، فلما رأى هذه الوسادة امتنع عن دخول البيت ورأت عائشة الكراهية في وجهه فظنت أنها قد أذنبت ذنبًا ما، فأخبرها النبي ﷺ عن الوسادة وبيَّن لها أن رسومها تمنع دخول الملائكة إلى البيت.

فالنبي ﷺ يحب دخول الملائكة إلى بيته ويكره أن يوجد في بيته شيء يمنع دخولهم، وذات يوم واعد جبريل النبي ﷺ في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، فاشتد على النبي ﷺ حتى خرج من بيته؛ فلقي جبريل فشكا إليه النبي ﷺ ما وجد من إبطائه فأخبره جبريل بأنهم لا يدخلون بيتًا فيه صورة أو كلب.

فعن عائشة أنها قالت: «واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، وفي يده عصا فألقاها من يده وقال: **«ما يُخْلِفُ الله وعده ولا رسله»**، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره فقال: **«يا عائشة متى دخل هذا الكلب ههنا؟»** فقالت: والله ما دريت. فأمر به فأُخرج، فجاء جبريل فقال رسول الله ﷺ: **«واعدتني فجلست لك فلم تأت»** فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»[٢]. فبالرغم من أنه كان للنبي ﷺ عذر ظاهر بأنه لم يكن يعلم بوجود الكلب ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت بالرغم من أنه بيت رسول الله ﷺ.

قال النووي: قال العلماء: إن سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يُعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات؛ ولأن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب التجارة فيما يُكره لبسه للرجال والنساء.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم صورة الحيوان.

بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة؛ ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان. وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها[١].

وتحدثنا عائشة رضي الله عنها عن قرام لها وهو القماش الملون فيه رقم ونقش يتخذ للستر أو للتغطية فتقول: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه هتكه وتلوَّن وجهه وقال: «**يا عائشة؛ أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**»، قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين[٢].

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم في غزاة فأخذت عائشة رضي الله عنها نمطًا، وهو بساط لطيف له خمل يجعل على الهودج وقد يجعل سترًا، فسترته على الباب، وكان في النمط صور الخيل ذوات الأجنحة، وتقول عائشة: فلما قدم فرأى عرفت الكراهية في وجهه فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين**»[٣].

فيستدل بهذه الأحاديث على أن صاحب البيت إذا رأى في بيته صورًا محرمة عليه أن يقطعها، أو تماثيل لذوات الأرواح فيكسرها، وكذلك إذا رأى شيئًا محرمًا أو منكرًا عليه أن يبادر فورًا إلى تغيير هذا المنكر باليد وأن يغضب عند رؤية المنكر، وألا يترك الحبل على الغارب في بيته؛ لأنه المسؤول الأول أمام الله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته:.. والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته**»[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤/٨٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم صورة الحيوان.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم صورة الحيوان.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن.

يكره النبي ﷺ تزكية النفس

عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم إني قمت رمضان كله أو صمته**»، قال: فلا أدري أكره التزكية أم لا؟ فلا بد من غفلة أو رقدة[1].

فالنهي ليس راجعًا إلى ذكر رمضان بلا شهر وإنما هو راجع إلى نسبة الصوم إلى نفسه فيه كله مع أن قبوله عند الله تعالى في محل الخطر. قال قتادة وغيره: فالله - تبارك وتعالى - أعلم أخشي على أمته التزكية.

تزكية النفس[2]:

لقد كان النبي ﷺ يكره أن يزكِّي الإنسان نفسه، وقد نهى الله ورسوله عن تزكية النفس فقال الله تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم**»[4]، فنهى الله ورسوله عن مدح النفس والثناء عليها، فإن ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع؛ لأن الله تعالى أعلم بمن أخلص العمل واتقى عقوبة الله. وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾[5]، فالزاكي المزكى من حسنت أفعاله وزكَّاه الله عز وجل فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له؛ لأن الله تعالى أعلم بحقائق الأمور وغوامضها، وقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه. وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[6]؛ فلولا فضل الله ما اهتدى أحد ولا

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٠٢٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٣٧، ٥/١٥٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٨٦، وإحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٥٩، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١٢٦، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٤٧٧.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب تغيير الاسم القبيح إلى حسن.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٦) سورة النور، الآية: ٢١ .

أسلم ولا عرف رُشدًا، ولولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرًا. فتزكية الله لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم. وقد كان من دعاء النبي ﷺ: **«اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها»**[١].

وكما كان النبي ﷺ يكره تزكية النفس كان أيضًا يكره تزكية الغير والمبالغة في مدحه، وقد أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ، فقال ﷺ: **«ويلك، قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك»** (مرارًا). ثم قال: **«من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانًا. والله حسيبه. ولا أزكي على الله أحداً. أحسبه كذا وكذا. إن كان يعلم ذلك منه»**[٢]، أي فليقل أحسب أن فلانًا كذا كقوله إنه ورع ومتق وزاهد إن كان يحسب ذلك منه، والله يعلم سره؛ لأنه هو الذي يجازيه، ولا يقل أتيقن ولا أتحقق جازمًا بذلك، ولا تزكوا أحدًا على الله؛ لأنه أعلم به منكم. وقد قال رسول الله ﷺ: **«إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب»**[٣]، قال الغزالي: المدح يدخله ست آفات: أربع في المادح، واثنتان في الممدوح. فأما المادح، فالأولى: أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب. والثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمرًا له ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا منافقًا. والثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه. والرابعة: أنه قد يُفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز، قال الحسن: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه، والظالم الفاسق ينبغي أن يُذم ليغتم ولا يُمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين؛ أحدهما: أنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان. والثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب الأدعية.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب النهي عن الإفراط في المدح إذا خيف منه فتنة الممدوح.

أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرًا. فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبًا إليه.

قال ابن بطال: حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به. وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مُدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابًا. وقال العلماء عن الجمع بين أحاديث النهي عن المدح وأحاديث المدح في الوجه: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كتنشيطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحبًا. قال بعض السلف: إذا مُدح الرجل في وجهه فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون.

يكره النبي ﷺ قول أنا[1]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: «مَن ذا؟» فقلت: أنا. فقال: «أنا أنا». كأنه كرهها»[2].

لقد كره رسول الله ﷺ أن يكون جواب الإنسان «أنا» على من يسأله: من أنت؟ فكل الناس يمكنهم القول: أنا. وليس في قول «أنا» الجواب على السؤال، فمن الأولى أن يبين من هو فيقول: فلان أو أنا فلان فيذكر اسمه. ولا يعتمد على معرفة الناس لصوته فقد تلتبس الأصوات ولا تكفي كلمة «أنا» لتمييز الصوت.

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٥/١٤، وفتح الباري للعسقلاني ٣٦/١١ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا قال: من ذا؟ فقال: أنا.

وذكر ابن الجوزي أن السبب في كراهة قول «أنا» أن فيها نوعًا من الكبر، كأن قائلها يقول: أنا الذي لا أحتاج أذكر اسمي ولا نسبي.

قال العلماء: إذا استأذن فقيل له: من أنت، أو من هذا؟ كره أن يقول: «أنا» لهذا الحديث؛ ولأنه لم يحصل بقوله «أنا» فائدة ولا زيادة بل الإبهام باق، بل ينبغي أن يقول: فلان باسمه، وإن قال: أنا فلان فلا بأس كما قالت أم هانئ حين استأذنت فقال النبي ﷺ: «من هذه؟» فقالت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب[1]. ولا بأس بقوله أبو فلان أو القاضي فلان أو الشيخ فلان إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه، والأحسن في هذا أن يقول: أنا فلان المعروف بكذا.

يكره النبي ﷺ عشر خلال

عن عبد الله بن مسعود قال: «**كان رسول الله ﷺ يكره عشر خلال: تختم الذهب، وجر الإزار، والصفرة - يعني الخلوق -، وتغيير الشيب، قال جرير: إنما يعني بذلك نتفه، وعزل الماء عن محله، والرُّقى إلا بالمعوِّذات، وفساد الصبي غير مُحَرِّمِهِ، وعقد التمائم، والتبرج بالزينة لغير محلها، والضرب بالكعاب**»[2].

١- تختم الذهب:

كان النبي ﷺ يكره التختم بالذهب للرجال ونهى عنه؛ لأن الذهب حرام على الرجال، وحلال للنساء؛ قال ﷺ: «**حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحِلَّ لإناثهم**»[3].

٢- جر الإزار:

وكان النبي ﷺ يكره جر الإزار أي إسباله خيلاء ونهى عن ذلك. وقال ﷺ: «**يا سفيان بن سهل! لا تسبل فإن الله لا يحب المسبلين**»[4]، وحدد النبي ﷺ أن «**إزرة**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به.
(٢) مسند أحمد، رقم: ٣٦٠٥، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٠٤.
(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٨٧٦.

المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج - أو لا جناح - فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه»(١)، وقال ﷺ: **«بينا رجل يجر إزاره إذ خُسِفَ به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»**(٢).

٣- الصفرة:

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يكره الصفرة أي الخلوق وهو طيب مركب من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وكراهيته مختص بالرجال.

٤- تغيير الشيب:

وكان النبي ﷺ يكره تغيير الشيب أي نتفه، فعن أنس بن مالك قال: **«يُكرَهُ أن يَنتِفَ الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته»**(٣)، ونهى النبي ﷺ عن نتف الشيب؛ لأنه نور المسلم وله بشيبته التي يشيبها في الإسلام أجر كبير؛ فقال ﷺ: **«لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كُتِب له بها حسنة، ورُفع بها درجة، أو حُطَّ عنه بها خطيئة»**(٤).

أما تغيير الشيب بالصبغ فقد أمر النبي ﷺ به، وقال ﷺ: **«غيِّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد»**(٥)؛ فيمكن تغيير الشيب بغير اللون الأسود، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«إن أحسن ما غُيِّر به هذا الشيب؛ الحِنَّاء، والكَتَم»**(٦).

٥- عزل الماء عن محله:

وكان النبي ﷺ يكره العزل، والعزل هو أن يعزل الرجل ماءه عن فرج المرأة وهو محل الماء، فإذا جامع الرجل امرأته وقرب من الإنزال أخرج عضوه وأنزل ماءه خارج

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٩.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ.
(٤) مسند أحمد، رقم: ٦٦٧٢، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب.
(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥٤٢.

الفرج فعزله عنه. ولكن النبي ﷺ لم يحرم العزل، بل لما سئل: كيف ترى في العزل؟ قال ﷺ: «**أوَانكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم ألاً تفعلوا، فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة**»[1]؛ لأن الله عز وجل إن كان قدَّر خلق الولد لم يمنع العزل ذلك فقد يتسرب الماء إلى داخل الفرج دون شعور من العازل فيعلق الماء ويكون منه الولد، وقد حدثت حالات لا تعد ولا تحصى حملت فيها المرأة بالرغم من العزل، بل هناك حالات كثيرة كانت المرأة فيها عذراء وحملت بعد العزل، فالمني يعرف طريقه ووجهته بإذن الله - سبحانه وتعالى - وبمجرد إنزاله ينطلق إلى هدفه: فإما يصل إلى داخل فرج المرأة إذا كان قريبًا منه، وإما لا يصل إذا صادف عائقًا أو كان بعيدًا، فسبحان ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾[2].

٦ - الرُّقى إلا بالمعوِّذات:

وكان رسول الله ﷺ يكره الرُقية إلا إذا كانت بالمعوِّذات وهي: سورة الإخلاص، والفلق، والناس، وما في معناها من الأدعية المأثورة، والتعوذ بأسماء الله تعالى، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُنزل - أو أُنزلت - عليَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط: المعوذتين**»[3]. والمعوذتان؛ أي الفلق والناس، وقال ﷺ: «**يا عقبة، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا**» فعلمني ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾[4]، وعن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ، بين الجحفة والأبواء، إذ غشيتنا ريح، وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ ﴿**أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ و﴿**أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ ويقول: «**يا عقبة، تعوَّذ بهما فما تعوَّذ مُتعوِّذ بمثلهما**»[5] أي هما أفضل التعاويذ التي يتعوذ بها من شر المخلوقات ومن شر كل شيء.

وكان رسول الله ﷺ ينفث على نفسه بهذه المعوذات كل ليلة إذا أوى إلى فراشه، فعن عائشة: «**أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم**

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.
(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٢٩٨.
(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٢٩٩.

نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»(١).

٧- فساد الصبي:

وكان النبي ﷺ يكره فساد الصبي، وهو: جماع المرأة المرضع، فإذا حملت فسد لبنها وكان في ذلك فساد الصبي الرضيع، ويسمى الغيلة؛ فكان النبي ﷺ يكره ذلك مما يخاف منه ضرر الولد الرضيع، غير محرم إياه، ولم ينه النبي ﷺ عنه؛ لأنه قد تبين له أن الروم وفارس يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئًا، وقال ﷺ: **«لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم»**(٢)، لذا فهي جائزة.

٨- عقد التمائم:

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يكره عقد التمائم وهي جمع تميمة، والمراد بها التعاويذ التي تحتوي على رقى الجاهلية من أسماء الشياطين وألفاظ لا يُعرف معناها، وعن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: **«إن عليه تميمة»**، فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال: **«من علَّق تميمة فقد أشرك»**(٣).

وقيل: التمائم خرزات كانت العرب في الجاهلية تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطله الإسلام، وقال رسول الله ﷺ: **«من تعلَّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلَّق ودَعَة فلا ودَعَ الله له»**(٤)، والودعة يعني الخرزة؛ وإنه لمن المؤسف أنه إلى يومنا هذا هناك بعض المسلمين ما زالوا يعملون بعادات الجاهلية هذه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب جواز الغيلة «وهي وطء المرضع» وكراهة العزل.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٧٣٥٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٧٣٣٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

فيعلقون التمائم على أجسامهم وأجسام أولادهم، وعلى مداخل بيوتهم، ويعلقون أيضًا الخرزات الزرق على أولادهم وربما علقوا معها خرزة زرقاء على شكل كف يزعمون أنها تقي العين.

بل قد يصل الأمر ببعض المسلمين أن يعلقوا فوق مداخل بيوتهم حدوة حصان ويعلقوا بها خرزات زرق ليمنعوا العين والحسد على حد زعمهم؛ وكل ذلك باطل وشرك والعياذ بالله تعالى، وأكثر ما يؤمن بهذه الأمور النساء، وقد كان لي جار محافظ على الصلاة في المسجد ومع ذلك وجدت فوق مدخل بيته حدوة حصان مع خرزات زرق فراجعته في الأمر وبينت له الحكم فقال: هذه زوجتي الله يهديها، وقلت له: وأنت ما دورك في البيت؟!. وقد أزالها فيما بعد ولله الحمد.

٩- التبرج بالزينة لغير محلها:

وكان النبي ﷺ يكره التبرج بالزينة لغير محلها؛ وهو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها لغير الذين يحل لها إظهار زينتها أمامهم وهم الزوج والمحارم، فتظهر المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب الذين يحرم عليها إظهار زينتها أمامهم، وقد نهى الله تعالى النساء عن التبرج أمام الرجال الأجانب فقال تعالى: **﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾**(١).

وأمر الله تعالى النساء بلزوم الحجاب وغض البصر وحفظ الفرج، ونهاهن عن إبداء الزينة للرجال الأجانب، وحدد لهن الرجال الذين يجوز لهن أن يبدين زينتهن أمامهم فقال تعالى: **﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾**(٢).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

١٠ - الضرب بالكعاب:

وكان النبي ﷺ يكره الضرب بالكعاب، جمع كعب وهو فصوص النردشير، والنرد عجمي معرب وشير معناه حلو، ويسمى في بعض البلاد (الزهر) وهو مكعب أبيض نقش عليه نقاط من واحد إلى ستة، والمراد النهي عن اللعب بالنرد، قال رسول الله ﷺ: **«من لعب بالنَّرْدَشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»**[١]، ومعنى صبغ يده في لحم الخنزير ودمه في حال أكله منهما وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما والله أعلم، وقال ﷺ: **«من لعب بالنَّرد فقد عصى الله ورسوله»**[٢].



يكره النبي ﷺ القيام له

عن أنس قال: **«لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك»**[٣].

لقد كان من تواضع النبي ﷺ لربه أنه يكره أن يقوم له الناس إذا دخل عليهم، ولم يكن هناك شخص أحب إلى الصحابة من النبي ﷺ ومع ذلك فإنهم إذا رأوه مقبلاً لم يقوموا له مع أنه سيد الخلق، لعلمهم بكراهيته لذلك، وهذه مخالفة منه ﷺ لعادة المتكبرين والمتجبرين الذين يريدون من الناس أن ينتصبوا لهم قيامًا بين أيديهم تعظيمًا لهم؛ وقد قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعده من النار»**[٤]، أي من أعجبه وجعله مسرورًا وأحب أن ينتصب له الرجال قيامًا وجب له أن ينزل منزله من النار وحق له ذلك.

فقد علَّم النبي ﷺ صحابته أنه عبد لله ورسوله، وأنه بشر مثلهم، ونهاهم عن تعظيمه كتعظيم النصارى لعيسى ابن مريم عليهما السلام حتى وصفوه بأنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٢٩.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢١١.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢١٢.

ابن الله، ومنهم من قال إنه الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا؛ فقد قال المصطفى ﷺ لصحابته: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

وعن جابر قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يُسمِع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا، فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودًا، فلما سلَّم قال: «**إن كدتم آنفًا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود. فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم: إن صلى قائمًا فصلوا قيامًا، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً**»(٢). فالقيام على الرجل وله إنما هو من فعل الفرس والروم، والعرب لم يكونوا يعرفون هذا النوع من القيام.

قال أبو الوليد بن رشد(٣): إن القيام يقع على أربعة أوجه: الأول محظور؛ وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرًا وتعاظمًا على القائمين إليه. والثاني مكروه؛ وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبابرة. والثالث جائز؛ وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة. والرابع مندوب؛ وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحًا بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها.

ونقل ابن كثير في تفسيره عن بعض المحققين التفصيل فيه فقال: المحذور أن يُتخذ ديدنًا كعادة الأعاجم كما دل عليه حديث أنس، وأما إن كان لقادم من سفر أو لحاكم في محل ولايته فلا بأس به. وقد قال أبو حامد الغزالي: القيام على سبيل الإعظام مكروه وعلى سبيل الإكرام لا يكره(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام.
(٣) فتح الباري للعسقلاني ١١/٥١ .
(٤) المرجع السابق ١١/٥٤ .

يكره النبي ﷺ أن يذكر الله بغير طهر

عن المهاجر بن قنفذ: أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول، فسلم عليه، فلم يرد عليه حتى توضأ، ثم اعتذر إليه، فقال: «**إني كرهت أن أذكر الله عزَّ وجلَّ إلا على طهر**»، أو قال: «**على طهارة**»[١].

وقال ابن عمر: «**أقبل رسول الله ﷺ من الغائط، فلقيه رجل عند بئر جمل، فسلم عليه، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ، حتى أقبل على الحائط فوضع يده على الحائط، ثم مسح وجهه ويديه، ثم رد رسول الله ﷺ على الرجل السلام**»[٢].

ففي الحديث دلالة على أنه ينبغي لمن سلم عليه أحد وهو يبول أن يدع الرد حتى يتوضأ أو يتيمم ثم يرد، وهذا إذا لم يخش فوت المسلِّم، وأما إذا خشي فوته فالحديث لا يدل على المنع؛ لأن النبي ﷺ تمكن من الرد بعد أن توضأ أو تيمم على اختلاف الروايتين، فيمكن أن يكون تركه لذلك طلبًا للأشرف وهو الرد حال الطهارة[٣].

وفيه أن الذكر ورد السلام مكروه في حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وأن المسلِّم في هذا الحال لا يستحق جوابًا؛ فينبغي للإنسان ألا يسلم على المشتغل بقضاء حاجة البول والغائط أو على من كان موجودًا في المرحاض حتى لا يحوجه إلى رد السلام فيذكر الله وهو على ذلك الحال، والأفضل أن ينتظره إلى أن يقضي حاجته أو يخرج من المرحاض فيسلم عليه.

قال النووي: قالوا: ويكره للقاعد على قضاء الحاجة أن يذكر الله تعالى بشيء من الأذكار؛ قالوا: فلا يسبح ولا يهلل ولا يرد السلام ولا يشمت العاطس ولا يحمد الله تعالى إذا عطس ولا يقول مثل ما يقول المؤذن. قالوا: وكذلك لا يأتي بشيء من هذه الأذكار في حال الجماع، وإذا عطس في هذه الأحوال يحمد الله تعالى في نفسه ولا يحرك به لسانه. وهذا الذي ذكرناه من كراهة الذكر في حال البول والجماع هو كراهة تنزيه لا تحريم فلا إثم على فاعله[٤].

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣ .

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٠.

(٣) انظر: عون المعبود للعظيم آبادي ١/٢٠ .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٤/٦٥ .

يكره النبي ﷺ التمثيل بالبهائم

عن عبد الله بن جعفر قال: مرَّ رسول الله ﷺ على أناس وهم يرمون كبشًا بالنبل فكره ذلك وقال: **«لا تَمْثُلُوا بالبهائم»**[١]. المثلة هي قطع أطراف الحيوان أو بعضها وهو حي، وتغيير صورته بالرمي إليه.

لقد كره رسول الله ﷺ التمثيل بالبهائم ونهى عنه؛ لأنه تعذيب للحيوان، وقد أدخل الله عز وجل امرأة النار بسبب قطة حبستها، قال رسول الله ﷺ: **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»**[٢].

فرمي الحيوان بالنبل من المثلة، وقد **«نهى رسول الله ﷺ أن تُصْبَرَ البهائم»**[٣]، وصبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وقد لعن رسول الله ﷺ من يفعل هذا، و**«مرَّ ابن عمر بفتية نصبوا دجاجة يرمونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا»**[٤]، وقال: **«إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»**[٥].

فالنبي ﷺ قد نهى عن اتخاذ شيء فيه الروح غرضًا، قال النووي: أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضًا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها، وهذا النهي للتحريم.. ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى[٦]. وقال النبي ﷺ: **«لعن الله مَن مثَّل بالحيوان»**[٧]، ومن ذلك يتبين بشاعة التمثيل بالحيوان والعاقبة السيئة لمن يفعل ذلك وسوء فعل من يقوم بقتل الحيوان بوساطة التعذيب بالرمي بالنبل أو غير ذلك حتى وإن كان الحيوان مما أباح الله أكله، فكيف يكون الأمر إذًا إن لم يكن الحيوان مما يؤكل ولا يُفعل به ذلك لأجل أكله وإنما لأجل اللهو والتسلية؟!.

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٤١٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم.
(٦) شرح صحيح مسلم للنووي ١٠٨/١٣ .
(٧) صحيح سنن النسائي، رقم: ٤١٣٩.

ومن العجيب أن بعض الدول تفخر بالتمثيل بالحيوان ويعدونه من تراثهم العريق! مثل مصارعة الثيران التي يقوم فيها المصارع بغرز السهام أو الرماح واحداً تلو الآخر في جسم الثور في استعراض مثير يحضره الآلاف من الناس ويصفقون للمصارع مع كل سهم يغرزه في جسم الثور المسكين الذي يزداد نزيف دمه مع كل سهم، ويظل الثور ينزف والمصارع مستمر في طعنه بالسهام في حركات استعراضية حتى يمتلأ جسم الثور بالسهام الكثيرة فلا يعد يقوى على الوقوف على قوائمه ثم يخر صريعًا، ويخرج المصارع من الحلبة وسط تصفيق الناس له على انتصاره على الثور!.

وفي الوقت الذي يمثَّل بالثور الضخم هذا التمثيل البشع المقزز للنفس السوية، ويُقتل بهذه الطريقة الوحشية البعيدة كل البعد عن الرحمة بالحيوان والرفق به نجد في المقابل أن الإسلام يعنى بحقوق العصفور ويطالب الإنسان بأداء حقه إليه وإلا فسيسأله الله عز وجل عن ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: **«من قتل عصفوراً بغير حقه سأله الله عنه يوم القيامة»**، قيل: يا رسول الله؛ وما حقه؟ قال: **«يذبحه ذبحًا، ولا يأخذ بعنقه فيقطعه»**[١]، وعندما أخذ الصحابة فَرْخَي طائر صغير كالعصفور، ثم جاءت أمهما تبحث عنهما قال النبي ﷺ: **«من فَجَعَ هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها»**[٢].

ولماذا نقول العصفور؟! بل حتى النملة! فإن الإسلام نهى عن قتلها هي والنحلة وغيرها، فعن ابن عباس قال: **«إن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصُّرَد»**[٣]، ورأى النبي ﷺ قرية نمل قد حرقها أصحابه، فقال: **«من حرَّق هذه؟»** قلنا: نحن، قال: **«إنه لا ينبغي أن يُعذِّب بالنار إلا رب النار»**[٤].

إن الإسلام ينهى عن تعذيب الحيوان، بل ينهى حتى عن ضربه في وجهه أو وسمه فيه، فعن جابر قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه»**[٥]، وعنه قال: إن النبي ﷺ مرَّ عليه حمار قد وُسِمَ في وجهه فقال: **«لعن**

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٦٥٥١، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٣٨٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٣٨٧.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٣٨٨.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

الله الذي وسمه»[١]، الوسم أثر كية، وأصله من السمة وهي العلامة. قال النووي: أما الضرب في الوجه فمنهي عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها. لكنه في الآدمي أشد؛ لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف؛ لأنه يظهر فيه أثر الضرب وربما شانه وربما آذى بعض الحواس. وأما الوسم في الوجه فمنهي عنه بالإجماع للحديث ولما ذكرناه، فأما الآدمي فوسمه حرام لكرامته؛ ولأنه لا حاجة إليه فلا يجوز تعذيبه، وأما غير الآدمي فقال جماعة من أصحابنا: يكره، وقال البغوي من أصحابنا: لا يجوز. فأشار إلى تحريمه وهو الأظهر؛ لأن النبي ﷺ لعن فاعله، واللعن يقتضي التحريم[٢].

ولم يكتف الإسلام بالنهي عن تعذيب الحيوان أو حتى ضربه في وجهه أو وسمه فيه بل أمر الإسلام كذلك بالرفق بالحيوان والشفقة عليه، وإذا كان الله ﷺ قد أدخل امرأة النار بسبب هرة حبستها، فإنه تعالى أيضًا يشكر ويغفر لمن يحسن إلى حيوان، قال رسول الله ﷺ: «**بينما كلب يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقَها فسقته، فغُفِرَ لها به**»[٣]، وقال ﷺ: «**بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خُفَّهُ ثم أمسكه بفيه، ثم رَقِيَ فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**في كل كبدٍ رطبةٍ أجر**»[٤]، أي هناك ثواب في الإحسان إلى كل حيوان حي بسقيه أو إطعامه ونحو ذلك، سواء أكان مملوكًا له أم لغيره أم مباحًا، قال النووي: ففي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله، فأما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع في قتله؛ والمأمور بقتله كالكافر الحربي والمرتد والكلب العقور والفواسق الخمس المذكورات في الحديث وما في معناهن[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/٩٧ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء.
(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/٢٤١ .

لقد بلغت عناية الإسلام بالحيوان والإحسان إليه إلى الحد الذي لم يغفل فيه أن يوصي حتى بإحسان قتل وإحسان ذبح الحيوان الذي حلل الله تعالى ذبحه وأكله؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحد أحدكم شفرته، فليُرح ذبيحته**»[1]. فمن الإحسان أن يُحد السكين، وألا يحدها بحضرة الحيوان، وألا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يسحبها برجلها ليذبحها، وأن يعجِّل تمرير السكين على الحلق، وهو أقرب المواضع لمفارقة الحياة بسهولة.



يكره النبي ﷺ المشي على قبر المسلم

قال رسول الله ﷺ: «**لأن أمشي على جمرة أو سيف، أو أخصف نعلي برجلي، أحبُّ إليَّ من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أوَسَطَ القبور قضيت حاجتي، أو وَسَطَ السوق**»[2].

لقد شرع الإسلام زيارة القبور والتسليم على الأموات والدعاء لهم، ونهى عن غير ذلك مما فيه أذى للأموات أو عدم احترام المكان، وقد كره النبي ﷺ أن يمشي أحد على قبر مسلم أو يجلس عليه ونهى عن ذلك فقال ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[3]، ورهَّب ﷺ من الجلوس على القبر حتى قال: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**»[4]. وكذلك رهَّب النبي ﷺ من قضاء الحاجة بين القبور وجعله مشابهًا لمن يقضي حاجته وسط السوق بين الناس.

وكره النبي ﷺ كذلك المشي بالنعال بين القبور، وكان ﷺ يمشي يومًا فمر بقبور المسلمين، وحانت منه ﷺ نظرة، فإذا رجل يمشي في القبور عليه نعلان فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد، باب الأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٢٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه.

«يا صاحب السِّبتيَّتَين، ويحك الق سِبْتِيَّتَيك»، فنظر الرجل، فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما فرمى بهما[(١)].

فمن تدبر نهي النبي ﷺ عن الجلوس على القبر، والاتكاء عليه، والوطء عليه علم أن النهي إنما كان احترامًا لسكانها أن يوطأ بالنعال فوق رؤوسهم[(٢)].

هذا وإن كان المشي بالنعال بين القبور مسألة خلافية بين العلماء إلا أنه بالجملة: فاحترام الميت في قبره بمنزلة احترامه في داره التي كان يسكنها في الدنيا، فإن القبر قد صار داره. وقد قال رسول الله ﷺ: **«كسر عظم الميت ككسره حيًا»**[(٣)]، وفي هذا إشارة إلى أنه لا يهان ميتًا كما لا يهان حيًا. فدل على أن احترامه في قبره كاحترامه في داره، والقبور هي ديار الموتى ومنازلهم، ومحل تزاورهم، وعليها تنزل الرحمة من ربهم، والفضل على محسنهم، فهي منازل المرحومين، ومهبط الرحمة، ويلقى بعضهم بعضًا على أفنية قبورهم، يتجالسون ويتزاورون، كما تضافرت به الآثار[(٤)].

يكره النبي ﷺ شراء التمر بالرطب[(٥)]

عن سعد بن أبي وقاص قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرطب بالتمر؟ فقال: **«أليس يَنْقُص الرطب إذا يَبِس؟»** قالوا: بلى، فكرهه[(٦)].

لقد كان رسول الله ﷺ يكره شراء التمر بالرطب، فقفيز رطب مقابل قفيز تمر هو بيع فاسد؛ لأن الرطب ينقص إذا جف فيصير أقل من قفيز؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن مثل هذا البيع، وبه قال العلماء، وقالوا: لا يجوز بيع التمر بالرطب لا متفاضلاً ولا متماثلاً يدًا بيد كان أو نسيئة. وأما التمر بالتمر والرطب بالرطب فيجوز ذلك متماثلاً لا متفاضلاً يدًا بيد لا نسيئة.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٧٦٧ .
(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ٩ / ٣٧.
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٧٤٦ .
(٤) عون المعبود للعظيم آبادي ٩/٣٨ .
(٥) راجع: تحفة الأحوزي للمباركفوري ٤/٣٥٠، وحاشية السندي على سنن النسائي ٧/٣١٠ .
(٦) مسند أحمد، رقم: ١٥١٥، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

وقوله «**أليس يَنْقُص الرطب**» تنبيه على علة المنع بعد اتحاد الجنس، **فيجري** المنع في كل ما يجري فيه هذه العلة. قال القاضي في شرح المصابيح: ليس المراد من الاستفهام استفهام القضية فإنها جلية مستغنية عن الاستكشاف، بل التنبيه على أن المطلوب تحقق المماثلة حال اليبوسة فلا يكفي تماثل الرطب والتمر على رطوبته ولا على فرض اليبوسة؛ لأنه تخمين فلا يجوز بيع أحدهما بالآخر. وبه قال أكثر أهل العلم.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «**أنه أتي بتمر فأعجبه جودته، فقالوا: يا رسول الله، إنا أخذنا صاعًا بصاعين لنطعمه، فكره ذلك ونهى عنه**»[1].



يكره النبي ﷺ النوم قبل العشاء والحديث بعدها

عن أبي برزة «**أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها**»[2].

النوم قبل العشاء:

كان رسول الله ﷺ يكره النوم قبل صلاة العشاء، قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما نام رسول الله ﷺ قبل العشاء، ولا سَمَرَ بعدها**»[3].

وكره ذلك أكثر أهل العلم، وعلة الكراهة أن النوم قبل صلاة العشاء قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقًا أو عن الوقت المختار.

السمر بعد العشاء:

كان رسول الله ﷺ يكره السمر، وهو السهر للمحادثة بعد صلاة العشاء، وزجر أصحابه عن ذلك، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «**جَدَبَ لنا رسول الله ﷺ السمر بعد العشاء. يعني زجرنا**»[4]، وجدب: أي عاب وذم. وعلة الكراهة أن السهر

(١) مسند أحمد، رقم: ١١٤٦٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يُكره من النوم قبل العشاء.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٥٧٦.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٥٧٧.

بعد صلاة العشاء قد يؤدي إلى النوم عن الصبح أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: «**أسمراً أول الليل ونوماً آخره؟**» ، قال ابن حجر: المراد بالسمر ما يكون في أمر مباح؛ لأن المحرَّم لا اختصاص لكراهته بما بعد صلاة العشاء بل هو حرام في الأوقات كلها[١]. فالسمر بعد العشاء مكروه حتى وإن كان في الأمور المباحة فمن باب أولى أن يكون محرمًا إذا كان في أمور محرمة مثل مجالس الغيبة والنميمة واستماع ومشاهدة المنكر والمحرم من الأغاني والمشاهد التلفازية ناهيك عن الكبائر كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك.

إن السهر بعد العشاء يباح أحيانًا إذا كان في أمر من أمور الخير أو لحاجة دينية مثل تعلم العلوم الشرعية والبحث في أوضاع المسلمين لتقرير ما فيه مصلحة لهم أو لدفع ضرر عنهم، وهذا ما كان رسول الله ﷺ يفعله أحيانًا؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما**»[٢]، وأخرج البخاري في باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء عن أنس بن مالك قال: انتظرنا النبي ﷺ ذات ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه، فجاء فصلَّى لنا، ثم خطبنا فقال: «**ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا، وإنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة**»[٣].



لا يحب النبي ﷺ جمع المال

قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر أتبصر أُحُداً؟**» قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم. قال: «**ما أحب أن لي مثل أُحُد ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير**»[٤]. وفي رواية: «**لو كان لي مثل أُحُد ذهبًا ما يسرني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئًا أرصده لدَين**»[٥].

---

(١) فتح الباري ٢/٧٣ .

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أُدِّيَ زكاته فليس بكنز.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «**ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً**».

لم يكن رسول الله ﷺ يحب جمع المال، ولو تحول له جبل أُحُد ذهبًا لما أحب ﷺ أن تأتي عليه ليلة أو ثلاث ليال وعنده منه دينار إلا دينار أو ثلاثة دنانير يرصدها لمن له حق، أو لإنفاقها فيمن يستحقه، ولكان فرقه في عباد الله من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فقد كان ﷺ في أعلى درجات الزهد في الدنيا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«الأكثرون هم الأقلون، إلا من قال هكذا وهكذا»**[1]. أي أن المكثرين من المال هم المقلون من ثواب الآخرة إلا من كان يوزع المال في عباد الله عن يمينه وعن شماله وقليل ما هم؛ ولهذا **«ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمَة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة»**[2].

جمع المال[3]:

قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾[4]. الكنز هو كل شيء مجموع بعضه على بعض سواء أكان في بطن الأرض أم على ظهرها، في بيت أو مصرف أو غير ذلك. فهؤلاء الذين يجمعون الأموال ويكنزونها ولا يؤدون زكاتها يُعذبون بها، وهذا في غاية العدل، فإن من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله عذب به، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهدًا في عداوة رسول الله ﷺ وامرأته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عونًا على عذابه أيضًا في جيدها أي عنقها حبل من مسد أي تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة فيُحمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٦٥، وشرح صحيح مسلم للنووي ٧/٧٣، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧١.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

قال رسول الله ﷺ: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**(١)، وقال ﷺ: **«هم الأخسرون ورب الكعبة»** فقلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، مَن هم؟ قال: **«هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا** [من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله] **وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها حتى يُقضى بين الناس»**(٢). فكل نوع من أنواع المال الذي يمتلكه الإنسان يُعذب به يوم القيامة إذا لم يؤد زكاته، حتى إن أدَّى زكاة الأنواع الأخرى.

وفي الحديث حث على الصدقة في وجوه الخير وأنه لا يقتصر على نوع من وجوه البر بل ينفق في كل وجه من وجوه الخير يحضر. وفيه حض على إنفاق المال في الحياة وفي الصحة وترجيحه على إنفاقه عند الموت، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال ﷺ: **«أن تَصَّدَّقَ وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»**(٣)، وذلك أن كثيرًا من الأغنياء يشح بإخراج ما عنده ما دام في عافية فيأمل البقاء ويخشى الفقر، فمن خالف شيطانه وقهر نفسه إيثارًا لثواب الآخرة فاز، ومن بخل بذلك لم يأمن الجور في الوصية، وإن سلم لم يأمن تأخير تنجيز ما أوصى به أو تركه أو غير ذلك من الآفات ولا سيما إن خلف وارثًا غير موفق فيبذره في أسرع وقت ويبقى وباله على الذي جمعه.

وقد جاء ذكر الإنفاق في كثير من آيات القرآن، ومن ذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾(٤)، وقال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾[2]. قد وعد الله بالتيسير لمن ينفق في وجوه البر، وتوعد بالتعسير على من يبخل ويستغني.

والملائكة تدعو الله كل يوم أن يعطي المنفق خلفًا والممسك تلفًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[3]، ومن المحتمل تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس**»[4]، فخيرية المال ليست لذاته بل بحسب ما يتعلق به وإن كان يسمى خيرًا في الجملة، وكذلك صاحب المال الكثير ليس غنيًا لذاته بل بحسب تصرفه فيه، فإن كان في نفسه غنيًا، لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات، وإن كان في نفسه فقيرًا، أمسكه وامتنع من بذله فيما أمر به خشية من نفاده، فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى وإن كان المال تحت يده، لكونه لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الأخرى، بل ربما كان وبالاً عليه؛ قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم**»[5]، أي سقط وهلك أو بعدًا له، وهو دعاء على عبد المال، أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه، فكأنما لذلك خادمه وعبده.

وقد دعا النبي ﷺ على عبد الدينار والدرهم بقوله: «**تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»[6]، وانتكس أي عاوده المرض، وإذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(٢) سورة الليل، الآيات: ٥-١١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يُتقى من فتنة المال.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

منه بالمنقاش، وهو دعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة؛ فإن من لم يجد من يخرج له الشوكة يصير عاجزًا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا، وسوغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات.

وعن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[١] قال: **«يقول ابن آدم: مالي مالي.. وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»**[٢]، **«وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»**[٣]، وقد سأل النبي ﷺ أصحابه فقال: **«أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟»**، قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: **«فإن ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخَّر»**[٤]؛ ففي هذا الحديث التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكًا للوارث؛ فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته.



يكره النبي ﷺ تبييت الصدقة

عن عقبة قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلَّم، ثم قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال: **«ذكرت شيئًا من تِبْرٍ عندنا، فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته»**[٥].

---

(١) سورة التكاثر، الآية: ١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما قدَّم من ماله فهو له.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم.

خير البر عاجله:

لقد كان النبي ﷺ يصلي فتذكر أن في بيته شيئًا من التبر، وهو الذهب الخام الذي لم يصف ولم يضرب، فما أن سلَّم حتى قام مسرعًا وأخذ يتخطى رقاب الناس متوجهًا إلى بيته فخاف الناس من سرعته؛ لأنهم رأوا منه غير ما يعهدونه خشية أن ينزل فيهم شيء يسوؤهم، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته فقال: «**ذكرت - وأنا في الصلاة - تِبرًا عندنا فكرهت أن يمسي - أو يبيت - عندنا، فأمرت بقسمته**»[١]. فقد كره النبي ﷺ أن يبيت في بيته شيء من الصدقة فأحب تعجيل قسمتها من يومها؛ لأن خير البر عاجله.

فقد علَّم رسول الله ﷺ أمته بفعله أن الخير ينبغي أن يعجل ويبادر به، فإن الآفات تعرض، والموانع تمنع، والموت لا يؤمن، والتسويف غير محمود. وتعجيل البر أخلص للذمة، وأنفى للحاجة، وأبعد من المطل المذموم، وأرضى للرب، وأمحى للذنب[٢].



لا يحب النبي ﷺ أن يقلد أحدًا

عن عائشة قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - تعني: قصيرة - فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**». قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «**ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا**»[٣].

الغيبة بالمحاكاة:

إن محاكاة إنسان آخر هو تقليده في الكلام أو الأفعال تحقيرًا له وتحدثًا بعيبه؛ والنبي ﷺ لا يحب أن يحاكي إنسانًا في فعله أو طريقة كلامه أو مشيه أو غير ذلك ولو أعطي على ذلك شيئًا كثيرًا من الدنيا؛ لأن المحاكاة هي نوع من أنواع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة.

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٣/٢٩٩ .

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٨٠.

الغيبة والله عز وجل قد حرَّم الغيبة فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: **«اتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«ذكرك أخاك بما يكره»** قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»**[2].

قال النووي: «فأما الغيبة: فهي ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خَلْقه أو خُلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو مملوكه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته وحركته وبشاشته وخلاعته وعبوسه وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك.. وضابطه: كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجًا أو متطأطئًا أو على غير ذلك من الهيئات مريداً حكاية هيئة من يتنقصه بذلك، فكل ذلك حرام بلا خلاف»[3].

فالغيبة لا تقتصر على اللسان فقط بذكر العيوب بل تكون أيضًا بتقليد كلام وأفعال الآخرين؛ والبواعث على ذلك كثيرة منها:

التشفي: وذلك حين يكون الإنسان غاضبًا على إنسان آخر لسبب ما فإنه يتشفى بتقليده؛ فيقول مثل قوله، ويفعل مثل فعله على وجه التنقيص.

إرادة التصنع والمباهاة: وهو أن يرفع نفسه بتنقيص إنسان آخر خاصة إذا كان في طريقة كلام هذا الإنسان أو مشيته أو حركاته عيب ما فيقلده بذلك.

اللعب والهزل: ويكون ذلك في المجالس، فيقوم بتقليد الآخرين في كلامهم وأفعالهم لإضحاك الجالسين وتسليتهم.

وهناك أسباب كثيرة غير ذلك تبعث على تقليد الآخرين واغتيابهم، وعاقبة من يفعل ذلك وخيمة يوم القيامة، وقد قال رسول الله ﷺ: **«لما عُرِجَ بي مررت بقوم لهم**

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة.

(٣) الأذكار للنووي ٢٩٨-٣٠١.

أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم! فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[١]، وقال ﷺ: **«من رمى مسلمًا بشيء يريد شَيْنَهُ به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»**[٢].

يكره النبي ﷺ السآمة على أصحابه[٣]

عن ابن مسعود قال: **«كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»**[٤].

الدعوة إلى الله تعالى:

لقد كان رسول الله ﷺ أعظم الناس في الدعوة إلى الله عز وجل، وكان أعلم الناس فيما يدعو إليه وأقواهم خبرة في أساليب الدعوة وطرقها وفنونها، وهو الذي قال الله تعالى له: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥].

وقد كان لسياسته الحكيمة عظيم الأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعة مقامه، إذ لم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أية أمة من الأمم، كان له مثل هذا الأثر العظيم.

وأحد الأمثلة على سياسته الحكيمة في الدعوة إلى الله تعالى: أنه كان عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة، أي يراعي الأوقات في تذكيرهم بالله، ويتحرى أوقات الحاجة والفراغ والنشاط إلى استماع الموعظة، ولا يفعل ذلك كل يوم حتى لا يملوا وينفروا، وحتى لا يجعل الوعظ على الناس ركامًا فيتثاقلوا عن سماعه ويفوتهم كثير من إرشاداته النافعة، ونصائحه الغالية.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٨٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٨٦.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١/١٦٣، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ٣٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ومن ذلك نعلم أنه يستحب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف. وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا أو يومين في الأسبوع، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **«يُذَكِّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»**[1].

وقريب من تخول النبي ﷺ أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم وتحري الأوقات المناسبة للدعوة إلى الله تعالى أنه كان صلوات الله وسلامه عليه يشوقهم إلى العلم بالشيء الذي يريد بيانه بالاستفهام عنه كفعله مع معاذ بن جبل، فعن معاذ رضي الله عنه قال: بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: **«يا معاذ»** قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: **«يا معاذ»** قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: **«يا معاذ بن جبل»** قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: **«هل تدري ما حق الله على عباده؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»**. ثم سار ساعة، ثم قال: **«يا معاذ بن جبل»** قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: **«هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«حق العباد على الله أن لا يعذبهم»**[2]. لقد كرر النبي ﷺ نداء معاذ رضي الله عنه ساعة بعد ساعة ثلاث مرات لتأكيد الاهتمام بما يخبره وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا»**[3]، فالدعوة إلى الله خاصة إلى من هم حديثو عهد بالإسلام تحتاج إلى التيسير لا التعسير،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا.

وإلى التبشير لا التنفير، كذلك ينبغي التدرج بالدعوة، وتأليف قلوب الناس وعدم التشديد عليهم لئلا يسأموا وينفروا، فالشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد، بخلاف ضده. وهذا رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى أهل اليمن لم يأمره بتبليغ الإسلام جملة واحدة، بل أمره بالتدرج في تبليغه وقال له: **«إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»**(١).

فهذا هو المنهج الصحيح للدعوة إلى الله تعالى الذي ينبغي للدعاة أن يسلكوه مع من يريدون دعوتهم، فيقتدوا برسول الله ﷺ في الدعوة؛ فيختاروا الأوقات المناسبة التي يكون فيها الناس على استعداد لسماع الوعظ والإرشاد وتلقي العلم وقبوله، ويشوقوهم إلى العلم بالأشياء التي يريدون بيانها لهم، ويتدرجوا في تعليمهم وتحميلهم الأحمال المناسبة.

هذا بالإضافة إلى الصفات الضرورية الثلاثة التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وهي: العلم، والرفق، والصبر.



يكره النبي ﷺ الاسم القبيح

عن ابن عباس قال: **«كان اسم جويرية بَرَّة، فكأن النبي ﷺ كره ذلك، فسماها جويرية، كراهة أن يقال خرج من عند برة»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في الفقراء حيث كانوا.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٣٣٤، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

لقد عني الإسلام بالأسماء عناية كبيرة وأمر بتحسين الأسماء فقال رسول الله ﷺ: **«إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم»**(١)، وبيَّن الأحب منها إلى الله، والأبغض منها إليه، فقال رسول الله ﷺ: **«إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن»**(٢)، ويلحق بهذين الاسمين ما كان مثلهما مما فيه إضافة العبد إلى الله تعالى كعبد الرحيم وعبد العزيز وعبد الملك وعبد الصمد وغيرها، ولا ينافي أن اسم أحمد ومحمد أحب إلى الله أيضًا فإنه لم يختر لنبيه إلا ما هو الأحب إليه، وقد أذن النبي ﷺ التسمي باسمه فقال ﷺ: **«سموا باسمي»**(٣). وقال ﷺ: **«تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»**(٤).

أما أبغض الأسماء إلى الله فقد قال النبي ﷺ: **«أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك»**(٥)، وكان ﷺ يكره الاسم الذي فيه تزكية للنفس وينهى عنه، فعن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة. فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم. وسُمِّيتُ بَرَّة. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تزكوا انفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم»**، فقالوا: بم نسميها؟ قال: **«سموها زينب»**(٦). وعن أبي هريرة: **«أن زينب كان اسمها برة، فقيل: تُزكي نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب»**(٧).

وقد كان النبي ﷺ ينهى عن تسمية أسماء معينة وقال ﷺ لسمرة بن جندب: **«لا تسمِّ غلامك رباحًا ولا يسارًا ولا أفلح ولا نافعًا»**(٨)، و**«أراد النبي ﷺ أن ينهى عن أن يسمى بيعلى وببركة وبنحو ذلك»**(٩).

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢١٥٨٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب بيان ما يستحب من الأسماء.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ **«سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»**.
(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٤٠.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب تغيير الاسم القبيح إلى حسن.
(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه.
(٨) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب الأسماء المكروهة.
(٩) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب الأسماء المكروهة.

وأمر ﷺ بتغيير أسماء كثيرة وتحويلها من القبيح إلى الحسن؛ لأنه ﷺ كان يكره الاسم القبيح ويعجبه الاسم الحسن ويتفاءل به، بل كان ﷺ يفرح بالاسم الحسن ويُرى ذلك في وجهه؛ فعن بريدة أن النبي ﷺ **«كان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه: فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورُئِيَ بِشْرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه، رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها: فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها، رئي كراهية ذلك في وجهه»**[(١)].

فمن الأسماء التي غيَّرها النبي ﷺ: عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية وقال: **«أنت جميلة»**، وعن أسامة بن أخدري: أن رجلاً يقال له: أصرم، كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما اسمك؟»** قال: أنا أصرم، قال: **«بل أنت زُرعة»**[(٢)]، ووفد إلى النبي ﷺ رجل يكنى بأبي الحكم، فقال له النبي ﷺ: **«إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تكنى أبا الحكم؟»** وسأله ﷺ عن أكبر أولاده فقال له: شريح، فقال له النبي ﷺ: **«فأنت أبو شريح»**[(٣)].

قال أبو داود: وغيَّر النبي ﷺ اسم: العاص، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وغراب، وحباب، وشهاب، فسماه: هشامًا، وسمى حربًا: سلمًا، وسمى المضطجع: المنبعث. وأرضًا تسمى عَفِرَة سماها: خَضِرَة، وشعب الضلالة سماه: شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم: بني الرِّشْدَة، وسمى بني مُغْوِيَة: بني رِشْدَة.

حدَّث سعيد بن المسيب: «أن جده حَزْنًا قَدِمَ على النبي ﷺ فقال: **«ما اسمك؟»** قال: اسمي حَزْن، قال: **«بل أنت سهل»**، قال: ما أنا بمغير اسمًا سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد»[(٤)]، ومعنى قول ابن المسيب «فما زالت فينا الحزونة بعد» يريد امتناع التسهيل فيما يريدونه. وقيل: يريد الصعوبة في أخلاقهم، إلا أن سعيداً أفضى به ذلك إلى الغضب في الله. وقيل: يشير إلى الشدة التي بقيت في أخلاقهم؛ فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوء خُلُق معروف فيهم لا يكاد يعدم منهم.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣١٩.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٤٤.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٤٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه.

يكره النبي ﷺ اسم العقيقة

سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: «**لا يحب الله العقوق**» كأنه كره الاسم، وقال: «**مَن وُلِدَ له وَلَد، فأحب أن ينسك عنه فلينسك، عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة**»(١).

العق هو الشق والقطع؛ وهو ضد البر، وقوله: «كأنه كره الاسم»؛ وذلك لأن العقيقة التي هي الذبيحة والعقوق للأمهات مشتقان من العق الذي هو الشق والقطع، فقوله ﷺ «**لا يحب الله العقوق**» بعد سؤاله عن العقيقة للإشارة إلى كراهة اسم العقيقة لما كانت هي والعقوق يرجعان إلى أصل واحد. «**فلينسك**» هذا إرشاد منه إلى مشروعية تحويل العقيقة إلى النسيكة، وأما قوله ﷺ «**كل غلام رهينة بعقيقته**»(٢) و«**مع الغلام عقيقته**»(٣)، فلبيان الجواز، وهو لا ينافي الكراهة التي أشعر بها قوله ﷺ: «**لا يحب الله العقوق**»(٤).

قال السندي: قوله: «وكأنه كره الاسم» يريد أنه ليس فيه توهين لأمر العقيقة ولا إسقاط لوجوبها وإنما استبشع الاسم وأحب أن يسميه بأحسن منه كالنسيكة والذبيحة؛ ولذلك قال: «**من أحب أن يَنْسُك عن ولده**»(٥) بضم السين أي يذبح(٦).



يكره النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «**كان النبي ﷺ يكره ان يأتي الرجل أهله طروقًا**»(٧). الطُروق: المجيء بالليل من سفر أو من غيره على غفلة، ويقال لكل آت بالليل طارق. وقيل: أصل الطروق السكون ومنه أطرق رأسه، فلما كان الليل يسكن فيه سمي الآتي فيه طارقًا.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٤٦٧ .
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٤٦٣ .
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٤٦٤ .
(٤) عون المعبود للعظيم آبادي ٣٢/٨ .
(٥) صحيح سنن النسائي، رقم: ٣٩٢٨ .
(٦) حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ١٨٣/٧ .
(٧) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة.

لقد كان النبي ﷺ يكره إذا سافر الرجل سفرًا طويلاً أن يفاجئ زوجته بعودته ودخوله البيت ليلاً من غير إعلام مسبق بقدومه في وقت معين، وقد نهى النبي ﷺ الرجال عن هذا العمل؛ فعن جابر بن عبد الله قال: «**نهى رسول الله ﷺ إذا أطال الرجل الغيبة أن يأتي أهله طروقًا**»[١]. وكان ﷺ خير قدوة للمسلمين في هذا الأمر؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ كان لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية**»[٢].

وفي هذا التوجيه النبوي حكم متعددة يعود نفعها إلى كلا الزوجين، فالرجل منهي عن مفاجأة زوجته ليلاً بالعودة من السفر بعد طول غياب يظن خيانتها ويكشف أستارها ويكشف هل خانت أم لا، وربما بدخوله عليها بغتة يجدها على حال يكرهه وأقله أن تكون في هيئة رثة، غير نظيفة ولا متزينة له فيكون ذلك سبب للنفرة منها، أما إعلامها بالعودة والتمهل لبعض الوقت قبل الدخول عليها ففيه إعطاء فرصة للزوجة حتى تتزين وتستعد لاستقبال زوجها وهي في أحسن شكل.

وقد كان رسول الله ﷺ ذات يوم في غزاة فلما قدموا المدينة ذهب أصحابه ليدخلوا فقال لهم ﷺ: «**أمهلوا حتى ندخل ليلاً - أي عشاءً - كي تمتشط الشعثة وتستحد المُغيبة**»[٣]، فقد أرادوا الدخول بغتة ولعلهم كانوا في أوائل النهار فأمرهم النبي ﷺ بالتمهل إلى العشاء فيعلم بقدومهم أهل المدينة وتتهيأ النساء لاستقبال أزواجهن.

ولأجل ذلك أمر النبي ﷺ الرجال فقال: «**إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقًا حتى تستحد المُغيبة وتمتشط الشعثة**»[٤]، فالمغيبة هي التي غاب زوجها، فتستحد أي تزيل شعر عانتها وتمشط شعرها وهذا من التزين وحسن استقبال الزوج.

وهذا كله فيمن أطال الغيبة ولم تكن امرأته تعلم موعد قدومه، فأما من كان يخرج للعمل في النهار ثم يعود في الليل أو مَن كان في سفر وكانت امرأته تتوقع

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر.

قدومه في الليل بعلم سابق وقد هيأت نفسها لاستقباله فلا بأس بدخوله البيت متى شاء لزوال المعنى الذي نهي بسببه، فإن المراد أن تتهيأ الزوجة وقد حصل ذلك ولم يكن دخوله عليها بغتة أو مفاجأة لها.

فيا لها من توجيهات عظيمة للنبي ﷺ إلى الرجال بعدم الدخول على الأهل بغتة في الليل بعد القدوم من السفر وما فيها من فوائد للزوجين وحث على فعل ما فيه زيادة المحبة بينهما ونهي عن فعل ما يكون سببًا لنفرة بعضهما من بعض.



يكره النبي ﷺ النخامة في القبلة

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ رأى نُخامة في القبلة فحكَّها بيده، ورُؤِيَ منه كراهية - أو رُؤِيَ كراهيته لذلك وشدته عليه - وقال: **«إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه - أو ربه بينه وبين قبلته - فلا يبزقنَّ في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه»**. ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض، قال: **«أو يفعل هكذا»**[(١)]. وفي الحديث مسألتان: نظافة المسجد، والسنة في البصق. والبصاق والبزاق لغتان مشهورتان.

نظافة المسجد:

لقد رأى النبي ﷺ بزاقًا أو مخاطًا على الحائط الذي في قبلة المسجد فكره ذلك وشق عليه حتى رؤي في وجهه، وتغيظ على أهل المسجد، ثم بادر لإزالة البزاق بنفسه فحكه بحصاة أو عصا في يده ثم أقبل على الناس فوعظهم بكلام فيه تعظيم لشأن القبلة، وبيَّن لهم بالفعل كيف يفعل من بدره البزاق.

فالبزاق في اتجاه القبلة منهي عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: **«من تفل تجاه القبلة، جاء يوم القيامة تفله بين عينيه»**[(٢)]. والبصق في أي مكان من المسجد سواء أكان أرض المسجد أم جدرانه خطيئة وعليها كفارة كما قرر ذلك رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٣٩.

«**البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها**»[١]، روى سعيد بن منصور عن أبي عبيدة بن الجراح «أنه تنخم في المسجد ليلة فنسي أن يدفنها حتى رجع إلى منزله، فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها، ثم قال: الحمد لله الذي لم يكتب عليَّ خطيئة الليلة»[٢]. والنهي لا يشترط كون الفاعل في المسجد، بل لو بصق من هو خارج المسجد فيه تناوله النهي. والله أعلم.

وهذا كله فيمن بدره البصاق ولم يستطع تأجيله إلى ما بعد الخروج من المسجد، وقد علَّمه رسول الله ﷺ كيف يفعل إذا غلبه البصاق بأن يبصق عن يساره أو تحت قدمه، هذا إذا كان أرض المسجد من تراب أو حصى، فإذا كان من سجاد أو نحوه فيبصق في طرف ثوبه ويرد بعضه على بعض، ويمكنه الاستغناء عن هذا وذاك بأن يحتاط لنفسه فيضع في جيبه المناديل الورقية المعروفة أو المصنوعة من قماش لاستخدامها عند اللزوم، وأكثر ما يحتاج إلى ذلك من كان لديه سيلان في الأنف، فلا يجوز أن يترك مخاطه يسقط على أرض المسجد خاصة في زماننا هذا حيث لم تعد أرض المسجد مفروشة بالرمل أو الحصى بل بالسجاد الفاخر أو الحصير أو نحوه فيتأذى بذلك من يأتي بعده ويسجد على مخاطه.

ويستفاد مما تقدم أن إمام المسجد لا تقتصر مهمته على إمامة المصلين فحسب فلا يعرف من المسجد إلا بابه ومحرابه، بل يستفاد الندب إلى إزالة القذارة والأوساخ من المسجد، وأن يتفقد الإمام أحوال المسجد وتعظيمه وصيانته، وأن يتابع نظافته ونظافة ما فيه؛ ويفحص كل ناحية من نواحي المسجد، فيحرص على أن تكون المصاحف نظيفة وكذلك الأماكن التي توضع فيها أو عليها، وإن كان في المسجد مراوح فتُنَظف حتى لا تنفث الغبار على المصلين أو على أرض المسجد، وكذلك إن كان به مكيفات فتُنَظف ويُجرى لها الصيانة اللازمة، ويُنظف السجاد أو الحصير ويُكنس أولاً بأول حتى تكون مواضع سجود المصلين نظيفة، وتُنظف جدران المسجد وأبوابه ونوافذه مما يعلق بها من الغبار، وبالجملة أن يحرص الإمام على أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد.

(٢) فتح الباري للعسقلاني ١/٥١٢ .

يكون كل ما في مسجده نظيفًا جميلاً مرتبًا لاستقبال زوار الله القادمين للصلاة وعبادة الله تعالى كحرصه أو أزيد على نظافة بيته وترتيبه لاستقبال زواره، وليعلم أن «**أحب البلاد إلى الله مساجدها**»(١).

فإن كان على الإمام أن يحرص على نظافة مسجده ويتابع ذلك أولاً بأول حتى وإن قام بالتنظيف وإزالة الأوساخ بنفسه كما فعل رسول الله ﷺ حيث باشر ﷺ حك البزاق بيده الشريفة مما يدل على عظم تواضعه - فمن باب أولى أن يحرص الإمام على ذلك إذا كان للمسجد خادم يتولى تنظيف المسجد.

السنة في البصق:

إن البصق في اتجاه القبلة منهي عنه سواء أكان في المسجد أم خارجه، وكذلك البصق عن يمين الإنسان منهي عنه، والسنة كما قررها رسول الله ﷺ: «**لا يتفلَنَّ أحدكم بين يديه ولا عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت رجله**»(٢)، عن معاذ بن جبل قال: ما بصقت عن يميني منذ أسلمت.

فمن احتاج إلى البصق أينما كان أن يتحرى أن يكون ذلك عن يساره وأن لا يكون ذلك باتجاه القبلة.



يكره النبي ﷺ الخذف

عن عبد الله بن مغفل أنه رأى رجلاً يخذف فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف - أو كان يكره الخذف - وقال: «**إنه لا يصاد به صيد ولا يُنكأ به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين**». ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف - أو كره الخذف- وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبندقة.

الخذف: هو الرمي بحصاة أو نواة بين السبابتين أو بين الإبهام والسبابة أو على ظاهر الوسطى وباطن الإبهام. والمخذفة التي يوضع فيها الحجر ويرمى بها الطير ويطلق على المقلاع أيضًا.

فالنبي ﷺ يكره الرمي بالحصى وينهى عنه، فهو ليس وسيلة للصيد، ولا سلاح يقاتل به العدو فيؤذيه أشد الأذى، ولا مصلحة فيه، بل يخاف مفسدته فيكسر السن ويفقأ العين، وإن كان الرمي بمقلاع فهو أشد؛ لأن الأذى الذي يلحق بالآخرين أكبر من كسر للأسنان أو فقأ للعيون أو جرح للرؤوس.

إن أكثر من يرمي الحصى والحجارة هم الأطفال. وربما رموا بعضهم البعض كما نشاهد ذلك باستمرار خاصة أمام المدارس الابتدائية بعد خروج الطلاب من المدرسة، وربما أصابوا بعضهم أو المارين في المكان، أو كسروا زجاج المنازل أو السيارات. ولهذا على المربين سواء أكانوا آباء أم مدرسين أن يحذروا الأطفال من الرمي بالحصى وينبهوهم إلى خطورته وما يمكن أن ينتج عنه من خسائر.



يكره النبي ﷺ القزع

عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «**أنه كره القَزَع للصبيان**»(١).

والقزع هو أن يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعض. فالنبي ﷺ كره القزع ونهى عنه؛ فعن ابن عمر «**أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع**»(٢).

وقد رأى النبي ﷺ صبيًا قد حلق بعض شعره وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «**احلقوه كله أو اتركوه كله**»(٣). في بعض الشروح أفاد الحديث أن حلق بعض الرأس وترك بعضه على أي شكل كان من قُبُل ودبر منهي عنه وأن الجائز في حق الصبيان أن يحلق رؤوسهم كلها أو يترك كلها(٤).

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٦٤٥٩، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب القزع.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥٣٥.

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي ١١/١٦٦ .

وأجمع العلماء على كراهة القزع إلا أن يكون لمداواة ونحوها وقالوا: والحكمة في كراهته أنه تشويه للخلق. وقيل: لأنه زي اليهود.

وقد انتشرت في زماننا بين المراهقين والأطفال قصة شعر سموها (كابوريا)، وعندما رأيت أحد المراهقين وقد قص هذه القصة ظننت لأول وهلة أنه يضع على رأسه قلنسوة (طاقية) سوداء ولكن لما اقتربت منه تبين لي أنه قد حلق شعر رأسه من الصدغ إلى الصدغ مرورًا من خلف الرأس، ورأيت مراهقًا آخر فسألته إن كان به مرض في رأسه فقص شعره بهذه الطريقة الغريبة، فقال بأن هذه القصة «موضة» جديدة، فسألته عن سبب تشويه رأسه بهذا الشكل البشع وأخبرته أن هذه القصة ليست زينة وإنما تشويه لرأسه ولشكل وجهه فاستحى وأطرق رأسه ونظر إلى الأرض.

وقد تبين لي أن أصل هذه القصة قد وردت من بلاد غير المسلمين، فاتبع بعض المسلمين الفارغين ممن ليس لهم شخصية خطوات هؤلاء فشوهوا أشكالهم بهذه القصة وهم يظنون أنها زينة، وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: **«لتتبعن سَنَن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم». قلنا: يا** رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **«فمَن؟»**[1]؛ فالشبر والذراع ودخول الجحر تمثيل لتقليد اليهود والنصارى والاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه، وقوله: **«فمَن»** هو استفهام إنكار والتقدير: فمن هم غير أولئك.

وبالفعل فإن المشاهَد أن معظم التقليد يكون باليهود والنصارى، ومن ذلك هذه القصة الغريبة المشوهة للرأس. وقد قرأت لوحة أحد محلات الحلاقة فإذا فيها (قصات أمريكية) فتذكرت فورًا قول النبي ﷺ **«لتتبعن سَنَن من كان قبلكم...»** الحديث، فهذه مصيبة عظيمة وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ **«لتتبعن سنن من كان قبلكم»**.

يكره النبي ﷺ الشكال من الخيل[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يكره الشكال من الخيل**»[٢].

الشِّكال أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى، أو في يده اليمنى ورجله اليسرى.

وقيل: هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة تشبيهًا بالشكال الذي تشكل به الخيل فإنه يكون في ثلاث قوائم غالبًا، وقيل: قد يكون الشكال ثلاث قوائم مطلقة وواحدة محجلة، ولا تكون المطلقة من الأرجل أو المحجلة إلا الرجل.

وقيل: الشكال أن يكون محجلاً من شق واحد في يده ورجله، فإن كان مخالفًا قيل الشكال مخالف.

وقيل: الشكال بياض الرجل اليمنى واليد اليمنى.

وقيل: بياض الرجل اليسرى واليد اليسرى.

وقيل: بياض اليدين، وقيل: بياض الرجلين.

وقيل: بياض الرجلين ويد واحدة.

وقيل: بياض اليدين ورجل واحدة.

وقيل: غير أن المعروف في زماننا: أن الشكال بياض في الرجل اليمنى واليد اليسرى - أو العكس - وأما إذا كان محجل الثلاث مطلق اليد اليمنى فهو محل تفاؤل عند الناس. وممدوح في الخيل.

قال العلماء: إنما كرهه؛ لأنه على صورة المشكول، وقيل: يحتمل أن يكون قد جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة.

وقال بعض العلماء: إذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة لزوال شبه الشكال.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/١٨-١٩، وتعليق زهير الشاويش على صحيح سنن النسائي ٢/٧٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ما يكره من صفات الخيل.

كان رسول الله ﷺ يكره هذا النوع من الخيل وهو الشِّكال، وفيما عدا ذلك فقد كان ﷺ يحب الخيل كثيرًا وقال ﷺ عنها: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[١].

يكره النبي ﷺ الغل[٢]

قال رسول الله ﷺ: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، والرؤيا من تحزين الشيطان، والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه. فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس**» قال: «**وأحب القيد في النوم وأكره الغل. القيد ثبات في الدين**»[٣]. أي أن يرى النائم رؤيا ويكون فيها مقيدًا بقيد أو مغلولاً بغل.

فعلى العكس من القيد الذي يكون في الرجلين ويعبر في الرؤيا بثبات القدم والرسوخ والتمكين، وكف عن المعاصي والشرور وأنواع الباطل، فإن الغل موضعه العنق وهو صفة أهل النار؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾[٥].

والغل في الرؤيا مذموم ويعبر بالمكروه إذا كان في العنق، وقد يدل للولايات إذا كان معه قرائن، كما أن كل وال يحشر مغلولاً حتى يطلقه عدله، فأما إن كان مغلول اليدين دون العنق فهو حسن ودليل لكفهما عن الشر، وقد يدل على بخلهما، وقد يدل على منع ما نواه من الأفعال.

ومن يرى نفسه في النوم مغلولاً فقد تكون إشارة إلى تحمل دين أو مظالم أو كونه محكومًا عليه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.
(٢) راجع شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/٢٢-٢٤، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/٢٤٧.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٥١.
(٤) سورة يس، الآية: ٨.
(٥) سورة غافر، الآية: ٧١.

أبغض الحديث إلى النبي ﷺ الشعر

عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ يُتسامَع عنده الشعر؟ قالت: «كان أبغض الحديث إليه»(١).

الشعر(٢):

لقد كان الشعر أبغض الحديث إلى رسول الله ﷺ، وما كان الشعر ينبغي للنبي ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾(٣)، فقد أخبر تعالى عن رسوله محمد ﷺ أنه ما علَّمه الشعر، وما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته، وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا؛ ولهذا ورد أن النبي ﷺ كان لا يحفظ بيتًا على وزن منتظم بل إن أنشده كسر وزنه أو لم يتمه، وإنما كان يحرز المعاني فقط.

وقد رد الله تعالى قول من قال من الكفار إنه شاعر، وإن القرآن شعر، بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ أي ما علمه الله الشعر وما يصلح له وما هذا الذي علمناه إلا ذكر وقرآن بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره. وجعل الله عز وجل ذلك علمًا من أعلام نبيه عليه الصلاة والسلام لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليه؛ فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾؛ قال ابن عباس: في كل لغو يخوضون. وقال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها؛ مرة في شتيمة فلان، ومرة في مديحة فلان. وقال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل ويذم قومًا بباطل.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٤٩٠١، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٦٧، ٥٨٥، ٥٨٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠١/١٣، ١٥/٣٥،٣٨، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٤، وفتح الباري للعسقلاني ٧/٢٤٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٧.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر؛ فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم.

عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: **«خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - لأن يمتلئ جوف رجل قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا»**(١). قال العلماء: إن المراد أن يكون الشعر غالبًا عليه مستوليًا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى. وهذا مذموم من أي شعر كان، وكذلك من اتخذ الشعر طريقًا للتكسب فيفرط في المدح إذا أُعطي وفي الهجو والذم إذا مُنع فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم. ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه، ولا يحل الإصغاء إليه، بل يجب الإنكار عليه.

فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا؛ لأن جوفه ليس ممتلئًا شعرًا والله أعلم، واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقًا قليله وكثيره وإن كان لا فحش فيه وتعلق بقوله ﷺ **«خذوا الشيطان»**. وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه، وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح. فقد سمع النبي ﷺ الشعر واستنشده وأمر به حسان في هجاء المشركين، وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه وإنما أنكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه وما كان فيه أذى لمسلم وإفراط في القول بما لم يفعله المرء.

وقد استثنى الله عز وجل من الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا في كلامهم وشعرهم، وانتصروا من بعد ما ظُلِموا فيردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «اهج

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الشعر .

المشركين، فإن جبريل معك»[١]، وقال كعب بن مالك للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل. فقال: «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل**»[٢]؛ وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصًا الرجز في الحرب، وذكر الله تعالى وتعظيمه وتوحيده وإيثار طاعته والاستسلام له، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة، لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة. وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشعر حكمة**»[٣].

يكره النبي ﷺ أن يشق على أم الطفل الباكي

قال رسول الله ﷺ: «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه**»[٤].

تخفيف الإمام للصلاة:

لقد كان رسول الله ﷺ يحب التخفيف على أمته ويكره أن يشق عليهم سواء أفي كبير الأمور أم صغيرها، حتى ولو دخل في الصلاة التي هي من أحب الأشياء لديه وجُعلت قرة عينه فيها ويحب أن يطولها فإنه كان يخففها ويقرأ بالسورة القصيرة إذا سمع بكاء صبي وذلك بسبب ما يعلم من شدة حزن أمه من بكائه؛ ولأنه يكره أن يشق على أمه.

قال أنس بن مالك: «**ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تُفتن أمه**»[٥]. فقد كان النبي ﷺ رحيمًا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢٧٠٥٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يُكره منه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي.

بأمته وحريصًا على مصالحهم الدينية فكان يخفف الصلاة مخافة أن تلتهي أم الطفل الباكي عن صلاتها لاشتغال قلبها ببكائه.

فهذا توجيه بليغ لأئمة المساجد لكي يتبعوا سنة نبيهم ﷺ في تخفيف الصلاة لمثل هذه الحالة أو نحوها أو لكي لا يُفتَن أحد من المصلين بسبب تطويل الصلاة وليتذكروا قول النبي ﷺ: «**يا معاذ؛ أفتان أنت**»[1]، وليتبعوا أمر النبي ﷺ: «**إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصلِّ كيف شاء**»[2]، فقد حث رسول الله ﷺ الأئمة على الرفق بالمأمومين ومراعاة مصلحتهم وعدم تنفيرهم وألا يدخلوا عليهم ما يشق عليهم وإن كان يسيرًا من غير ضرورة.

يكره النبي ﷺ كسر خاطر الطفل

عن شداد بن الهادر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر وهو حامل حسنًا أو حسينًا فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها، قال: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله؛ إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك قال: «**كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**»[3].

لقد كان رسول الله ﷺ رحيمًا جدًا بالأطفال ويكره كسر خاطرهم ويحب ملاطفتهم وتقبيلهم ووضعهم في حجره وعلى فخذه، قال أنس بن مالك: «**ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ**»[4]، وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يحمل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طوَّل.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٧٥١٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ وتواضعه.

الحسن والحسين وغيرهما، وذات يوم «قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يَرحم لا يُرحم»**(١). وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبِّلون الصبيان فما نقبِّلهم، فقال النبي ﷺ: **«أوَأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**(٢).

ومن رحمة النبي ﷺ بالأطفال وكرهه لكسر خاطرهم أنه ﷺ قدَّم مراعاة خاطر الطفل على المحافظة على المبالغة في الخشوع في الصلاة؛ فعن أبي قتادة قال: **«خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها»**(٣)، وأمامة هي ابنة زينب بنت النبي ﷺ، فكان من شفقته ﷺ ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقته، فيحتاج أن يحملها إذا قام. واستنبط منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد؛ لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدم الثاني.

وعن عائشة: **«أن النبي ﷺ وضع صبيًا في حجره يحنِّكه فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه»**(٤)، ويستفاد منه الرفق بالأطفال والصبر على ما يحدث منهم وعدم مؤاخذتهم لعدم تكليفهم.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعِدني على فخذه ويُقعد الحسن على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: **«اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»**(٥).

وكان النبي ﷺ إذا لقي الأطفال في الطريق سلَّم عليهم ومسح خدودهم ودعا لهم **«عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب وضع الصبي في الحجر.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ.

النبي ﷺ يفعله»[١]، وعن جابر بن سمرة قال: «**صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وِلْدان فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدِّي، قال: فوجدت لِيَدِه برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤْنَة عطار**»[٢]، ففي تسليم النبي ﷺ على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفيه درس للأكابر لطرح رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب مع الأطفال. قال ابن حجر: ويستثنى من السلام على الصبي ما لو كان وضيئًا وخشي من السلام عليه الافتتان فلا يشرع ولا سيما إن كان مراهقًا منفردًا[٣].

قال رسول الله ﷺ: «**من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا**»[٤].



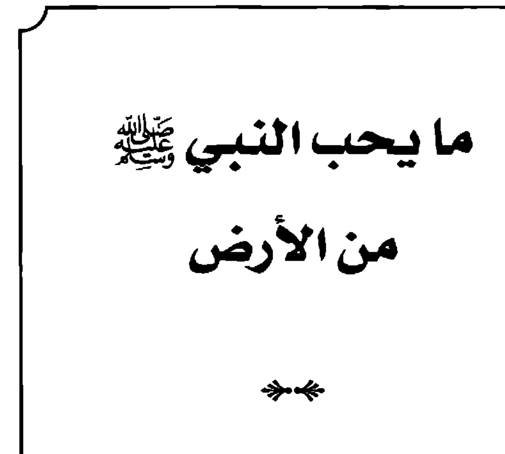
---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب ريحه ﷺ ولين مسه.

(٣) فتح الباري للعسقلاني ١١/٣٣.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٣٤.



ما يحب النبي ﷺ من الأرض

ما يحب النبي ﷺ من الأرض

يحب النبي ﷺ مكة[١]

قال رسول الله ﷺ: **«اللهم حَبِّب إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشد»**[٢]. وقال ﷺ: **«ما أطيبك من بلد، وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»**[٣].

مكة:

هي مكة المكرمة، وأم القرى، وبكة، والبلد الأمين، والبلد الحرام، شرَّف الله مكة بالكعبة وهي أول بيت وُضع للناس لعبادة الله وتوحيده؛ وقد قام ببنائه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، ومكة هي أمنية كل مسلم للقدوم إليها لحج بيت الله الحرام وأداء الركن الخامس للإسلام.

لقد حدثت في مكة أحداث عظيمة الخطب، جليلة القدر، من بناء الكعبة، وبعثة رسول الله ﷺ، وظهور الإسلام، وهي تشهد يوميًا وأسبوعيًا وسنويًا تجمعًا بشريًا ليس له مثيل في العالم، وهو هذا التجمع للمسلمين في الصلوات الخمس والجمعة ورمضان والحج، وشهدت مكة في الماضي وستشهد في المستقبل فتنًا عظيمة. ومكة على صغرها إلا أن ما يحدث بها يتأثر به المسلم في جميع أرجاء الأرض مهما كان بعيدًا عنها، بل إن ما سوف يحدث بها في آخر الزمان سيتأثر به العالم بأسره؛ وكيف لا يكون ذاك ومكة هي بلد الله الحرام، وخير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله؟!.

لقد كانت مكة أرضًا خالية، ثم جاء إليها إبراهيم عليه السلام بهاجر وبابنهما إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى

---

(١) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ١/١٦٣ وما بعدها، ٨/٢٢٤، ٣٢٩، ١١/١٦٠، ٢٢٣، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٥٢ وما بعدها، ٢/٤٠٦ وما بعدها، وشرح صحيح مسلم للنووي ٧/١٧٨، وزاد المعاد لابن القيم ١/٤٧-٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٨٣.

المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾**(١). وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى ويتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات. قال النبي ﷺ: **«فذلك سعي الناس بينهما»**. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال النبي ﷺ: **«يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينًا معينًا»**. فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء، فنزلوا أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

بالماء، فأقبلوا، وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. قال النبي ﷺ: «**فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس**»، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفَسَهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل.. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده.. ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[(١)].

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[(٢)] . وهكذا بنيت الكعبة بيت الله الحرام.

وعهد الله إلى إبراهيم وابنه إسماعيل أن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود، ودعا إبراهيم ربه أن يجعل البيت ومكة بلدًا آمنًا، وأن يرزق أهله من الثمرات؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب يزفون: النسلان في المشي.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٧-١٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٥-١٢٦.

وأمر الله تعالى إبراهيم بأن يؤذِّن في الناس ليأتوا من كل فج عميق ليحجوا هذا البيت ويشهدوا منافع لهم؛ فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(١). وهكذا عمرت مكة، ووضع لعموم الناس أول بيت ومسجد لعبادة الله وتوحيده؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(٢). وصار الناس يفدون إلى مكة من كل مكان ليحجوا البيت وليطوفوا به، وليصلوا عنده لينالوا البركة والهدى والأجر العظيم الذي ليس له مثيل في أي مسجد آخر. فقد قال رسول الله ﷺ: **«صلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه»**(٣)؛ أي ثواب صلاة واحدة في المسجد الحرام يزيد على ثواب مئة ألف صلاة في غيره من المساجد، ويزيد على ثواب مئة صلاة في المسجد النبوي في المدينة.

ومكة كرمها الله هي أحب الأرض إلى الله، قال النبي ﷺ: **«والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله»**(٤)؛ ولهذا جعل الله عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم بها في موضعين من كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(٦)، وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يُشرع تقبيله واستلامه، وتُحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والركن اليماني.

وقد حرم الله تعالى مكة منذ خلق السماوات والأرض؛ قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: **«إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة**

(١) سورة الحج، الآيات: ٢٧-٢٩.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦-٩٧.
(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١١٥٥.
(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٨٢.
(٥) سورة البلد، الآية: ١.
(٦) سورة التين، الآية: ٣.

الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلَّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلَّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة: لا يُعضَدُ شوكه، ولا يُنفَّرُ صيده، ولا يَلتقِطُ لُقَطتَهُ إلا من عرَّفها، ولا يُختَلى خلاه»[1]. ومع ذلك فإن هذا البلد الحرام قد حدثت فيه فتن كثيرة عظيمة، ووقع فيه قتل كثير، وأُصيب بيت الله الحرام بأضرار كبيرة وتهدم وحرق. وسيظل هذا البلد الحرام والبيت الحرام هدفًا لأعداء الله وأعداء دينه حتى آخر الزمان.

أبرهة الأشرم:

ففي زمن ما قبل ولادة رسول الله ﷺ خطط شقي من الأشقياء، هو أبرهة الأشرم الحبشي أمير اليمن أن يغزو مكة ويهدم الكعبة بيت الله الحرام حتى يصرف حج العرب إلى الكنيسة التي بناها بمدينة صنعاء وسميت (القُلَّيس)، وسار أبرهة بجيشه نحو مكة ومعه فيل ضخم اسمه محمود، وجعل يهزم في طريقه كل من واجهه إلى أن أصبح على بعد بضعة كيلومترات من مكة. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبَّى جيشه، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك وأبى أن يسير، فوجهوه راجعًا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا، فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم ينتثر جسمه أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة تحول مكانها إلى دملة ترشح قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. فقد رد الله كيده إلى نحره، وجعل تدميره في تدبيره. وقيل: إن أول ما رؤيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام، وقد سمي عام الفيل، وفيه وُلد رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبرِّ والفاجر.

وصارت قصة أبرهة وفيله - الذي سولت له نفسه هدم الكعبة بيت الله - عبرة لمن يعتبر إلى قيام الساعة، بأن أنزل الله قرآنًا يتلى إلى ما شاء، فقد أنزل الله تعالى سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

وفي عام الفيل نفسه شهدت مكة حدثًا عظيمًا سيكون له آثاره الكريمة في جميع أرجاء الكرة الأرضية؛ ألا وهو ولادة محمد رسول الله ﷺ. وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد دعا ربهما أن يبعث في أهل مكة رسولاً ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]. فاستجاب الله دعاءهما ببعثة رسوله إلى الناس أجمعين محمد ﷺ، خاتم أنبياء الله ورسله؛ وذلك بعد ولادته بأربعين سنة.

وكانت قريش قد أعادت بناء الكعبة وذلك لما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، وكانوا يسمونه الأمين؛ ولهذا لما وصلوا في البناء إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضع الحجر وجعلوا بينهم حكمًا أول من يدخل المسجد، فكان الداخل محمد الأمين ﷺ، فحكم أن يوضع الحجر على ثوب وتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب وترفعه، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، أخذه رسول الله ﷺ ووضعه بيده في مكانه، ثم بني عليه.

بعثة رسول الله ﷺ وظهور الإسلام:

وكان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال ﷺ: **«ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني حتى بلغ مني**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**». فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

ومنذ هذه اللحظة تلاحقت الأحداث في مكة، وتتابع نزول القرآن على رسول الله ﷺ، ودخل الناس في الإسلام فردًا بعد فرد، ثم جماعات من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ بإظهار دينه ودعوة الناس إلى الله، فأظهر قومه العداوة له. ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهرًا لأمره، لا يرده عنه شيء، وقاوم جميع الضغوط والمساومات وإغراءات المال والشرف والملك لترك هذا الأمر، وانتشر ذكره ﷺ في بلاد العرب كلها.

ثم أخذت قريش تؤذي رسول الله ﷺ بالأقوال والأفعال، وكذلك تفعل بالمسلمين الضعفاء، فتفتن من استطاعت فتنته، وتحبس من قدرت على حبسه وتعذبه بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، وقتلوا سمية أم عمار بن ياسر وهي تأبى إلا الإسلام؛ حتى دفعهم ذلك إلى الهجرة من مكة إلى الحبشة بأمر رسول الله ﷺ لهم؛ لأنه ﷺ كان لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، وبقي رسول الله ﷺ في مكة يدعو إلى الله. وتحالف المشركون من قريش ضد رسول الله ﷺ وتعاقدوا فيما بينهم على حصار الرسول ﷺ وبني هاشم وبني المطلب حصارًا اجتماعيًا واقتصاديًا، فلا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ٣.

وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم، فيدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، وبقي كذلك إلى أن أراد الله خيرًا بالأوس والخزرج من سكان المدينة فاستجابوا لرسول الله ﷺ ودخلوا الإسلام وبايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة على أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وسماهم رسول الله ﷺ فيما بعد الأنصار. وبدأ المسلمون في الهجرة من مكة إلى المدينة التي انتشر فيها الإسلام، وأخذوا ينتظرون هجرة رسول الله ﷺ إليها، وكان قد بقي في مكة مع رسول الله ﷺ أبو بكر وعلي رضي الله عنهما، وبعض المسلمين الذين حُبِسوا أو فُتِنوا. فلما أَذِن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة خرج من مكة وبصحبته أبو بكر ثم عمد إلى غار بجبل ثور القريب من مكة فدخلاه. وكانت قريش قد خرجت تبحث عنه لتمسكه فردهم الله خائبين، ووصل رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى المدينة التي كان أهلها قد خرجوا جميعًا لاستقبال رسول الله ﷺ.

فتح مكة:

وبعد أن أسس رسول الله ﷺ الدولة الإسلامية في المدينة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتصر المسلمون على المشركين في بدر، وهي المعركة الفاصلة بين الإيمان والكفر، حان الوقت لكي تشهد مكة حدثًا آخر من الأحداث العظيمة، وهو فتح مكة على يدي رسول الله ﷺ.

ففي شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة دخلت جيوش المسلمين مكة بقيادة رسول الله ﷺ وهو في نحو من عشرة آلاف مسلم، وقد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ولم يستطع المشركون مواجهة هذا الجيش العظيم، وجاء رسول الله ﷺ إلى البيت فطاف به سبعًا على راحلته، ثم دخل الكعبة فصلَّى بها وأمر بطمس الصور التي في داخل الكعبة وتحطيم الأصنام التي من حولها. ودخل الناس في الإسلام جماعات وفرادى، وعفا رسول الله ﷺ عن قريش وأطلقهم.

ثم في العام العاشر للهجرة شهدت مكة حجة الوداع لرسول الله ﷺ. وعاد ﷺ بعدها إلى المدينة ليتوفى ويُدفن فيها صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

جيش يزيد بن معاوية:

وفي أواخر شهر المحرم سنة أربع وستين شهدت مكة حدثًا مهمًا من أحداثها المهمة، فقد سار حصين بن نمير بجيشه نحو مكة لقتال عبد الله بن الزبير ومن التف عليه من الأعراب، على مخالفة يزيد بن معاوية. وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشراف أهل المدينة، وانضاف إليه أيضًا نجدة بن عامر الحنفي - من أهل اليمامة - في طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام، فنزل حصين بن نمير ظاهر مكة، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديدًا، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة، فانكشف أهل مكة، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به، وصابرهم ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا عنه ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفرًا بكماله، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق ورموا بها حتى بالنار، وقد احترقت أستار الكعبة وأخشابها وسقوفها. واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر، وجاء الناس نعي يزيد بن معاوية، فغُلب أهل الشام وانقلبوا صاغرين، فحينئذ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة. وقام عبد الله بن الزبير في السنة نفسها بهدم الكعبة وإعادة بنائها؛ وذلك لأنها وهت من أعلاها إلى أسفلها، ومال جدارها من حجارة المنجنيق.

الحجاج:

وفي أول شهر الحجة سنة ثنتين وسبعين قام الحجاج بن يوسف الثقفي ومعه جيش الشام بحصار مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن معه، واستمر الحصار خمسة أشهر وسبعة عشر يومًا، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك بن مروان، وكان مع الحجاج الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقًا كثيرًا، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عن أهل مكة الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت حجارة المجانيق تقع في الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام الله الله في الطاعة، فكانوا يحملون على ابن الزبير، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبة، ثم يكرون عليه فيشد عليهم، وفعل ذلك

مرارًا، وقُتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول: هذا وأنا ابن الحواري. وذُكر أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلو أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويخبرهم أن الصواعق تصيب القوم مثل الذي يصيبهم، وأنهم على الطاعة وهم على المخالفة، ونزلت صاعقة فقتلت جماعة من أصحاب ابن الزبير أيضًا، ونزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فعاد الحجاج يشجعهم. ثم دخل ابن الزبير إلى والدته أسماء بنت أبي بكر الصديق وشكا لها خذلان الناس له وخروجهم إلى الحجاج، وأنه لم يبق معه إلا اليسير، فشجعته على القتال ودعت له واحتضنته لتودعه - وكانت قد أضرت في آخر عمرها - فوجدته لابسًا درعًا من حديد، فطلبت منه أن ينزعه؛ لأنه ليس لباس مَن يريد الشهادة، فنزعه وشد عليه بقية ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قُتل، وجعلت أمه تذكره بأبيه الزبير، وجده أبي بكر الصديق، وجدته صفية بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ، وترجيه القدوم عليهم إذا هو قُتل شهيدًا، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما. وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمس مئة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يمينًا وشمالاً، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضارٍ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلي طول ليلته ثم جلس فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته فصلى الفجر بجماعته، وبعد الصلاة حرضهم وحثهم على القتال والصبر، ثم نهضوا وحملوا حملة رجل واحد حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته في وجهه فارتعش لها ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضي الله عنه. ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدا عند الحجون، يقال منكسة، فما زالت مصلوبة حتى مر به عبد الله بن عمر فقال: رحمة الله عليك يا أبا خبيب، أما والله لقد كنت صوَّامًا قوَّامًا، ثم قال: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك. ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان.

القرامطة:

في حج عام سبع عشرة وثلاث مئة توافد الحجاج إلى مكة من كل مكان وجانب وفج، فما شعروا إلا بالقرامطة قد خرجوا عليهم يوم التروية، فانتهبوا أموالهم واستباحوا قتالهم، فقتلوا في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقًا كثيرًا، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام وفي الشهر الحرام وفي يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف.

فلما قضى القرمطي أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم، ودفن كثير منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام. وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فمات، فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقَّل في يده وقال: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم. وكان ذلك في زمن الخليفة المقتدر بالله.

ولما رجع القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه، وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يلتفت إليه، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته، وأهل مكة وجنده، واستمر ذاهبًا إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج. وقد ألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحادًا لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازيه على ذلك الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد.

وفي شهر ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وبعد ثنتين وعشرين سنة رُد الحجر الأسود إلى مكانه في البيت؛ ففرح المسلمون لذلك فرحًا شديدًا.

جهيمان:

وفي زمانَنا هذا؛ وبالتحديد في يوم الثلاثاء الأول من شهر محرم سنة ألف وأربع مئة هجرية الموافق العشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ألف وتسع مئة وتسعة وسبعين ميلادية؛ فوجئت مكة بحدث آخر غريب ومستنكر؛ فتنة لم تكن متوقعة، فقد قامت مجموعة من الرجال المسلحين بالرشاشات وغيرها من الأسلحة النارية باحتلال المسجد الحرام لإعلان ظهور المهدي، الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه سيأتي في آخر الزمان ويوافق اسمه اسم النبي ﷺ، وجاؤوا معهم برجل يدعى محمد بن عبد الله القحطاني وزعموا أنه هو المهدي وأن جميع الأوصاف تنطبق عليه، وخطبوا في الناس الذين كانوا بالحرم وقرؤوا عليهم الأحاديث الشريفة الخاصة بالمهدي، ثم دعوهم إلى مبايعته بين الركن والمقام حسب ما ورد في الأحاديث، وقد انتشر أفراد المجموعة في أرجاء المسجد وسيطروا على جميع المداخل والسراديب والمآذن العالية، واتخذوا مواقع تسمح لهم بالسيطرة على المسجد الحرام وما حوله حتى رؤوس الجبال، وكان اسم قائد هذه العملية جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي.

وأصدر العلماء في المملكة العربية السعودية فتوى بقتال هذه الفئة التي انتهكت قدسية البيت الحرام في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[1]، وغيرها من الآيات والأحاديث. وتحركت قوات الأمن السعودية وطلبت من المسلحين عدة مرات الاستسلام حقنًا للدماء ومحافظة على قدسية الحرم، فأمطروا القوات بوابل من النيران، فقامت القوات بتطويق الحرم استعدادًا لحسم الموقف.

وبدأت القوات العسكرية عملية تطهير الحرم من هذه العصابة، واستخدمت الغازات الخانقة والمسيلة للدموع لإجبارهم على الاستسلام، فاستسلمت مجموعات منهم، وقاومت مجموعات أخرى، وتبين أن عدد أفراد العصابة يقدر بمئتين وستين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

شخصًا، من بينهم ثلاثة وعشرون امرأة وطفلاً. ومعظم هؤلاء من السعوديين، انضم إليهم بعض الأفراد من بلاد أخرى.

واستغرقت عملية تطهير المسجد الحرام من هذه العصابة حوالي أسبوعين، وكانت حصيلتها كالآتي:

مئة وسبعة عشر قتيلاً من أفراد العصابة بينهم الرجل الذي زعموا أنه المهدي، ومئة وسبعة وعشرون قتيلاً، وأربع مئة وواحد وخمسون جريحًا من القوات العسكرية.

وتسببت هذه الفتنة في توقف الصلاة والطواف في المسجد الحرام سبعة عشر يومًا، وهي المرة الأولى في تاريخ المسجد الحرام منذ الإسلام، ولم يؤد في الحرم خمسة وثمانون فرضًا وجمعتان. وقد أدى الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود صلاة مغرب يوم الخميس السابع عشر من المحرم، وهي أول صلاة تؤدى بعد فتح أبواب الحرم للصلاة، وفي اليوم التالي الجمعة غص المسجد الحرام بجموع المصلين الذين توافدوا من مدن ومناطق مختلفة بعد أن تاقت نفوسهم طويلاً للخشوع بين يدي الله بجوار بيته العتيق.

وفي يوم الأربعاء الواحد والعشرين من شهر صفر من هذه السنة، أي بعد سبعة أسابيع من بداية الفتنة، تم إعدام ثلاثة وستين من أفراد هذه العصابة: واحد وأربعين سعوديًا، وعشرة مصريين، وسبعة يمنيين، وثلاثة كويتيين، وعراقي واحد، وسوداني واحد، وتم توزيعهم على ثمانية مدن لتنفيذ الحكم فيهم، وحكم بالسجن لمدد مختلفة على تسعة عشر، وعلى النساء بسجن سنتين مع العناية بإصلاحهن دينيًا وتربويًا، وأُفرج عن ثمانية وثلاثين رجلاً.

أما الأحداث التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها سوف تحدث في المستقبل في مكة وفي المسجد الحرام وعند بيت الله الحرام فهي:

المهدي:

قال رسول الله ﷺ: **«المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»**[1]، وقال ﷺ: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني - أو - من**

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٦٠٣.

أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً»(١).

والمهدي يصلحه الله في ليلة، فيهديه ويرشده ويوفقه، ويمكث سبع أو تسع سنين فتتعم الأمة الإسلامية نعمة لم ينعموا مثلها قط. ويكون المال كثيراً جداً، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي! أعطني. فيقول: خذ. فيضع له في ثوبه ما استطاع أن يحمله. وفي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافراً، والسلطان قاهراً، والدين قائماً، والعدو راغماً، والخير في أيامه دائماً.

جيش الخسف:

قال رسول الله ﷺ: **«العجب إن ناساً من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِف بهم»**(٢)، وقال ﷺ: **«سيعوذ بهذا البيت «يعني الكعبة» قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة يُبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بهم»**(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: **«لَيَؤُمَّنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم»**(٤). وسيكون في هذا الجيش القاصد لذلك عمداً، والمجبور المكره على ذلك، وابن السبيل الذي يسلك معهم الطريق وهو ليس منهم، ويقع الهلاك في الدنيا على جميعهم، ويُبعثون يوم القيامة مختلفين على قدر نياتهم فيجازون بحسبها.

ذو السويقتين:

قال رسول الله ﷺ: **«يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»**(٥). هو رجل من الحبشة، أسود، أصلع، معوج المفاصل، دقيق الساقين بعيد ما بينهما، سيأتي إلى

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٦٠١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب هدم الكعبة.

مكة ويهدم الكعبة ويقلعها حجرًا حجرًا بمعوله ومجرفه. وهذا سيكون في آخر الزمان وقرب قيام الساعة، قال النبي ﷺ: «**يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمُرُ بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه**»[(1)]، وربما يكون ذلك بعد أن يحدث لأهل مكة ما أخبر عنه النبي ﷺ أنه: «**سيخرج أهل مكة منها ثم لا يعمروها، أو لا تُعْمَرُ إلا قليلاً، ثم تُعْمَرُ وتمتلئ وتُبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدًا**»[(2)].

ففي هذه الحالة ستخلو مكة من المؤمنين، وربما يتوقف الحج، وتُهجر الكعبة والمسجد الحرام، وعند ذلك تصبح الفرصة مهيأة لهذا الحبشي أن يأتي إلى مكة لهدم الكعبة، ولن يجد في مكة من يمنعه من ذلك. قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيت**»[(3)].



يحب النبي ﷺ المدينة[(4)]

قال رسول الله ﷺ: «**اللهم حَبِّب إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشد**»[(5)].

المدينة:

المدينة هي المدينة النبوية، والمدينة اسم علم على البلدة المعروفة التي هاجر إليها النبي ﷺ ودُفن بها، وقد ذُكرت في القرآن عدة مرات؛ مثل قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[(6)]، وكان اسمها قبل ذلك يثرب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾[(7)]، ويثرب اسم لموضع منها سميت كلها به، وقيل

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٧٨٩٧، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٤٦٧١، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس**﴾.

(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٨١/٤ وما بعدها، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٣٨/٩، ١٥١ وما بعدها.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

سميت بيثرب بن قانية من ولد أرم بن سام بن نوح؛ لأنه أول من نزلها، وقيل غير ذلك. ثم سماها النبي ﷺ طيبة وطابة، وكان سكانها العماليق، ثم نزلها طائفة من بني إسرائيل، ثم نزلها الأوس والخزرج لما تفرق أهل سبأ بسبب سيل العرم.

بعد أن بعث رسول الله ﷺ وهو في الأربعين من عمره، مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله، ثم أُمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة، قال رسول الله ﷺ: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهب وهَلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب**»(١).

وكان النبي ﷺ يحب المدينة حبًا شديدًا حتى إنه ﷺ «**كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرات المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها، من حبها**»(٢)، أي إذا رأى طرق المدينة أسرع السير للوصول إليها من حبه لها، بل إنه كان يحب أيضًا جبل أُحُد الذي بالمدينة وإذا رآه عن بعد وهو راجع من سفره قال ﷺ: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»(٣).

وقد دعا رسول الله ﷺ للمدينة أن يكون بها من البركة ضعفا ما بمكة فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**»(٤)، وهذا أمر محسوس لمن يذهب إلى المدينة، ودعا أيضًا لساكنيها فقال ﷺ: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه**»(٥).

ولهذا كان للمدينة فضائل متعددة، منها:

قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرتُ بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**»(٦)؛ معناه أُمِرت بالهجرة إليها

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس.

واستيطانها. وذكروا في معنى أكلها القرى وجهين: أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها، والثاني معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها. وقيل: غلبة فضلها على فضل غيرها، ومعناه أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدمًا. وبعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب، وإنما اسمها الذي يليق بها المدينة، ففي هذا كراهة تسميتها يثرب، وقالوا إن سبب كراهة تسميتها يثرب لفظ التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد، وكلاهما مستقبح، وسميت طيبة وطابة لحسن لفظهما؛ وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح. وأما تسميتها في القرآن يثرب فإنما هو حكاية عن قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض. وكان ﷺ يسمي المدينة ويقول: «**هذه طابة**»[1]؛ مشتقة من الشيء الطيب، وقيل لطهارة تربتها، ولطيبها لساكنها، ولطيب العيش فيها، وقال بعضهم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية؛ لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها. وروي أن للمدينة أسماء متعددة مثل: المدينة وطابة وطيبة والمطيبة والمسكينة والدار والإيمان وجابرة ومجبورة ومنيرة ويثرب والمدرى والمحببة والمحبوبة، وقيل إن لها أربعين اسمًا.

والمدينة تنفي الخبث وشرار الناس وتخرجهم منها كما تنفي النار خبث الحديد. وإذا نفت الخبث تميز الطيب واستقر فيها.

قال النبي ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[2]؛ أي كما تنتشر الحيةِ من جحرها في طلب ما تعيش به، فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر من المدينة ويرجع إليها، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة؛ لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة المسجد النبوي والسلام على النبي ﷺ ومشاهدة آثاره وآثار أصحابه. وقال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب المدينة طابة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة.

الداودي: كان هذا في حياة النبي ﷺ والقرن الذي كان منهم والذين يلونهم والذين يلونهم خاصة. وقال القرطبي: فيه تنبيه على صحة مذهب أهل المدينة وسلامتهم من البدع وأن عملهم حجة. وقال ابن حجر: وهذا إن سلم اختص بعصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، وأما بعد ظهور الفتن وانتشار الصحابة في البلاد ولا سيما في أواخر المئة الثانية وهلم جرا فهو بالمشاهدة بخلاف ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**»[1]، وقال ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[2]. وقال ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»[3].

فالرحال لا تشد والسفر للزيارة لا يكون إلا إلى هذه المساجد الثلاثة لاختصاصها بما اختصت به، وفيه النهي والمنع عن السفر إلى كل موضع غيرها؛ لأنه محرم، ولا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها. وصلاة في المسجد النبوي أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام؛ قال العلماء: وهذا فيما يرجع إلى الثواب، فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب ألف فيما سواه ولا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت؛ حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في مسجد المدينة صلاة لم تجزئه إلا عن واحدة والله أعلم.

قال النبي ﷺ: «**الصلاة في مسجد قُباء كعمرة**»[4]؛ وقد «**كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قُباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين**»[5].

قال النبي ﷺ: «**المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها، ولا يُحدثُ فيها حدث. من أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[6]؛ وقد حُرِّم ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب رقم: ١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب رقم: ١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة.

بين لابتي المدينة على لسان النبي ﷺ: «**ما بين لابتيها حرام**»[١]. وقال ﷺ: «**إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عِضاهُها أو يقتل صيدها، المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيداً يوم القيامة**»[٢]. وفي ذلك دلالة ظاهرة على فضل سكنى المدينة، والصبر على شدائدها، وضيق العيش فيها، وأن هذا الفضل باق مستمر إلى يوم القيامة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني اشفع لمن يموت بها**»[٣]؛ وفي هذا ترغيب في سكنى المدينة والموت فيها لنيل شفاعة رسول الله ﷺ؛ وهذا مستمر إلى قيام الساعة.

مكث رسول الله ﷺ في المدينة مهاجرًا عشر سنين، ثم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودُفن في مسجده بالمدينة، وقد أخرج مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض بقعة هي أحب إليَّ أن يكون قبري بها منها**» ثلاث مرات يعني المدينة»[٤]. وقال القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض. وقد دُفن بجانب رسول الله ﷺ صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولأجل فضائل المدينة، وفضل الموت فيها فقد توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالدعاء إلى الله أن يجعل موته في بلد رسوله ﷺ فقال: «**اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ**»[٥]؛ وقد استجاب الله عز وجل دعاء عمر فرزقه الشهادة وهو في المدينة وليس في غزو والناس حوله وذلك حين طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وهو يصلي بالناس صلاة الفجر في مسجد النبي ﷺ.

وقد أخبر رسول الله ﷺ ما سوف يحدث في المدينة بعد موته وفي آخر الزمان فمن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب لابتي المدينة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٧٦.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**»[(١)]؛ وقال ﷺ: «**ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء**»[(٢)]؛ أي لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا ذاب ذوب الملح في الماء. قال عياض: هذه الزيادة «في النار» تبين أن هذا حكمه في الآخرة، وقد يكون في اللفظ تأخير وتقديم أي أذابه الله ذوب الرصاص في النار ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطان بل يذهبه عن قرب، كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة، فإنه هلك في منصرفه عنها ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك وغيرهما ممن صنع صنيعهما، وقيل: قد يكون المراد به من أرادها في حياة النبي ﷺ بسوء اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، ويحتمل أن يكون المراد من كادها اغتيالاً وطلبًا لغرتها في غفلة فلا يتم له أمر، بخلاف من أتى ذلك جهارًا كما استباحها مسلم بن عقبة وغيره.

أشرف النبي ﷺ على أُطُمٍ من آطام المدينة فقال: «**هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[(٣)]، فقد شبه النبي ﷺ سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط القطر في الكثرة والعموم. وهذا من علامات النبوة لإخباره بما سيكون، وقد ظهر مصداق ذلك من قتل عثمان وهلم جرا ولا سيما يوم الحرة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب مَلَكان**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدَّجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها. ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرج الله كل كافر ومنافق**»[(٥)]، فالمدينة سوف يحصل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدَّجال المدينة.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدَّجال المدينة.

لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصًا في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال، ومن هؤلاء المؤمنين المخلصين يخرج الرجل الذي سوف يقتله الدجال ثم يحييه ليشهد أنه الله! ولكن هذا المؤمن لا يزيده ذلك إلا إيمانًا أنه الدجال، يقول النبي ﷺ: «**يأتي الدجال - وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خيار الناس - فيقول: أشهد أنك الدَّجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم. فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه**»[1].

وقال ﷺ: «**تتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف - يريد عوافي السباع والطير - وآخر مَن يُحشَرُ راعيان من مُزَيْنَة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرًا على وجوههما**»[2]؛ قال النووي: وأما معنى الحديث فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة وتوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يُحشَر. وقال القاضي عياض: هذا فما جرى في العصر الأول وانقضى، وهذا من معجزاته ﷺ، فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا؛ أما الدين فلكثرة العلماء وكمالهم، وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها، وذكر الإخباريون في بعض الفتن التي جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها.

وقيل: إن الراعيين يجدان المدينة خالية ليس بها أحد ويجدانها ذات وحوش.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب لا يدخل الدَّجال المدينة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة.

يحب النبي ﷺ جبل أُحُد[١]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ طلع له أُحُد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[٢].

جبل أُحُد:

جبل أُحُد هو جبل بالمدينة، وسمي أُحُدًا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك، أو لما وقع من أهله من نصر التوحيد.

قال ابن حجر: وللعلماء في معنى ذلك أقوال: **أحدها**: أنه على حذف مضاف والتقدير: أهل أحد، والمراد بهم الأنصار؛ لأنهم جيرانه. **ثانيها**: أنه قال ﷺ ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب. **ثالثها**: أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره. ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح من الحصى، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب: «**اسكن أحد**» الحديث[٣]. وقال السهيلي: كان ﷺ يحب الفأل الحسن والاسم الحسن ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية. قال: ومع كونه مشتقًا من الأحدية فحركات حروفه الرفع، وذلك يُشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظًا ومعنى فخص من بين الجبال بذلك والله أعلم.

وقال النووي: الصحيح المختار أن معناه أن أُحُدًا يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزًا يحب به كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾[٤]، وكما حن الجذع اليابس، وكما سبح الحصى، وكما فر الحجر بثوب موسى عليه السلام، وكما قال نبينا ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ**»[٥]. وكما دعا

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٧/ ٣٤٧، ٣٧٨، وشرح صحيح مسلم للنووي ٩/١٣٩-١٤٠، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

الشجرتين المفترقتين فاجتمعتا، وكما رجف حراء فقال: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد**» الحديث[١]، وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[٢]؛ والصحيح في معنى هذه الآية أن كل شيء يسبح حقيقة بحسب حاله ولكن لا نفقهه، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث وأن أُحُدًا يحبنا حقيقة.

وقد شهد جبل أُحُد أحداثًا ومعارك تاريخية عظيمة، منها:

غزوة أحد:

في شهر شوال سنة ثلاث للهجرة نزل رسول الله ﷺ بجيش من المسلمين قوامه سبع مئة رجل في أصل جبل أحد، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وذلك لملاقاة المشركين الذين جاؤوا لمحاربة رسول الله ﷺ ليثأروا لمن قُتل منهم يوم بدر، وكان عددهم ثلاثة آلاف. وقد أمَّر النبي ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وعددهم خمسون رجلاً وقال: «**لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظَهَرْنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا**»[٣]. أي لا تغادروا مكانكم مهما حصل سواء انتصرنا وغنمنا فلا تشركونا، أم انتصروا ورأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وقد طلب النبي ﷺ منهم أن يحموا ظهور المسلمين وأن يرموا خيل المشركين بالنبل حتى لا يأتوا من خلف المسلمين. وبدأ القتال فانتصر المسلمون وهزموا المشركين شر هزيمة حتى أن نساء المشركين رفعن ثيابهن عن سوقهن وأطلقن أرجلهن للريح هاربات من أرض المعركة لينجون بأنفسهن، بعد أن قتل المسلمون أصحاب لواء المشركين حتى ما يدنو منه أحد من القوم. فلما غنم رسول الله ﷺ وأباحوا عسكر المشركين، ترك الرماة أماكنهم ليلحقوا بالغنيمة، ولم ينفع تذكيرهم بأمر رسول الله ﷺ. فانطلق الرماة ودخلوا في العسكر ينتهبون، فلما أخلى الرماة مواقعهم وفتحوا هذه الثغرة دخلت خيل المشركين بقيادة خالد بن الوليد من ذلك الموضع على الصحابة وأعملوا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أحد.

فيهم القتل، وصرخ الشيطان: قُتل محمد. والتبس الأمر، واختلط الحابل بالنابل، وانهزم بعض المسلمين إلى جهة المدينة، وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل، وأسرع من تبقى من المسلمين واحتموا بالجبل، وثبت رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله فرماه المشركون بالحجارة فكسروا رباعيته، وجرحوا شفته، وشجُّوه في وجهه، فتراجع إلى النبي ﷺ ثلاثون رجلاً فجعلوا يذبون عنه، وقصد رسول الله ﷺ الجبل فلما رآه المسلمون فرحوا به واجتمعوا حوله وتراجع الناس. وقد استشهد في هذه المعركة أكثر من سبعين من الصحابة وفي مقدمتهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، ودُفن الشهداء في أرض المعركة.

وفي قصة أحد وما أُصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول ﷺ ألا يبرحوا منه. وغير ذلك من الحكم الكثيرة. وقد أنزل الله في شأن أحد عشرات الآيات. قال ابن إسحق: أنزل الله في شأن أحد ستين آية من آل عمران.

وكما شهد جبل أُحُد في الماضي أحداثًا ومعارك تاريخية عظيمة، فهو سيشهد أيضًا في آخر الزمان أحداثًا خطيرة، ووقائع عظيمة، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.

الدجال:

عن محجن بن الأدرع أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: **«يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟»** ثلاثًا، فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: **«يجيء الدجال فيصعد أُحُدًا فينظر المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد. ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكًا مصلتًا سيفه، فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه. ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فتخلص المدينة، فذلك يوم الخلاص»**[1].

(١) مسند أحمد، رقم: ١٨٨٧٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الدجال لا يستطيع أن يدخل مكة والمدينة؛ لأن الملائكة فيهما تمنعه لشرف هاتين البقعتين فهما حرمان آمنان منه ومحرمان عليه، فيضطر إلى النزول في أرض خارج المدينة، وبدلاً من دخوله إلى المدينة لينضم إليه المنافقون، فإن المدينة ترجف ثلاث رجفات لتنفي خبثها وتخرج منها كل منافق ومنافقة لينضموا إلى الدجال الذي ستكون له مواجهة مع رجل من خير الناس وأعظم الناس شهادة عند رب العالمين، الذي أخبرنا رسول الله ﷺ عنه فقال: **«يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَه رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أوَ ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيُشَبَّح فيقول: خذوه وشُجُّوه، فيُوسَعُ ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أوَ ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيُؤْشَر بالمِئشار من مَفْرِقه حتى يُفرَّق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيُجْعَلُ ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما أُلقي في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»**[1].

بعد ذلك سيغادر الدجال ومعه أتباعه من اليهود والمنافقين إلى بيت المقدس حيث سيواجه مصيره فيقتله مسيح الهدى عيسى ابن مريم في باب لدٍّ كما أخبر النبي ﷺ: **«يقتل ابن مريم الدَّجَّال بباب لُدٍّ»**[2].



(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٢٩ .

ما يحب النبي ﷺ وما يكره من الطعام والشراب

ما يحب النبي ﷺ من الطعام والشراب

تمهيد:

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾(٣)، وصفة النبي ﷺ في التوراة والإنجيل: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾(٤).

فقد أحل الله لنا سائر أنواع الطعام والشراب، إلا ما ورد في الشرع أنه محرم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾(٥). وكذلك الخمر وكل ذي ناب ومخلب وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة أنه محرم.

والنبي ﷺ كبشر مثله مثل أي إنسان آخر يحب أنواعًا معينة من الطعام والشراب، ويعاف ولا يشتهي أنواعًا أخرى. والطعام والشراب حاجة ضرورية للإنسان لكي ينمو ويعيش، وتتولد عنده القوة والحرارة والنشاط؛ وهذه سنة الله في خلقه. وسبحان الخالق الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهيأ له ما يكفل له البقاء والاستمرار إلى ما شاء الله. ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٦)، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(٧).

هدي النبي ﷺ في الطعام:

لقد كان هدي النبي ﷺ وسنته في الطعام أنه كان إذا اشتهى طعامًا مباحًا أكله، وإلا تركه ولم يعيبه، فعن أبي هريرة، قال: **«ما عاب النبي ﷺ طعامًا قطُّ: إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»**(٨).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
(٦) سورة غافر، الآية: ٦٤.
(٧) سورة طه، الآية: ٥٠ .
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعامًا.

وكان من هدي النبي ﷺ وآدابه في الطعام أنه كان يسمي الله قبل الأكل، ويأكل بيمينه، ويأكل مما يليه، وكان يربِّي الأطفال على هذه الآداب. قال عمر بن أبي سلمة: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلام، سَمِّ الله، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يليك»**(١)، وقال ﷺ: **«إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإنْ نَسِيَ أن يذكر اسم الله تعالى في أوَّلِهِ فليقل: بسم الله أوَّلَهُ وآخره»**(٢). وكان ﷺ يأمر بالأكل باليمين وينهى عن الأكل بالشمال؛ لأن الشيطان يأكل بها، قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»**(٣). وقال ﷺ: **«لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال»**(٤).

وكان معظم مطعم النبي ﷺ يوضع على الأرض في السُّفرة، وهي كانت مائدته. وكان من سنته ﷺ أنه لا يأكل متكئًا وقال ﷺ: **«إني لا آكل متكئًا»**(٥). وقد فسر الاتكاء بالتربع، وفسر بالاتكاء على الشيء، وهو الاعتماد عليه، سواء كان الاتكاء على إحدى اليدين أو على وسادة، وفسر الاتكاء على الجنب. والأنواع الثلاثة من الاتكاء، وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب؛ فهي جلسة تضر بالآكل؛ لأنها تمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، وتعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة، وتضغط المعدة، فلا يستحكم فتحها للغذاء، وأيضًا فإنها تميل ولا تبقى منتصبة، فلا يصل الغذاء إليها بسهولة(٦).

وكان ﷺ إذا أكل بأصابعه الثلاث لعقها بعد الفراغ وأمر بلعق الأصابع والصَّحفة، ولمِّ اللقمة إذا سقطت؛ فعن أنس «أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعقَ أصابعه الثلاث وقال: **«إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان»**. وأمرنا أن نَسْلُتَ القصعة، قال: **«فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»**(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٠٢.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئًا.
(٦) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٢٢١-٢٢٢.
(٧) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة.

أما هدي النبي ﷺ في الشرب فقد كان أكثر عادته الشرب قاعداً، والشرب على ثلاث دفعات، ونهى عن النفخ أو التنفس في الشراب وقال ﷺ: «**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء**»[١]، ومنه يتبين خطأ النفخ على الأطعمة أو الأشربة الحارة لتبريدها؛ وربما أدى ذلك إلى ضرر صحي فالهواء الذي يخرج بالنفخ أو الزفير هواء فاسد مشبع بغاز ثاني أوكسيد الكربون، هذا عدا الحكم والفوائد الأخرى التي يتضمنها النهي عن التنفس في الإناء أو النفخ وهو أشد من التنفس.

وسنة النبي ﷺ في كمية الطعام ما ذكره ﷺ في قوله: «**ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه**»[٢]؛ أي يكفي الجسم لقمات قليلة يتقوى بها على طاعة الله، فإن أراد تجاوز هذه الكمية فلا يتجاوز عن القسم المذكور وهو الثلثين للطعام والشراب، ويبقي قدر الثلث ليتمكن من التنفس ويحصل له نوع صفاء ورقة.

أما بعد الانتهاء من الأكل فقد كانت سنته ﷺ أن يحمد الله تعالى، ويقول: «**الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً، غير مَكفيٍ ولا مُودَّع ولا مستَغنى عنه ربنا**»[٣]. وقال ﷺ: «**من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورَزَقَنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[٤]. أما إذا كان ضيفاً على الطعام عند قوم فإنه كان بعد فراغه منه يدعو لهم ويقول: «**اللهم بارك لهم في ما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم**»[٥]، ويقول ﷺ: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة**»[٦]. وكان ﷺ يجيب الدعوة ويأمر بإجابتها ويقول ﷺ: «**من دُعِيَ فليُجِبْ، فإن شاء طَعِم، وإن شاء ترك**»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب النهي عن التنفس في الإناء.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٩٤.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب وضع النوى خارج التمر واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٦٣.

(٧) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٨٢.

وكان من سنة النبي ﷺ بعد الفراغ من الطعام غسل اليدين، قال ﷺ: **«من نام وفي يده غَمْر، ولم يغسله، فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»**(١) الغمر: هو الدسم والوسخ والزهومة من اللحم، وغسله يكون بالماء، أو بالماء والصابون ونحوه، وإصابته بشيء، أي وصله شيء من إيذاء الهوام، وقيل أو من الجان؛ لأن الهوام وذوات السموم ربما تقصده في المنام لرائحة الطعام في يده فتؤذيه، وقيل غير ذلك والله أعلم(٢).

وكان رسول الله ﷺ يحب أنواعًا معينة من الأطعمة، وأكتفي بذكر الأطعمة التي ورد في الحديث الصحيح عنها لفظ الحب، وهذا لا يعني أن النبي المصطفى ﷺ كان لا يأكل إلا هذه الأطعمة، بل إنه ﷺ كان يأكل غيرها مثل: لحم الجزور، والدجاج، ولحم الحبارى، والأرنب، وطعام البحر، واللبن، والسويق، والخزيرة وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق، والقثاء والرطب، والأقط، والتمر بالخبز، والخبز بالخل، والثريد وهو الخبز باللحم، والخبز بالشحم المذاب، والكبد المشوية، والقديد، والجبن، والخبز بالزيت، والبطيخ بالرطب، والعنب وغير ذلك؛ ولكن لم يرد في الأحاديث الخاصة بهذه الأطعمة لفظ الحب الذي اشترطته في هذا الكتاب.



أحب الشاة إلى النبي ﷺ الذراع(٣)

عن أبي هريرة قال: **«وُضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع، وكانت أحب الشاة إليه»**(٤). وعن عبد الله بن مسعود قال: **«كان النبي ﷺ يعجبه الذراع، وسم في الذراع وكان يرى أن اليهود هم سموه»**(٥).

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٦٢.

(٢) انظر: عون المعبود للعظيم آبادي ١٠/٢٣٧.

(٣) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٧٢-٣٧٣، وشرح صحيح مسلم للنووي ٣/٦٥، والغذاء لا الدواء لصبري القباني ٤٩٣-٥٠٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الشفاعة.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢١٢.

لقد كان رسول الله ﷺ يحب اللحم ويحب الذراع من الشاة، فاللحم لذيذ ومفيد جدًا للجسم وهو من الأطعمة الرئيسة للإنسان على مدى الأزمان، وهو من طعام أهل الجنة قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[1].

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: محبته ﷺ للذراع لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها عن مواضع الأذى.

قال ابن القيم: لحم الضأن: يولّد الدم المحمود القوي لمن جاد هضمه، يصلح لأصحاب الأمزجة الباردة والمعتدلة، ولأهل الرياضات التامة في المواضع والفصول الباردة، نافع لأصحاب المرة السوداء، يقوي الذهن والحفظ.

وأفضل اللحم عائذه بالعظم، والأيمن أخف وأجود من الأيسر، والمقدم أفضل من المؤخر، وكان أحب الشاة إلى رسول الله ﷺ مقدمها، وكل ما علا منه سوى الرأس كان أخف وأجود مما سَفَل.. ولحم العنق جيد لذيذ، سريع الهضم خفيف، ولحم الذراع أخف اللحم وألذه وألطفه وأبعده عن الأذى، وأسرعه انهضامًا. وفي الصحيحين: أنه كان يعجب رسول الله ﷺ. ولحم الظهر كثير الغذاء، يولد دمًا محمودًا.

قال النبي ﷺ: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**[2]، والثريد طعام مركب من الخبز واللحم. وهو أفضل طعام العرب.

قال الزهري: أكل اللحم يزيد سبعين قوة. وقال محمد بن واسع: اللحم يزيد في البصر، ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كلوا اللحم، فإنه يصفّي اللون ويُخمص البطن، ويحسن الخُلُق. وقال نافع: كان ابن عمر إذا كان رمضان لم يفته اللحم، وإذا سافر لم يفته اللحم.

إن اللحم غني بالمواد الزلالية وفقير جدًا بالمواد السكرية، أما الدسم فيه فمقداره يختلف بحسب ضعف الحيوان وسمنه ونوع غذائه. ويتركب اللحم من المواد الآتية:

١- الماء ويعادل مقداره ٧٥٪ من وزنه تقريبًا.

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الثريد.

٢- الأملاح المعدنية: وخصوصًا منها فوسفات البوتاسيوم مع أثر من أملاح الصوديوم والكلس والمانيزا ومركبات الكلور الثنائي ومواد ملونة كاليحمور (خضاب الدم) الذي يحوي كمية من الحديد.

٣- مواد سكرية (سكريات) بمقدار ٣،٠- ٤،٠٪.

٤- مواد دسمة (الشحميات) وهي قليلة المقدار.

٥- مواد زلالية وهي تؤلف القسم المهم منه وهما: العضلين (ميوزين).

ويحوي اللحم زيادة عما تقدم مولد الغراء (الهلام أي الجلاتين) المرنين، ومواد خلاصوية آزوتية كالكرياتين والأسس الصفراء، إلخ.

وقلما يختلف تركيب اللحم، بحسب نوع الحيوان ولا سيما في المواد الهيولية منه، ولكنه يختلف ذلك فيه بحسب طراز معيشته، وعمره ونوع غذائه. فالحيوان الذي يعيش في الحظائر أكثر دهنًا من الحيوان الذي يعيش في المراعي.

ولحم الغنم يمد الجسم بطاقة حرارية أعلى مقدارًا من التي يعطيها الوزن نفسه من اللحوم البيضاء كالدجاج والسمك والأرانب. والطاقة الحرارية كما نعلم هي التي يستغلها الجسم في نشاطه ومجهوده العضلي. وإن جاز للحوم الأغنام والأبقار وغيرها من اللحوم الحمراء أن تفخر بثرائها في عنصر الحديد الذي يدخل في تكوين الدم، جاز للحوم البيضاء الفقيرة بالحديد أن تفاخر بأنها أسرع هضمًا في القناة الهضمية من اللحوم الحمراء. ولذلك فاللحوم البيضاء أكثر ملاءمة للناقهين من اللحوم الحمراء.

ولقد وضح من مختلف التجارب أن الطعام الذي يجمع بين اللحوم والخضروات هو أصلح غذاء يؤدي إلى أحسن النتائج لسبب واحد وهو أن اللحوم أكثر الأطعمة احتواء على المركبات البروتينية (الزلالية) الضرورية لبناء الأنسجة والخلايا، فإذا أراد الإنسان أن يحصل على هذه المركبات البروتينية عليه أن يجمع مع اللحم كمية من الخضراوات.

وبقي أن نعرف أي أنواع اللحوم أفضل؟ إن لحم الغنم هو أفضل أنواع اللحوم؛ لأنه أسهل هضمًا وأفضلها لتقوية الجسم وهو أفضل من لحم البقر الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**عليكم بألبان البقر، فإنها دواء، وأسمانها فإنها شفاء، وإياكم ولحومها؛ فإن لحومها داء**»[١]، وفي زمننا هذا ظهر واحد من الأدلة على صدق قول النبي ﷺ وهو إصابة البقر بمرض (جنون البقر) في أكثر من بلد وفي مقدمتها بريطانيا، حتى إن الناس في كثير من بلاد العالم أحجموا عن أكل لحوم البقر خوفًا من انتقال هذا المرض إليهم. والله أعلم ماذا سيظهر مستقبلاً في البقر من أمراض.

وبالجملة فمن الضروري أن نلم بالقواعد الفنية المتعلقة باختيار اللحم أو بطريقة طهوه. فاللحم الجيد هو الذي يكون ذا لون أحمر «غير بنفسجي» وخال من الصفاقات والألياف، صلب البنية ظاهر الطراوة وذو رائحة ندية.



يحب النبي ﷺ الزبد والتمر[٢]

عن ابنَيْ بُسْرٍ السُّلَمِيَّيْن قالا: «**دخل علينا رسول الله ﷺ فقدَّمنا زُبدًا وتَمْرًا، وكان يحب الزُّبْدَ والتَّمْر**»[٣].

الزبد:

لقد كان النبي ﷺ يحب الزبد. والزبد هو ما يُستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم، والزبدة أخص من الزبد.

يجمع الزبد مميزات وفوائد الحليب، مضافًا إليها طاقة حرارية عالية لارتفاع نسبة الدهون فيه. ويؤخذ من الحليب بالمخض الكثير. يفيد في علاج تصلب الشرايين والسعال العارض، ويشفي الأورام، ويزيد من فائدته أن يُتناول التمر معه،

---

(١) صحيح الجامع، رقم: ٤٠٦٠.

(٢) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٣١٨/٤، وعون المعبود للعظيم آبادي٢٢٣/١٠، الطب النبوي للذهبي، هامش لأحمد البدراوي ١٢٤.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٢٥٠.

ولكن يُنصح بعدم الإفراط في تناول الزيد لاحتوائه على نسبة عالية من الأحماض الدهنية التي تسبب ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم.

قال ابن القيم: «الزيد حار رطب، فيه منافع كثيرة، منها الإنضاج والتحليل، ويُبرئ الأورام التي تكون إلى جانب الأذنين والحالبين، وأورام الفم، وسائر الأورام التي تَعْرِضُ في أبدان النساء والصبيان إذا استُعمل وحده، وإذا لعق منه، نفع من نفث الدم الذي يكون من الرئة، وأنضج الأورام العارضة فيها.

وهو ملين للطبيعة والعصب والأورام الصلبة العارضة من المرة السوداء والبلغم، نافع من اليُبس العارض في البدن، وإذا طُلِيَ به على منابت أسنان الطفل، كان معينًا على نباتها وطلوعها، وهو نافع من السعال العارض من البرد واليبس، ويذهب القُوباء والخشونة التي في البدن، ويلين الطبيعة، ولكنه يضعف شهوة الطعام، ويذهب بوخامته الحلو، كالعسل والتمر، وفي جمعه ﷺ بين التمر وبينه من الحكمة إصلاح كل منهما بالآخر».

التمر:

قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشجر شجرة تكون مثل المسلم، وهي النخلة**»[1].
إن بركة النخلة كبركة المسلم، وبركتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها... وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، ويؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب، وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطري الرطب، ويؤكل أبدًا ليلاً ونهارًا، صيفًا وشتاءً، فأكلها دائم في كل وقت. وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة ومن خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جذوعًا وحطبًا وعصيًا ومخاصر وحصرًا وحبالاً وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها ويُنتفع به علفًا للإبل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب بركة النخلة.

ومواظبته على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات وغير ذلك.

لقد لقب العلم التمر بأنه «منجم» غني بالمعادن، وهذا غير فوائده الأخرى التي تجعل منه غذاءً كاملاً بكل ما في الكلمة من معنى. وفي تاريخ المسلمين وقصص حياتهم وحروبهم، دور كبير للتمر كغذاء رئيس من أغذيتهم، بصورة تفسر لنا كيف استطاعوا أن يجدوا القدرة على أن يفتحوا البلاد والأمصار، ويقاتلوا الدول والجيوش، وليس في جوفهم سوى بضع تمرات.

إن التمر غني جدًا بالمواد الغذائية الضرورية للإنسان، وهو يحتوي على الفيتامين (آ) الموجود بنسبة عالية تعادل نسبته في أعظم مصادره مثل زيت السمك والزبدة. والفيتامين (آ) كما هو معروف يساعد على زيادة وزن الأطفال؛ ولذلك يطلق عليه الأطباء اسم «عامل النمو»، كما أنه يحفظ رطوبة العين وبريقها ويقوي الأعصاب البصرية، ويكافح الغشى الليلي، ويجعل البصر نافذًا ثاقبًا في الليل فضلاً عن النهار.

والأطباء الاختصاصيون في الأذن، يصفون الفيتامين (آ) لتقوية الأعصاب السمعية، وعلى هذا فالتمر يفيد الشيوخ الذين بدؤوا يعانون قلة السمع وضعف الأعصاب السمعية. وبما أن الفيتامين (آ) يسمى بفيتامين النمو فإنه يساعد جسم الفتيان والفتيات والأطفال على النمو والتكامل فيغدو الفتى رشيقًا نشيطًا. وهناك صفة نفسية مهمة للتمر، وهو أنه يضفي السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة، ويهدِّئ العصبيين ويخفف من تحسسهم وتأففهم وتبرمهم بالحياة. والعلماء ينادون بمعالجة المضطربة أعصابهم بالفيتامين (آ) وبخاصة إعطاؤه من مصادره الطبيعية كالتمر، ويرجحونه على المهدئات والمسكنات العصبية التي تورث الإدمان أولاً، وتثبط العزائم وتدخل الخمول والكسل إلى متعاطيها ثانيًا.

ويحتوي التمر على الفيتامين (ب١)، و(ب٢)، و(ب ب)، ومن شأن هذه الفيتامينات تقوية الأعصاب وتليين الأوعية الدموية، وترطيب الأمعاء وحفظها من الالتهاب والضعف. والأطباء يصفون الفيتامين (ب١) في الآفات العصبية: في

الخذل والمذل والشلل، وفي استرخاء القلب، وفي القرحة المعدية، وفي الجهود العضلية والفكرية، ويوصون به للناقهين والرياضيين والمفكرين. كما يصفون الفيتامين (ب٢) في آفات الكبد واليرقانات وتشقق الشفاه وفي حالات الحساسية والشري، وفي تكسر الأظفار وجفاف الجلد. ويضم التمر هذه الخواص الشفائية مجتمعة.

والتمر غني بالفوسفور بنسبة عالية، فهو أغنى من المشمش والإجاص والفراولة وأغنى من العنب، ففي كل مئة غرام من التمر نجد أربعين ميلغرامًا من الفوسفور في حين لا تزيد كمية الفوسفور الموجودة في أية فاكهة عن عشرين ميلغرامًا في الكمية نفسها. وإذا عرفنا أن الفوسفور يدخل في تركيب العظام والأسنان، وأن الفوسفور هو الغذاء المفضل للحجيرات النبيلة في جسم الإنسان وهي حجيرات الدماغ والتناسل أمكننا أن ندرك قيمة التمر الدوائية في تعويض ما يفقده أرباب الفكر والقلم، وأمكننا أن نعرف أيضًا مدى أثره في القوة الجنسية.

وعن ذلك يقول ابن القيم عن التمر: «يزيد في الباه، ولا سيما مع حبِّ الصنوبر»، ويقول عنه أيضًا: «وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدود، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية، فإذا أديم استعماله على الريق، خفف مادة الدود، وأضعفه وقلله، أو قتله، وهو فاكهة وغذاء، ودواء وشراب وحلوى».

وعلاوة على ذلك، فإن بضع حبات من التمر تزيد في مفعولها عن فائدة زجاجة كاملة من شراب الحديد أو حقنة كالسيوم؛ لأن الحديد والكالسيوم محلولان في التمر بشكل طبيعي يتقبله الجسم ويتمثله بسرعة، في حين أشربة الحديد والكالسيوم تمجّها المعدة وتثقل على غشائها المخاطي، وقد لا يتمثلها الجسم ولا يهضمها كاملة. ولو لم يكن في التمر من فائدة سوى احتوائه على (المغنزيوم) لكفاه بذلك سببًا يضعه في مقدمة الأغذية والفواكه المفيدة؛ فقد لوحظ أن سكان الواحات وأكثرهم من الفقراء والبؤساء - لا يعرفون مرض السرطان إطلاقًا، أو أن هذا المرض لم يعرف طريقه إليهم أبدًا، والمعتقد أن غنى التمر بـ (المغنزيوم) هو سبب انعدام السرطان لدى أولئك الناس.

والتمر غني بعدد من أنواع السكاكر كسكر العنب (الغليكوز) وسكر الفاكهة (الليكولوز) وسكر القصب (السكاروز)؛ ونسبتها فيه تبلغ حوالي سبعين في المئة؛ ولذا فالتمر وقود من الدرجة الأولى، والسكاكر الموجودة في التمر سريعة الامتصاص، سهلة التمثل، تذهب رأسًا إلى الدم فالعضلات لتهبها القوة، وإلى الحجيرات لتمنحها القدرة والحرارة، إذ لا يحتاج امتصاصها إلى عمليات هضمية وعمليات كيماوية حيوية معقدة، كما هو الحال مثلاً في المواد الدهنية والنشوية كالموجودة في الخبز والأرز التي تحتاج إلى مفرزات هضمية وأعمال (بيولوجية) لتتحول إلى (دكسترين) فسكاكر قابلة للامتصاص. وتستطيع المعدة هضم التمر وامتصاص السكاكر الموجودة فيه خلال ساعة أو بعض الساعة، فتسير في الدم بسرعة حاملة الوقود إلى الدماغ والعضلات كما تسير سيارات الإسعاف متخطية جميع وسائل النقل الأخرى، في حين الحلوى المدنية التي نتفنن في تزويقها بالسمن والنقل، وفي تنويعها، والمعجنات الكثيرة التي تزخر بها مخازن الباعة ومطابخنا تحتاج في هضمها إلى عدة ساعات؛ لأن المواد الدهنية الموجودة في الحلويات الشرقية تعيق الهضم وتؤخره ست ساعات تقريبًا فيبطؤ الامتصاص.

وعلى هذا الأساس ينصح الأطباء الصائمين الذين يشعرون بالدوخة والتراخي وزوغان البصر بتناول كمية من السكاكر ولا سيما من السكاكر الطبيعية الحرة الموجودة في التمر، إذ تزول الدوخة ويزول الكسل خلال نصف ساعة تقريبًا.

لقد كان من سنة رسول الله ﷺ أن يفطر على الرطب أو التمر إذا كان صائمًا ثم يصلي المغرب بعد ذلك، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: **«كان رسول الله ﷺ يفطر على رُطَبَات، قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء»**[1]. وأمر ﷺ بذلك فقال ﷺ: **«إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على التمر، فإن لم يجد التمر فعلى الماء؛ فإن الماء طهور»**[2]. وعلة الإفطار على التمر تحال إلى الشارع، ولكن من جهة أخرى طبية فقد ثبت أن هذه هي الطريقة الصحيحة والصحية للإفطار بعد الصيام.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٠٦٥ .

(٢) صحيح الجامع، رقم: ٧٤٦.

لقد اقتدى كثير من الصائمين بسنة رسول الله ﷺ الذي كان يقتصر في إفطاره على بضع تمرات وجرعة من الماء يقوم بعدها إلى الصلاة حتى إذا أغطش الليل وانتهى من الصلاة تناول طعامًا خفيفًا يسد جوعه، ويسد حاجة جسمه من الغذاء، دون شعور بالتخمة أو الامتلاء.

ولقد أثبت الطب الحديث صحة سنة رسول الله ﷺ في الصيام وفي الإفطار، فالصائم يستنفد في نهاره عادة معظم وقود جسده، أي يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه، وهبوط نسبة السكر في الدم عن حدها المعتاد هو الذي يسبب ما يشعر به الصائم أحيانًا من ضعف وكسل وزوغان في البصر، وربما في بعض الحالات عدم قدرة على التفكير أو الحركة. لذا كان من الضروري أن نمد أجسامنا بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار - لا أن نمدها بكميات كبيرة من المواد الدهنية والنشوية. فالصائم المتراخي المتكاسل في أواخر يوم صيامه، تعود إليه قواه سريعًا، ويدب النشاط إلى جسمه في أقل من ساعة إذا اقتصر في إفطاره على المواد السكرية ببضع تمرات مع كأس ماء أو كأس من الحليب، وبعد ساعة يقوم الصائم إلى تناول عشائه المعتاد، ولهذا النمط من الإفطار ثلاث فوائد:

الأولى: أن المعدة لا ترهق بما يقدم إليها من غذاء دسم وفير بعد أن كانت هاجعة نائمة طيلة اليوم، بل تبدأ عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص، ثم بعد نصف ساعة يكون قد أدى فيها الصلاة يقدم إليها الإفطار المعتاد.

الثانية: أن تناول التمر أولاً يحد من نهم الصائم فلا يقبل على المائدة ليلتهم ما عليها بعجلة دون مضغ أو تذوق.

الثالثة: أن المعدة تستطيع هضم المواد السكرية في التمر خلال نصف ساعة فإذا بالدم يترع بالوقود السكري الذي يجوب أنحاء الجسم ويبعث في خلاياه النشاط، فيزول الإحساس بالدوخة والتعب سريعًا.

أما إذا أقبل الصائم الجائع على المائدة - كما هو شائع - يلتهم الزفر من مرق وسمن ويعقبها بمختلف الحلويات والفاكهة ثم يردفها بكأس أو ثلاث من الماء تمدد العصارة المعدية وتبطل مفعولها، فإن سوء الهضم وتعفن الإمعاء سيكون حتمًا من

نصيبه، وسيلازمه الشعور بالإعياء والإحساس بالدوخة والتعب، يضاف إلى ذلك شعور جديد مؤلم هو حس الامتلاء المعدي، والنفخة البطنية. وسيظل الدم فقيرًا إلى ما يحتاج إليه الصائم من وقود السكر؛ لأن المعدة لن تنتهي من هضم وجبة الإفطار الدهنية قبل مضي سبع ساعات أو أكثر وستبقى حجيرات الجسم تئن وتصرخ طالبة غذاءها الذي لم يصلها رغم وصوله للمعدة.. وصراخها يترجم عادة بالتراخي والدوخة وزوغان البصر وعدم استطاعة صاحبها القيام بأعماله الجسدية والفكرية.

ولو اتبع المسلمون في صيامهم سنة رسول الله ﷺ فافتتحوا إفطارهم ببضع تمرات وكأس واحدة من الماء أو العصير، لحققوا سنة نبيهم ﷺ، ولجنوا فوائد الصيام الصحية. ولنتذكر أن العبرة في نوع الطعام وليس في كميته، فرب وجبة صغيرة حوت المواد السكرية والمعادن والفيتامينات كالتمر، مع قليل من الخبز أو الحليب أو اللحوم عادت على الصائم بالصحة، وأمدته بالقوة أكثر من وجبة مكتظة بأصناف الأطعمة الدسمة أو المقبلة، تعسر الهضم، وتسيء إلى المعدة والكبد فتسمم الجسم، وقد أخبرنا نبينا ﷺ أنه: **«ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه»**[1].

قال ابن القيم: «وفي فطر النبي ﷺ من الصوم عليه، أو على التمر، أو الماء تدبير لطيف جدًا، فإن الصوم يُخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيء وصولاً إلى الكبد، وأحبه إليه، ولا سيما إن كان رطبًا، فيشتد قبولها له، فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن، فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن، فحسوات الماء تطفئ لهيب المعدة، وحرارة الصوم، فتتنبه بعده للطعام، وتأخذه بشهوة».

وفائدة السكاكر الموجودة في التمر لا تنحصر في منح الحرارة والقدرة والنشاط بل إنها مدرة للبول تغسل الكلى وتنظف الكبد. والتمر يحوي أليافًا (سللوزية) تكسبه الشكل الخاص به، وتساعد هذه الألياف الأمعاء على حركاتها الاستدارية وبذلك تجعل التمر مليناً طبيعيًا ممتازًا، يستطيع من اعتاد على تناوله يوميًا أن ينجو من حالات القبض المزمن.

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٣٩ .

وأخيرًا فإن الرطب والتمر مفيد للمرأة النفساء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[١]، قال العلماء: ليس للنفساء خير من الرطب أو التمر. وقيل: لو علم الله أن شيئًا للنفساء خير من الرطب لأمر مريم به. وقد جاءت الأبحاث الطبية لتكشف عن آثار الرطب التي تعادل آثار العقاقير الميسرة لعملية الولادة التي تكفل سلامة الأم والجنين معًا، فهو يقوم بدور الهرمونات التي يصفها الطبيب. ويقرر العلماء أن بالرطب هرمونًا سموه «اليتوسين» الذي يعمل على تقوية عضلات الرحم وينظم الانقباضات العضلية. وقد وجد أن من خصائص هذا الهرمون أنه يمنع النزيف عقب الولادة، ويقي من حمى النفاس، وهي من أهم المخاطر التي قد تعقب عملية الولادة.

وبعد، فإن طعامًا هذا شأنه فجدير أن لا يخلو بيت منه، إذ في التمر معظم المعادن والفيتامينات التي يحتاج إليها الجسم بحيث يمكن للإنسان - في بعض الظروف التي لا تتوفر فيها أطعمة أخرى - أن يكتفي بالتمر غذاءً له، وكان أهل بيت رسول الله ﷺ تمر عليهم الشهور وليس عندهم طعام سوى التمر، وتقول عائشة رضي الله عنها لابن أختها أسماء: «**ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أُوقِدَت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقلت: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء**»[٢]. وعنها قالت: «**ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر**»[٣]، ففيه إشارة إلى أنهم ربما لم يجدوا في اليوم إلا أكلة واحدة، فإن وجدوا أكلتين فإحداهما تمر.

ولهذا فإن البيت الذي يوجد فيه تمر لا يجوع أهله، كما قال النبي ﷺ: «**لا يجوع أهل بيت عندهم التمر**»[٤]، وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: «**يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياع أهله، يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياع أهله» أو «جاع أهله» قالها مرتين أو ثلاثًا**»[٥].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، وفضلها، والتحريض عليها.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب ادخار التمر ونحوه للعيال.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب ادخار التمر ونحوه للعيال.

يحب النبي ﷺ الدباء (القرع)[(١)]

عن أنس قال: «**كان النبي ﷺ يحب القرع**»[(٢)]. وعنه: «**أن رسول الله ﷺ أتى مولى له خياطًا، فأتى بدبَّاء فجعل يأكله، فلم أزل أحبه منذ رأيت رسول الله ﷺ يأكله**»[(٣)].

الدباء هو القرع وهو اليقطين. قال النووي: فيه فضيلة أكل الدباء وأنه يُستحب أن يحب الدباء، وكذلك كل شيء كان رسول الله ﷺ يحبه وأنه يحرص على تحصيل ذلك.

قال ابن القيم: «يقطين: وهو الدباء والقرع.. وهو لطيف مائي يغذو غذاءً رطبًا بلغميًا، وينفع المحرورين، ولا يلائم المبرودين، ومَن الغالب عليهم البلغم، وماؤه يقطع العطش، ويُذهب الصداع الحار إذا شرب أو غسل به الرأس، وهو مليِّن للبطن كيف استعمل، ولا يتداوى المحرورون بمثله، ولا أعجل منه نفعًا.

ومن منافعه: أنه إذا لُطخ بعجين، وشُوي في الفرن أو التنور، واستخرج ماؤه وشُرب ببعض الأشربة اللطيفة، سكَّن حرارة الحمى الملتهبة، وقطع العطش، وغذى غذاءً حسنًا، وإذا شُرب بترنجبين وسفرجل مربًّى أسهل صفراء محضة.

وإذا طُبخ القرع، وشُرب ماؤه بشيء من عسل، وشيء من نطرون، أحدر بلغمًا ومرة معًا، وإذا دُق وعُمل منه ضماد على اليافوخ، نفع من الأورام الحارة في الدماغ.

وإذا عُصرت جُرادته [قشره]، وخُلط ماؤها بدهن الورد، وقطر منها في الأذن، نفعت من الأورام الحارة، وجرادته نافعة من أورام العين الحارة، ومن النقرس الحار، وهو شديد النفع لأصحاب الأمزجة الحارة والمحمومين.. وبالجملة فهو من ألطف الأغذية، وأسرعها انفعالاً».

اليقطين أو القرع، نبات ينتسب إلى فصيلة الكوسة نفسها، وهو يفوقها في قدرته الغذائية؛ لأنه مصدر جيد للفيتامين (آ) ويحتوي على ٩٠،٧٪ من وزنه ماء، و

---

(١) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٤/٤٠٤-٤٠٥، شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/٢٢٤، الغذاء لا الدواء لصبري القباني ٢٣٧.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٦٧١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الدباء.

٠،٠٢٪ دسم، و ١،١٪ بروتين، وعلى مواد نشوية ٦،٤٥٪، و ١،٧٣٪ رماد، كما يحتوي على الحديد والكلس بمقادير أعلى مما هو موجود في الكوسة. وأهم ما يستفاد من اليقطين، تناول بذوره لطرد الدودة الوحيدة من الأمعاء.

يعجب النبي ﷺ المرق

عن أنس بن مالك قال: «**كان رسول الله ﷺ يعجبه الثُفْل**»[١]. قال عباد: يعني المرق. وقيل: هو الثريد.

المرق[٢]:

المرق هو الحساء أو (الشوربة) بالفارسية ويُصنع من أطعمة مختلفة كاللحوم والخضار. وقد كان رسول الله ﷺ يحب المرق، وفي حديث جابر بن عبد الله في صفة الحج: «**ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجُعِلت في قدر فطُبِخت فأكلا من لحمها وشربا من مَرَقِها**»[٣]، وقال ﷺ: «**وإذا اشتريت لحماً، أو طبخت قِدْرًا فأكثر مرقته، واغرف لجارك منه**»[٤].

فالحساء أصبح شرابًا معروفًا عند معظم الأمم، ولا تكاد مائدة طعام تخلو من الحساء، بل إن كثيرًا من المجتمعات تستهل طعامها بالحساء خاصة في وجبة العشاء لحرارتها، ولاحتوائها على الأملاح والتوابل. فهي بذلك تنبه الغشاء المخاطي للمعدة، وهذا يؤدي إلى إفراز العصارة المعدية الهاضمة، وبالنتيجة فهي تُقَدم كمادة مشهية ومقبلة.

ومن فوائد المرق الصحية أن الأطباء ينصحون مرضاهم بتناول الحساء إذا ما أُصيب هؤلاء المرضى بالحميات أو بأمراض جهاز الهضم؛ لأن الأمعاء تتعطل أثناء المرض عن القيام بوظيفتها، فيقوم آنذاك المرق بمهمة تنبيه غشاء المعدة المخاطي وبمهمة التغذية السهلة بالتدرج.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٣٢٣٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) راجع: الغذاء لا الدواء ٥٠٨-٥١٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٩٦.

إن الناس في جميع الأقطار ينفقون مبالغ طائلة في كل عام لشراء المسهلات، ولو عقلوا لأدركوا أن هذه المسهلات لا تنفعهم بالقدر الذي ينفعهم فيه الحساء المكون من الخضروات.

ويعد طبق حساء الخضروات من مصادر التغذية الرئيسة التي تبني الجسم وتمده بالصحة والنضارة. وبالرغم من ذلك نجد أن الكثيرين يعرضون عن حساء الخضروات لعدة أسباب، فهي قد تبدو خفيفة أو سيئة الطعم لا تستهوي حاسة الذوق، وهنالك عدة عوامل لها مساس بالموضوع وهي نوع الخضروات المستعملة والتوابل وطريقة الطهو وطريقة التقديم.

وقد كان النبي ﷺ يحب أيضًا مرق الخضروات خاصة الدباء وهو القرع أو الياقطين، فعن أنس بن مالك: **«أن خياطًا دعا النبي ﷺ لطعام صنعه، فذهبت مع النبي ﷺ، فقرَّب خبز شعير، ومرقًا فيه دُبَّاء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبَّع الدباء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ»**(١).

الثريد:

الثريد هو أن يثرد الخبز بمرق اللحم، وقد يكون معه اللحم، وهو أفضل طعام العرب، ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين، وربما كان أنفع وأقوى من نفس اللحم النضيج إذا ثرد بمرقته، قال رسول الله ﷺ: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**(٢)، وفضل الثريد على غيره إنما هو لسهولة مساغه وتيسر تناوله وكان يومئذ جل طعامهم. وقال ﷺ: **«البركة في ثلاثة: في الجماعة، والثريد، والسحور»**(٣).



(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب المرق.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الثريد.
(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٨٨٢.

يحب النبي ﷺ الحلواء والعسل

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يحب الحَلواءَ والعسل**»(١).

لقد كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل فهي من جملة الطيبات المذكورة في قول الله تعالى: ﴿**كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾(٣).

قال الخطابي وتبعه ابن التين: لم يكن حبه ﷺ لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس إليها، وإنما كان ينال منها إذا أُحضرت إليه نيلاً صالحًا فيعلم بذلك أنها تعجبه(٤).

الحلواء:

الحلواء هو كل طعام حلو، ويدخل في ذلك كل الحلويات المعروفة كالكنافة والبقلاوة والمعمول ونحوها من أنواع الحلويات العربية والشرقية وغيرها، أما الحلوى التي كان يحبها النبي ﷺ فهي المجيع وهو تمر يعجن بلبن.

العسل(٥):

هو الشراب الذي يخرج من بطون النحل، الذي فيه شفاء للناس، قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الحلوى والعسل.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢ .

(٤) فتح الباري ٥٥٧/٩.

(٥) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٤٠/١٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٩/١٠، ١٥٧/١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٩/٤، وزاد المعاد لابن القيم ٣٤/٤-٣٦، والطب النبوي للذهبي ١٥٢، ومعجزة الشفاء لأبي الفداء محمد عزت عارف ٢٥ وما بعدها، والغذاء لا الدواء لصبري القباني ٤٢٧ وما بعدها.

(٦) سورة النحل، الآيتان: ٦٨-٦٩.

للعسل ألوان وأنواع مختلفة من الأحمر والأبيض والأصفر والجامد والسائل، فالقدرة نوعته بحسب تنويع الغذاء، كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي. وفي العسل شفاء للناس فقد قال رسول الله ﷺ: **«الشفاء في ثلاثة: في شَرْطَةِ مِحْجَم، أو شَرْبَةِ عسلٍ، أو كَيَّة بنار. وأنهى أُمَّتي عن الكَي»**[1]. ويجب على المسلم أن يؤمن بذلك حتى ينتفع به، فإن الإيمان بعلاج ما لهو من أكبر العوامل في التأثير على المرض وشفائه.

فليس طب النبي ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل. ولا يُنكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور - إن لم يتلق هذا التلقي - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا إلى رجسهم، ومرضًا إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله.

وفي العسل كذلك منافع كثيرة جدًا، وقد لخص المتقدمون منافعه فقالوا: يجلو الأوساخ التي في العروق والأمعاء، ويدفع الفضلات، ويغسل خمل المعدة، ويسخنها تسخينًا معتدلاً، ويفتح أفواه العروق، ويشد المعدة، ويفتح سدد الكبد والكلى والمثانة والمنافذ، وفيه تحليل للرطوبات أكلاً وطلاء وتغذية، وفيه حفظ المعجونات وإذهاب لكيفية الأدوية المستكرهة، وتنقية الكبد والصدر، وإدرار البول والطمث، ونفع للسعال الكائن من البلغم، ونفع لأصحاب البلغم والأمزجة الباردة. وإذا أضيف إليه الخل نفع أصحاب الصفراء. ثم هو غذاء من الأغذية، ودواء من الأدوية، وشراب من الأشربة، وحلوى من الحلاوات، وطلاء من الأطلية، ومفرح من المفرحات، ومن منافعه أنه إذا شرب حارًا بدهن الورد نفع من نهش الحيوان، وإذا شرب وحده بماء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث.

نفع من عضة الكلب الكلِب، وإذا جعل فيه اللحم الطري حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك الخيار والقرع والباذنجان والليمون ونحو ذلك من الفواكه، وإذا لطخ به البدن للقمل قتل القمل والصئبان، وطول الشعر وحسنه ونعمه، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر، وإن استن به صقل الأسنان وحفظ صحتها. وهو عجيب في حفظ جثث الموتى فلا يسرع إليها البلى، وهو مع ذلك مأمون الغائلة قليل المضرة، فما خُلق لنا شيء في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريبًا منه، ولم يكن يعول قدماء الأطباء في الأدوية المركبة إلا عليه، ولا ذكر للسكر في أكثر كتبهم أصلاً.

وكما أن الدواء يجب أن يكون له مقدار، وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه، لم يُزل بالكلية، وإن جاوزه، أوهى القُوى، فأحدث ضررًا آخر، فكذلك العسل لا بد من أن يكون له مقدار وتكرار بحسب الحال، واعتبار مقادير الأدوية، وكيفياتها، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب.

أما عند المتأخرين وفي العصر الحديث فقد اكتشف صدق المتقدمين فيما ذكروه عن حفظ العسل لجثث الموتى، فقد عثر على جثة طفل مغمورة في إناء مملوء بالعسل وذلك في هرم من أهرام الفراعنة بمصر، وهذه آية على ما في العسل من أسرار عجيبة جعلت جثة هذا الطفل خلال أربعة آلاف وخمس مئة سنة لا تتعفن ولا تعطب وذلك بأمر الله الذي أودع شفاء في العسل. وقد وجد العسل، وآثاره، في كثير جدًا من الحفريات الأثرية في مدن الفراعنة المندثرة، ومن العجيب أنه على الرغم من مضي آلاف السنين على وجود ذلك العسل فقد تبين أنه ظل سليمًا لم يطرأ عليه أدنى تحول إلا ميل لونه إلى السواد. كما أن التحريات الأثرية وجدت برميلاً يحوي ملاعق لم يذهب عنها أثر العسل، الأمر الذي يدل على أن فلاحي ذلك العهد كانوا يأكلون العسل يوميًا.

وقد ثبت علميًا ومعمليًا أن (البكتيريا) لا تعيش في العسل لاحتوائه مادة (البوتاس) وهي التي تمنع عن (البكتيريا) الرطوبة التي هي مادة حياتها.

والعسل غذاء حي، استمد وجوده من الأزهار والنباتات وإشعاعات الشمس والهواء، وأنواعه تختلف باختلاف المنطقة التي يجني منها النحل رحيقه، فالرحيق

الذي يجنيه النحل من الغابات له قدرة خاصة على معالجة الآفات الصدرية، والعسل المسمى (من كل الأزهار) هو النوع الأكثر انتشارًا من أنواع العسل، والعسل الذي ينتجه النحل في الربيع هو أجود وأزكى رائحة وطعمًا من العسل المجني في الصيف؛ لأن النحل يكون قد أصيب بالتعب لما بذل من مجهود خلال الربيع، فلا يتخير الأزهار كما يفعل أيام الربيع.

يتركب العسل من:

ماء ٠٩ , ١٦٪	(بروتين) ٣ , ٠٪	سكر فواكه ٤١٪
سكر عنب (غلوكوز) ٣٤٪	سكر قصب ٩ , ١٪	(نتروجين) ٠٤ , ٠٪
مواد غير معينة ٤٣ , ٣٪	رماد ٨١ , ٠٪	(دكسترين) ٧ , ١٪

وتوجد في العسل فيتامينات قد تكون هي كل ما يحتاج إليه جسم الإنسان من فيتامينات وهي: أ، ب١، ب٢، ب٣، ب٥، ب٦، د، ك، و، هـ، وهذه الفيتامينات أقوى وأنقى الفيتامينات التي يحتاج إليها الجسم ويمتصها بسهولة خلال ساعة من تناول العسل خلافًا للفيتامينات المتوافرة والمتفرقة في مأكولات أخرى، وهي أبطأ وأضعف من فيتامينات العسل.

والعسل غني بالمعادن والأملاح مثل: الحديد والكبريت والمغنسيوم والفوسفور والكالسيوم واليود والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والنحاس والكروم والنيكل والرصاص والسيليكا والمنغنيز والألمونيوم واليورون والليتوم والقصدير والخارصين والتيتان، والعجيب أن هذه من مكونات التراب الذي منه خُلق الإنسان. ويوجد بالعسل خمائر وأحماض مهمة جدًا لجسم الإنسان وحياته وحيويته، ويوجد به هرمونات قوية منشطة فعالة؛ ولذلك وجد به مضادات حيوية تقي الإنسان من كافة الأمراض وتفتك بأعتى الجراثيم والميكروبات، واكتشف أن بالعسل مادة (الدوتوريوم) هيدروجين ثقيل المضاد للسرطان.

وهذه بعض الأمراض التي يعالجها العسل:

الحساسية، جمال المرأة وبهاء الوجه، الجروح، الحروق، قتل القمل وبيضه، الأرق، الأمراض النفسية والجنون، الصرع، جميع أمراض العيون، الحموضة،

الإسهال، الإمساك، التقيؤ، القرحة، الأمراض الصدرية، البخر (رائحة الفم)، بحة الصوت، الانفلونزا، القوباء، آلام اللثة وتقوية الأسنان، الدوالي، القروح المتعفنة والغرغرينا، الأورام الخبيثة، الربو، السل الرئوي، تقوية عضلة القلب، التهابات عضلة القلب والرعشة، لغط القلب، التهابات الفم وأورام اللسان، أمراض الأذن وآلامها، الروماتزم، الاستسقاء، الثعلبة، الثآليل، الحصوة الكلوية، جميع أمراض الكبد، للقوة والحيوية والشباب، أمراض النساء والولادة، للقوة الجنسية، العقم، السرطان، البرص والبهاق، السموم، البروستاتا، الإيدز.

وإذا كان هذا هو شأن العسل في الدنيا فهو جدير أن يكون في الآخرة طعام أهل الجنة فيجعل الله فيها أنهارًا من العسل كما قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[1] . مصفى من الشمع والقذى، خلقه الله كذلك لم يطبخ على نار ولا دنّسه النحل، في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح. وقال ابن عباس: «من عسل مصفى» أي لم يخرج من بطون النحل.



أحب الشراب إلى النبي ﷺ الحلو البارد[2]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ: الحلو البارد**». وسئل النبي ﷺ: أي الشراب أطيب؟ قال: «**الحلو البارد**»[3].

قال القاري: ومعنى أحب: ألذ؛ لأن ماء زمزم أفضل، وكذا اللبن عنده أحب، اللهم إلا أن يراد هذا الوصف على الوجه الأعم فيشمل الماء القراح واللبن والماء المخلوط به أو بغيره كالعسل أو المنقوع فيه تمر أو زبيب، وبه يحصل الجمع بينه وبين ما رواه أبو نعيم في الطب عن ابن عباس: كان أحب الشراب إليه اللبن. وما أخرجه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن عائشة رضي الله تعالى عنها: كان أحب الشراب إليه العسل.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٥.

(٢) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٤/٢٢٤-٢٢٨، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٤٥.

لقد كان أحب الشراب إلى النبي ﷺ الحلو البارد، وهذا يشمل أنواعًا كثيرة مما يُشرب، كالماء العذب من العيون والآبار الحلوة، وكعصير الفاكهة، ومنقوع الثمار الحلوة، واللبن والعسل وغير ذلك، وهذه إذا كانت باردة كان طعمها أطيب، ومذاقها ألذ، والنفس تتقبلها وتستمتع بها وتطلب المزيد منها، والماء إذا كان باردًا وخالطه ما يُحليه كالعسل أو الزبيب أو التمر أو السكر؛ كان من أنفع ما يدخل البدن، وحفظ عليه صحته، على العكس مما لو كان ذلك غير بارد؛ والنبي ﷺ **«كان يكره شرب الحميم»**[1] وهو الشيء الحار فهو عكس البارد الذي يحبه، والماء الفاتر ينفخ، ويفعل ضد هذه الأشياء.

وللشراب الحلو البارد فوائد صحية متعددة؛ فعلى سبيل المثال يذكر ابن القيم أن شرب العسل الممزوج بالماء البارد يذيب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر أو أكثرها.

ويقول بأن الشراب إذا جمع وصفي الحلاوة والبرودة، فمن أنفع شيء للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة، وللأرواح والقوى، والكبد والقلب، عشق شديد له، واستمداد منه، وإذا كان فيه الوصفان، حصلت به التغذية، وتنفيذ الطعام إلى الأعضاء، وإيصاله إليها أتم تنفيذ.

والماء البارد رطب يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية، ويرد عليه بدل ما تحلل منه، ويُرقِّق الغذاء ويُنفذه في العروق.

ولما كان الشراب الحلو البارد من النعم العظيمة على الإنسان ومن الأشياء التي تحبها النفس السوية، فقد جعله الله عز وجل جزاءً لأهل الجنة؛ حيث متَّعهم بأنواع المشارب الحلوة الباردة بل جعلها لهم أنهارًا في الجنة يشربون منها متى أرادوا؛ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[2].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٧٣٥٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٥.

ما يكره النبي ﷺ من الطعام والشراب

لقد كان هدي النبي ﷺ وعادته في الطعام أنه كان إذا أحب طعامًا مباحًا أكله، وإذا كره طعامًا تركه ولم يعيبه. أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، فعن أبي هريرة قال: **«ما عَابَ النبي ﷺ طعامًا قطُّ: إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»**(١).

فما لا يشتهيه إنسان من طعام ما فسوف يشتهيه إنسان آخر، ويجده طيبًا لذيذًا. ولهذا كان من آداب الطعام المتأكدة ألا يعاب، كقوله: ليس طيبًا أو أنه مالحًا أو قليل الملح أو حامضًا أو غليظًا أو رقيقًا أو غير ناضج ونحو ذلك، وكذلك لا يعاب بالإشارة أو بحركات الوجه وغير ذلك، فإن في ذلك كسر قلب صانع الطعام، بل يستحسن له أن يقول بأنه لا يشتهيه. قال ابن بطال: هذا من حسن الأدب؛ لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب(٢).

يكره النبي ﷺ ريح الثوم:

عن أبي أيوب الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتِيَ بطعام أكل منه وبعث بفضله إليَّ، وإنه بعث إليَّ يومًا بفضلة لم يأكل منها؛ لأن فيها ثومًا، فسألته: أحرام هو؟ قال: **«لا ولكني أكرهه من أجل ريحه»** قال: فإني أكره ما كرهت(٣).

لقد كان رسول الله ﷺ دائم الصلاة في المسجد، وكان كذلك يناجي الملائكة الذين يحبون الرائحة الطيبة ويتأذون من الرائحة الخبيثة؛ ولهذا كان ﷺ يكره رائحة الثوم والبصل والكراث ويترك أكل هذه البقول دائمًا؛ لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة؛ فعن جابر بن عبد الله أنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بِقِدْرٍ فيه خَضِرات من بُقُولٍ فوجد لها ريحًا، فسأل، فأُخْبِر بما فيها من البُقُول، فقال: **«قرِّبُوها»** - إلى بعض أصحابه كان معه - فلما رآه كَرِهَ أكْلَها قال: **«كُلْ، فَإِنِّي أُناجي مَن لا تُنَاجي»**(٤). وعن أم أيوب: أن النبي ﷺ نزل عليهم فتكلفوا له طعامًا فيه من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعامًا.
(٢) فتح الباري ٥٤٨/٩.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، إباحة أكل الثوم.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث.

بعض هذه البقول فكره أكله فقال لأصحابه: **«كُلوه فإني لست كأحدكم إني أخاف أن أوذيَ صاحبي»**[١]. بعض هذه البقول أي من الثوم والبصل والكراث، وصاحبي أي جبريل عليه السلام.

ولم يكن ﷺ يكره هذه الأشياء لذاتها وإنما كان يكره ريحها فحسب؛ ولهذا لم يحرمها على الناس وإنما نهى من أكل منها أن يأتي إلى المسجد حتى لا يؤذي الملائكة التي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم؛ فقال ﷺ: **«مَن أكل من هذه البقلة الثوم»** وقال مرة: **«مَن أكل البصل والثوم والكُرَّاث فلا يَقْرَبَنَّ مسجدنا فإنَّ الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدم»**[٢]. وقال ﷺ: **«مَن أكل ثومًا أو بصلاً فلْيَعْتَزِلْنَا - أو قال - فليَعْتَزل مسجدنا ولْيَقْعُدْ في بيته»**[٣].

وهذه البقول من الأكل المباح وقد أُكلت بحضرة النبي ﷺ كما مرَّ ذكره، وإذا كان النهي عن دخول المسجد لمن أكل منها لأجل رائحتها التي ستخرج من فمه فإن العلماء ألحقوا بها كل ما له رائحة من المأكولات وغيرها، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لأطعمة مباحة، فلا شك أن رائحة الدخان ليست نتنة وكريهة فحسب بل ربما تصيب غير المدخن بغثيان ودوخة وتؤذيه أشد الإيذاء، وهو فوق هذا محرَّم عند جماعة من العلماء، وأقله مكروه عند بعض آخر.

يكره النبي ﷺ شرب الحميم:

إن النبي ﷺ **«كان يكره شرب الحميم»**[٤]، وهي المشروبات الحارة من ماء وغير ذلك، فقد يشرب الإنسان شيئًا حارًا فيحرق لسانه ويؤلم معدته وليس في ذلك استمتاع بل فيه تعذيب وإضرار؛ ولهذا كان الماء الحميم أحد أنواع تعذيب الكفار الخالدين في النار؛ قال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٥].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب نهي آكل الثوم والبصل ونحوهما عن حضور المسجد.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٧٣٥٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٥.

وقد كان النبي ﷺ يكره شرب الحميم؛ لأنه كان يحب ما هو عكس ذلك وهو الشراب البارد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ: الحلو البارد»**(١).

يكره النبي ﷺ الأخذ من رأس الطعام:

عن سلمى قالت: **«كان يكره أن يؤخذ من رأس الطعام»**(٢).

كان النبي ﷺ يكره أن يؤكل من رأس الطعام أو من وسط القصعة وكان ينهى عن ذلك ويأمر بالأكل من جوانب القصعة، قال ﷺ: **«إن البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه»**(٣)، وفي رواية: **«كلوا في القصعة من جوانبها، ولا تأكلوا من وسطها، فإن البركة تنزل في وسطها»**(٤).

إن وسط الطعام هو أعدل المواضع فكان أحق بنزول البركة فيه. وفي الحديث مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه. قال الرافعي وغيره: يكره أن يأكل من أعلى الثريد ووسط القصعة وأن يأكل مما يلي أكيله، ولا بأس بذلك في الفواكه، وتعقبه الإسنوي بأن الشافعي نص على التحريم فإن لفظه في الأم: فإن أكل مما لا يليه أو من رأس الطعام أثم بالفعل الذي فعله إذا كان عالمًا. واستدل بالنهي عن النبي ﷺ وأشار إلى هذا الحديث. قال الغزالي: وكذا لا يأكل من وسط الرغيف بل من استدارته إلا إذا قل الخبز فليكسر الخبز، والعلة في ذلك ما في الحديث من كون البركة تنزل في وسط الطعام(٥).



---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٤٥.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٠٠٨.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٧٤.
(٤) مسند أحمد، رقم: ٢٤٣٩، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٥) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٥/٤٢٧ .

ما يحب النبي ﷺ وما يكره من اللباس

تمهيد:

قال الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**﴾(٢).

لقد نهى الله عز وجل عن التعري وأمر بستر العورات فقال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا**﴾(٣)، وأحلَّ الله لعباده اتخاذ الملبس الحسن إذا قدر عليه صاحبه. فاللباس زينة وجمال والله جميل يحب الجمال ويحب أن يُرى أثر نعمته على عبده. وقد حث الإسلام على النظافة وحسن الهيئة وارتداء الملابس الجديدة والتطيب خاصة في الجُمَع والأعياد، وعند لقاء الناس وزيارة الإخوان، ومن عادة المسلمين أنهم إذا تزاوروا تجمَّلوا.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(٤). فالله عز وجل يحب التجمل حتى في اللباس ولا يحب البؤس والتباؤس وهو إظهار الفقر وارتداء الملابس الرثة والبالية والممزقة والخشنة؛ وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال؟**» فقال: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ: «**فلْيُرَ عليك**»(٥)؛ أي فليُبْصَر وليَظْهَر. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فليُرَ عليك، فإن الله يحب أن يُرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس والتباؤس**»(٦).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر.
(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.
(٦) صحيح الجامع، رقم: ٢٥٥.

وكان رسول الله ﷺ يحث على لبس البياض من الثياب ويقول ﷺ: «**البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم**»[1]، وفي رواية أخرى: «**البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم**»[2]. وكما هو معروف فإن اللباس الأبيض أكثر تأثرًا بالأوساخ من اللباس الملون، فيكون أكثر غسلاً منها فتكون أطهر وأنظف. واللون الأبيض أيضًا هو لون الطهارة والنقاء والسلام..

وإذا كان الإسلام يحث على التجمل والتزين ولبس الثياب النظيفة الجديدة فإنه ينهى عن الإسراف في ذلك، والله عز وجل لا يحب المسرفين، كذلك نهى عن الخيلاء وهو التكبر، فقال النبي ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة**»[3]. وقال ﷺ: «**لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خُيلاء**»[4]. ونهى النبي ﷺ أن تطول ثياب الرجل عن الكعبين فقال ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[5]، أما المسبل وهو الذي يطيل ثيابه إلى ما أسفل من الكعبين فقد أخبر النبي ﷺ بأن الله لا يحبه، «**لا تسبل فإن الله لا يحب المسبلين**»[6]، بل هو على خطر عظيم في الآخرة «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[7].

وعلى العكس من ذلك فقد أمر ﷺ أن تكون ثياب النساء طويلة شبرًا أو ذراعًا إلى ما أسفل من القدمين حتى لا تتكشفا.

وقد حرَّم الإسلام الحرير على الرجال وأباحه للنساء فقال ﷺ: «**حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحل لإناثهم**»[8].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٧٩٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار.

(٦) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٨٧٦.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٨) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٠٤.

وكان من سنة النبي ﷺ عند ارتدائه الثياب والنعال البدء باليمنى وعند الخلع البدء باليسرى، وكان ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه: عمامة، أو قميصًا، أو رداءً. ثم يقول: **«اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»**. قال أبو نضرة: فكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا قيل له: تُبْلي ويُخْلِفُ الله تعالى[1]، وقال ﷺ: **«من لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورَزَقَنِيهِ من غير حول مني ولا قوة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر»**[2].

وكان هدي النبي ﷺ في لبسه لما يلبسه أنفع شيء للبدن، فإنه لم يكن يطيل أكمامه ويوسعها، كما يشاهد عند بعض الناس خاصة القرويين، بل كان كم قميصه إلى الرسغ لا يجاوز اليد فتشق على لابسها وتمنعه خفة الحركة والبطش، ولا تقصر عن هذه فتبرز للحر والبرد، وكان ذيل قميصه وإزاره إلى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويعرقله، ولم يقصر عن عضلة ساقيه فتنكشف ويتأذى بالحر والبرد، ولم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي الرأس حملها ويضعفه ويجعله عرضة للضعف والآفات، كما يشاهد من حال أصحابها، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد، بل وسطًا بين ذلك، وكان يدخلها تحت حنكه، وفي ذلك فوائد متعددة: فإنها تقي العنق الحر والبرد، وهو أثبت لها، ولا سيما عند ركوب الخيل والإبل، والكر والفر[3].

وقد كان رسول الله ﷺ يحب أنواعًا معينة من الثياب، وفيما يلي الثياب التي ورد في الأحاديث أنه يحبها.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٩٣.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٩٤.

(٣) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٤/٢٣٧-٢٣٨.

ما يحب النبي ﷺ من اللباس

يحب النبي ﷺ القميص:

عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «**كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ: القميص**»(١). و«**كان رسول الله ﷺ إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه**»(٢). والقميص اسم لما يلبس من المخيط الذي له كمان وجيب. ويعرف اليوم بأسماء مختلفة باختلاف البلدان ومن أسمائه: الثوب، الدشداشة، البرنس، الجلابية.

وكانت نفس النبي ﷺ تميل إلى لبسه أكثر من غيره من نحو رداء أو إزار؛ لأنه أستر منهما ولأنهما يحتاجان إلى الربط والإمساك بخلاف القميص؛ لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، بخلاف ما يلبس فوقه من الدثار، ولا شك أن كل ما قرب من الإنسان كان أحب إليه من غيره؛ ولأنه أقل مؤنة وأخف على البدن؛ ولأن لبسه أكثر تواضعاً. وإنما سمي القميص قميصاً؛ لأن الآدمي يتقمص فيه، أي يدخل فيه ليستره(٣).

وقد ورد ذكر القميص في القرآن فقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً**﴾(٤).

يحب النبي ﷺ الحبرة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة**»(٥). قيل: الحبرة برد يماني. وقيل: موشية مخططة. وقيل: لونها أخضر؛ لأنها من لباس الجنة. وقيل: هي من برود اليمن تصنع من قطن، وكانت أشرف الثياب عندهم. وقيل: سميت حبرة؛ لأنها تحبر أي تزين، والتحبير التزيين والتحسين.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٩٦.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٤٥.
(٣) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ٤٧/١١، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٧٢/٥.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٣.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشَّملة.

قال الطيبي: والحبرة خبر كان، وأن يلبسها متعلق أحب؛ أي كان بأحب الثياب إليه لأجل اللبس الحبرة لاحتمالها الوسخ أو لينها وحسن انسجام نسجها وإحكام صنعتها وموافقتها لبدنه الشريف، فإنه كان بالغ النهاية في النعومة واللين، فالخشن يضره(١).

وعن عائشة رضي الله عنها: «**أن رسول الله ﷺ حين توفي سُجِي ببرد حبرة**»(٢). سُجِيَ: أي غُطِيَ.

ما يكره النبي ﷺ من اللباس

لقد كان رسول الله ﷺ يكره الإسراف في اللباس ويحب التواضع فيه، ولا يضيق بطلب النفيس والغالي، بل يستعمل ما تيسر. وقد أخرجت زوجه عائشة رضي الله عنها إزارًا غليظًا مما يُصنع باليمن وكساءً من التي يسمونها الملبَّدة، فأقسمت بالله أن رسول الله ﷺ قُبِضَ في هذين الثوبين(٣).

وإلى جانب تواضع النبي ﷺ في اللباس وعدم الإسراف فيه كان عليه الصلاة والسلام يكره أنواعًا معينة من اللباس.

يكره النبي ﷺ الحرير(٤):

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أهدي لرسول الله ﷺ فرُّوج حرير، فلبسه، ثم صلَّى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعًا شديدًا - كالكاره له - ثم قال: «**لا ينبغي هذا للمتقين**»(٥). لقد نزع النبي ﷺ هذا اللباس المصنوع من الحرير بعنف وقوة ومبادرة لذلك على خلاف عادته في الرفق والتأني؛ لأنه كره أن يلبس لباسًا لا ينبغي للمتقين أن يلبسوه؛ فلبس الحرير يناقض التقوى، ولا يلبسه في الدنيا إلا مستخف

---

(١) فيض القدير للمناوي ٥/٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشَّملة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس.

(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٠/٢٧٠-٢٧١، ٢٨٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب القباء وفروج حرير وهو القباء، ويقال هو الذي له شق من خلفه.

لا خلاق له في الآخرة؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة**»(١).

واسم التقوى يعم جميع المؤمنين، لكن الناس فيه على درجات، قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢)؛ فكل من دخل في الإسلام فقد اتقى، أي وقى نفسه من الخلود في النار، وهذا مقام العموم، وأما مقام الخصوص فهو مقام الإحسان كما قال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»(٣).

وقد حرَّم رسول الله ﷺ الحرير على الرجال وقال: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج**»(٤). وأخبر ﷺ بأن «**من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة**» (٥)؛ ذلك لأن الحرير هو لباس أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾(٧)؛ فجميع ما يلبسونه من فُرُشهم ولباسهم وستورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

يكره النبي ﷺ الديباج:

قال جابر بن عبد الله: لبس النبي ﷺ يومًا قباء من ديباج أهدي له، ثم أوشك أن نزعه فأرسل به إلى عمر بن الخطاب، فقيل له: قد أوشك ما نزعته يا رسول الله. فقال: «**نهاني عنه جبريل**» فجاءه عمر يبكي فقال: يا رسول الله؛ كرهت أمرًا وأعطيتنيه، فما لي؟ قال: «**إني لم أعطكه لتلبسه، إنما أعطيتكه تبيعه**» فباعه بألفي درهم(٨).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، وقدر ما يجوز منه.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضض.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، وقدر ما يجوز منه.
(٦) سورة الحج، الآية: ٢٣.
(٧) سورة الإنسان، الآية: ١٢.
(٨) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء.

فالنبي ﷺ يكره الديباج وهو من الحرير، وقد نهى عن لبسه كما نهى عن الحرير فقال ﷺ: **«لا تلبسوا الحرير ولا الديباج»**[١].

يكره النبي ﷺ اللباس المعصفر:

عن شعيب، عن أبيه، قال: هبطنا مع رسول الله ﷺ من ثنية، فالتفت إليَّ وعليَّ ريطة مضرجة بالعصفر، فقال: **«ما هذه الرَّيْطَةُ عليك؟»** فعرفت ما كره، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورًا لهم، فقذفتها فيه، ثم أتيته من الغد، فقال: **«يا عبد الله، ما فعلتِ الرَّيْطَةُ؟»** فأخبرته، فقال: **«ألا كسوتها بعض أهلك فإنه لا بأس به للنساء»**[٢].

لقد عرف الصحابي أن النبي ﷺ قد كره ما عليه من لباس مصبوغ بالعصفر فبادر من فوره للتخلص مما كرهه النبي ﷺ فألقاه في النار وأحرقه؛ لأنه لم يكن يعلم بعد أن اللباس المعصفر لا بأس به للنساء. وقد نهى ﷺ عن لباس المعصفر، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«نهاني رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب، وعن لباس القَسِّيِّ، وعن القراءة في الركوع والسجود، وعن لباس المعصفر»**[٣].

ولم يقبل رسول الله ﷺ بغسل اللباس المعصفر بل أمر بإحراقه، حيث قال عبد الله بن عمرو: رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: **«أأُمُّكَ أمرتك بهذا؟»** قلت: أغسلهما؟ قال: **«بل احرقهما»**[٤]؛ معناه أن هذا من لباس النساء وزيهن وأخلاقهن، وأما الأمر بإحراقها فقيل: هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل؛ فالثياب المعصفرة من لباس الكفار فنهى النبي ﷺ عن لبسها، إذ قال عبد الله بن عمرو إن رسول الله ﷺ لما رأى عليه الثوبين المعصفرين قال له: **«إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضض.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٣١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب اللباس، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب اللباس، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب اللباس، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.

وإلى جانب هذه الألبسة التي كان يكرهها النبي ﷺ هناك ألبسة أخرى لم يكن يحب أن يلبسها لبعض الأسباب:

لا يلبس النبي ﷺ الثوب المعلم[١]:

عن عائشة أن النبي ﷺ صلى في خميصة[٢] لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: «**اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانية[٣] أبي جهم، فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي**»، وعن عائشة قال النبي ﷺ: «**كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة فأخاف أن تفتنني**»[٤]، فقد بادر رسول الله ﷺ إلى التخلص من هذا اللباس المعلم لأجل مصلحة الصلاة، ونفي ما لعله يخدش فيها، ويستنبط منه كراهية كل ما يشغل عن الصلاة من الأصباغ والنقوش ونحوها، وفيه إيذان بأن للصور والأشياء الظاهرة تأثيرًا في القلوب الطاهرة والنفوس الزكية، فضلاً عمن دونها. وإذا كانت الصور تلهي المصلي وهي مقابله فكذلك تلهيه وهو لابسها بل حالة اللبس أشد.

لا يلبس النبي ﷺ ثوب الشهرة[٥]:

قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارًا**»[٦]؛ وقال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب: العالي والمنخفض. والشهرة ظهور الشيء، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس، لمخالفة لونه لألوان ثيابهم، فيرفع الناس إليه أبصارهم، ويختال عليهم بالعجب والتكبر؛ ولأنه قصد به الاختيال والفخر؛ عاقبه الله بنقيض ذلك فأذلَّه، كما عاقب من أطال ثيابه خُيلاء ومشى في حلة تعجبه نفسه بأن خسف به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١/٤٨٣.

(٢) خميصة: كساء مربع من صوف معلم.

(٣) أنبجانية: كساء غليظ لا علم له.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام، ونظر إلى علمها.

(٥) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١/٤٨٣.

(٦) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٩٠٦.

وكذلك لبس الدنيء من الثياب يُذَمُّ في موضع، ويُحمد في موضع، فيُذم إذا كان شهرة وخُيلاء، ويُمدح إذا كان تواضعًا واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يُذم إذا كان تكبرًا وفخرًا وخيلاء، ويُمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا لنعمة الله؛ لأن الله جميل ويحب الجمال.



ما يحب النبي ﷺ من الأشياء

ما يحب النبي ﷺ من الأشياء

يحب النبي ﷺ الطيب

قال رسول الله ﷺ: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم: النساء، والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[١].

الطيب[٢]:

لقد كان النبي ﷺ طيب الرائحة وهو مما أكرمه الله تعالى، وكانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيبًا، فعن جابر بن سمرة قال: **«صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله وِلْدَان فجعل يمسح خَدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدِّي، قال: فوجدت لِيَدِه برداً أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار»**[٣].

وكان النبي ﷺ يحب الرائحة الطيبة ويكره أن تصدر منه أي رائحة غير مستحبة، وعن عائشة **«أنها جعلت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف فذكر سوادها وبياضه، فلبسها فلما عرق، وجد ريح الصوف قذفها، وكان يحب الريح الطيبة»**[٤].

فقد كان عرقه ﷺ طيبًا ويكره أن يكون غير ذلك، قال أنس: **«ما شممت عنبراً قط، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ»**[٥]، بل كان عرقه أطيب الطيب وإذا أراد أحد أن يطيب طيبه فإنه يضع فيه عرق رسول الله ﷺ؛ ففي ذات يوم جاء النبي ﷺ إلى بيت أم سُلَيم والدة أنس بن مالك فنام ﷺ عندهم للقيلولة فعرق، قال أنس: «وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣١٢٤.

(٢) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٤/٢٧٨-٢٨٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٠، ٨٥، ٦/١٣٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب ريحه ﷺ ولين مسه.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٢٤٨٨٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به.

فقال: «**يا أم سُلَيم، ما هذا الذي تصنعين؟**» قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب»(١)، فكانت أم سُليم تجمع عرق النبي ﷺ في الطيب والقوارير لتتطيب به وتطيب به طيبها.

ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ يحب الطيب ويستعمله في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين.

قال ابن القيم: «لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب، وسائر الأعضاء الباطنية، ويُفرِّح القلب، ويسرُّ النفس ويبسط الروح، وهو أصدق شيء للروح، وأشده ملاءمة لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة. كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه.

وفي الطيب من الخاصية، أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر عنه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها، فالخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، وهذا وإن كان في النساء والرجال، فإنه يتناول الأعمال والأقوال، والمطاعم والمشارب، والملابس والروائح، إما بعموم لفظه، أو بعموم معناه».

إن حب الطيب من اعتدال المزاج وكمال الخلقة. وكان النبي ﷺ يحب الطيب لكونه يناجي الملائكة وهم يحبون الطيب ويتأذون من الرائحة الخبيثة؛ ولهذا نهى ﷺ عن الدخول إلى المسجد لمن أكل ثومًا أو بصلاً فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن أكل من هذه البَقلة الثوم**» وقال مرةً: «**من أكل البصل والثوم والكُرَّاثَ فلا يَقْرَبَنَّ مسجدنا فإنَّ الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدم**»(٢). ولكن النبي ﷺ لم يحرم أكل الثوم والبصل والكراث وإنما كان يمتنع عن أكلها؛ لأنه يناجي الملائكة التي تتأذى من

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي آكل الثوم والبصل ونحوهما عن حضور المسجد.

رائحتها؛ فعن جابر بن عبد الله زعم أنَّ النبي ﷺ قال: **«مَنْ أكل ثومًا أو بصلاً فَلْيَعْتَزِلْنا – أو قال – فَلْيَعْتَزِلْ مسجدنا ولْيَقْعُدْ في بيته»**. وأنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بِقِدْرٍ فيه خَضِرَات من بُقُولٍ فوجد لها ريحًا، فسأل، فأُخْبِرَ بما فيها من البُقُول فقال: **«قَرِّبوها»** – إلى بعض أصحابه كان معه – فلما رآه كره أكلها قال: **«كُل، فإني أُناجي من لا تُناجي»**(١).

وكان من حب النبي ﷺ للطيب أنه لا يرده، فعن أنس رضي الله عنه: **«أَنَّ النبي ﷺ كان لا يَرُدُّ الطِّيب»**(٢)، وقد ورد النهي عن رده مقرونًا ببيان الحكمة في ذلك إذ قال ﷺ: **«مَن عُرِض عليه طِيب فلا يرده، فإنه طيب الريح؛ خفيف المحمل»**(٣).

وكان النبي ﷺ يتطيب في أكثر أحيانه وكان يأمر بذلك، قال ﷺ: **«غُسْلُ يوم الجمعة على كل مُحْتَلِمٍ وسِوَاكٌ ويَمَسُّ من الطِّيبِ ما قَدَرَ عليه»** وقال في الطِّيب: **«ولو من طِيبِ المرأَة»**(٤)، فأباح للرجل هنا طيب المرأة للضرورة لعدم غيره وهذا يدل على تأكد الأمر في ذلك، فطيب المرأة ما ظهر لونه وخفي ريحه، وإذا أرادت المرأة الخروج إلى المسجد أو غيره كره لها كل طيب له ريح، أما طيب الرجال فهو ما ظهر ريحه وخفي لونه، ويتأكد استحباب الطيب للرجال يوم الجمعة والعيد عند حضور مجامع المسلمين ومجالس الذكر والعلم، وعند إرادة معاشرة زوجته ونحو ذلك.

أما أطيب الطيب فهو المسك، فقد قال رسول الله ﷺ: **«أطيبُ الطِّيبِ المسك»**(٥)، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء طيَّبت رسول الله ﷺ عند حُرْمِه قالَت: **«بأطيب الطِّيب»**(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب ما لا يرد من الهدية.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥١٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٠٣٢.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب الطيب قبل الإحرام.

يحب النبي ﷺ السواك

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إن من نِعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده السِّواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أُليِّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليَّنته فأمرَّه، وبين يديه ركوة - أو علبة يشك عمر - فيها ماء، فجعل يُدخِل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**». ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**»، حتى قُبِض ومالت يده»[١].

قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[٢]، وعن عامر بن ربيعة قال: «**رأيت النبي ﷺ يستاك وهو صائم ما لا أحصي أو أعد**»[٣].

السِواك[٤]:

هو العود الذي يُستخدم لتنظيف الفم والأسنان؛ يؤخذ من شجر الأراك وقد يؤخذ من أشجار أخرى إلا أن شجرة الأراك هي الأفضل. يتكون لبه من ألياف طولانية قاسية لا تتكسر بسرعة تحت الضغط، ومرنة تأخذ شكل الأسنان وتدخل بين فجواتها لتنظيفها. أما طبقته السطحية فهي غشاء فلِّيني يحفظ اللب ويحميه من التلوث. له رائحة خاصة وطعم حراق لوجود مادة به لها علاقة بالخردل، واستعماله مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا: عند الصلاة، والوضوء، وقراءة القرآن، والاستيقاظ من النوم، وتغير الفم وتغيره يكون بأشياء منها: ترك الأكل والشرب، أكل ما له رائحة كريهة، طول السكوت، كثرة الكلام.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب سواك الرَّطب واليابس للصائم.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب سواك الرَّطب واليابس للصائم.

(٤) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٤٢-١٤٤، وفتح الباري للعسقلاني ١/٣٥٦، ٢/٣٧٧، وفيض القدير للمناوي ٤/١٤٧-١٤٨، وشرح سنن النسائي للسيوطي ١/١٩-٢٠، ووفي الصلاة صحة ووقاية لفارس علوان ٥٣-٥٥.

ويستحب أن يستاك بعود من أراك وبأي شيء استاك مما يزيل التغير حصل السواك. والمستحب أن يستاك بعود متوسط لا شديد اليبس يجرح ولا رطب لا يزيل، وأن يقطع منه الجزء المستخدم ويشذب جزءًا جديدًا ويفضل أن يكون ذلك يوميًا.

والطريقة المثلى لتنظيف الأسنان بالسواك أو بغيره أن يستاك عرضًا بحركات متتابعة من الأعلى إلى الأسفل عند تنظيف أسنان الفك العلوي، ومن الأسفل إلى الأعلى للفك السفلي، فذلك يسهل جرف فضلات الطعام الموجودة بين فجوات الأسنان. ولا يستاك طولاً لئلا يدمي لثته؛ ولأن بنية الأسنان تتأثر وتتضرر بمرور الزمن إذا كانت حركة التنظيف أفقية.

ويستحب أن يمر السواك أيضًا على طرف أسنانه وكراسي أضراسه وسقف حلقه إمرارًا لطيفًا، ويستحب أن يبدأ في سواكه بالجانب الأيمن من فمه.

لقد ألح رسول الله ﷺ على استعمال السواك وتنظيف الفم والأسنان لأسباب كثيرة لم نفقه معظمها بعد، وكان ﷺ حريصًا جدًا على التسوك في الأوقات والحالات المختلفة:

أ- **عند الوضوء**: قال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**»[1]. قال أبو هريرة: لقد كنت أستن قبل أن أنام وبعد ما أستيقظ وقبل ما آكل وبعد ما آكل حين سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قال.

ب- **عند الصلاة**: قال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**»[2]. قال ابن دقيق العيد: السر في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة أنَّا مأمورون في كل حالة من أحوال التقرب إلى الله تعالى أن نكون في حالة كمال ونظافة إظهارًا لشرف العبادة. وكان زيد بن خالد يشهد الصلوات في المسجد وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب لا يقوم إلى الصلاة إلا استن ثم رده إلى موضعه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب سواك الرَّطب واليابس للصائم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة.

ج- **عند التهجد:** عن حذيفة رضي الله عنه «**أن النبي ﷺ كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه بالسواك**»[١]؛ والشوص الغسل والتنظيف والدلك، وقيل الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق. قال ابن دقيق العيد: فيه استحباب السواك عند القيام من النوم؛ لأن النوم مقتض لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، والسواك آلة تنظيفه فيستحب عند مقتضاه، قال: وظاهر قوله «من الليل» عام في كل حالة، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة.

د- **عند الدخول إلى البيت:** عن عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك**»[٢]؛ فيه بيان فضيلة السواك في جميع الأوقات وشدة الاهتمام به وتكراره. وقيل: الحكمة في ذلك أنه ربما تغيرت رائحة الفم عند محادثة الناس، فإذا دخل البيت كان من حسن معاشرة الأهل إزالة ذلك، وفي الحديث دلالة على استحباب السواك عند دخول المنزل.

هـ- **عند المرض:** عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستنُّ به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنَّ به وهو مستند إلى صدري**»[٣]. وفيه دلالة على تأكد أمر السواك لكونه ﷺ لم يخل به مع ما هو فيه من شاغل المرض.

وقد رئي النبي ﷺ يستاك في أوقات أخرى مختلفة؛ فعن أبي بردة عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ فوجدته يستن بسواك بيده يقول: «أُعْ، أُعْ» والسواك في فيه كأنه يتهوع[٤]. التهوع التقيؤ، أي له صوت كصوت المتقيئ على سبيل المبالغة. ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان طولاً، أما الأسنان فالأحب فيها أن تكون عرضًا، وفيه تأكيد السواك وأنه لا يختص بالأسنان، وأنه من باب التنظيف والتطيب لا من باب إزالة القاذورات، لكونه ﷺ لم يختف به.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب السواك.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب السواك.

وظل النبي ﷺ يردد وصاياه بالسواك حتى خشي أن يكون قد أكثر على أصحابه فقال ﷺ: «**أكثرت عليكم في السواك**»(١). أي بالغت في تكرير طلبه منكم، أو في إيراد الأخبار في الترغيب فيه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**عشر من الفطرة**» وعدَّ منها السواك(٢). وكل هذه التوصيات بسبب أن «**السواك يُطيب الفم ويُرضي الرَّب**»(٣). يقول العلماء القدامى إن السواك آلة تنظف الفم الذي هو محل الذكر والمناجاة ومظنة لرضى الله أو سبب لرضاه؛ وذلك لأنه تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة، والسواك ينظف الفم ويطيب رائحته لمناجاة الله.. وهو من السنة أو من توابع الدين ومكملاته ويحصل بكل ما يجلو الأسنان، ولا يُكره في وقت من الأوقات ولا في حال من الأحوال، ومن فوائده أنه يطهر الفم ويرضي الرب وينقي الأسنان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويصفي الحلق عن البلاغم والأكدار ويقطع الرطوبة ويضاعف الأجر ويهضم الطعام ويسكن الصداع ويذهب وجع الضرس والبلغم والحفر ويصحح المعدة ويقويها.

ونظرًا للاهتمام الكبير الذي أولاه رسول الله ﷺ للسواك فقد أُجريت بحوث عديدة عليه فاكتشف أن للسواك فوائد متعددة وميزات كثيرة تجعله يفضل الفرشاة والمعجون ويتفوق عليهما. فقد تبين أن السواك يحوي ما يأتي:

١- موادًا قاتلة للعوامل المرضية: (أ) فقد أثبت الدكتور الباحث عبد الحميد القضاة أن السواك يقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم التي توجد في الفم، وتكون سببًا في أمراضه. (ب) يقول العالم (رودات) مدير معهد علم الجراثيم في ألمانيا إن فيه مادة مضادة للجراثيم شبيهة بـ (البنسلين). (ج) أثبتت جامعة الملك سعود بالرياض أنه يحوي مادة (السنجرين) ذات التأثير المطهر الشديد الفعالية التي تقضي على الجراثيم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٦٩٦.

٢- فيه مادة (السيليس) التي تجرف الفضلات وتزيل القلح وهو المادة الداكنة التي تترسب وتصبغ الأسنان، وتساعد على تلميع الأسنان وتبييضها بتأثيرها الآلي الحاتّ.

٣- غني بحمض العفص الذي يمنع النزف ويشفي جروح اللثة ويطهر الفم.

٤- يحوي نسبة عالية من مادة (الكلوريد) الذي يساعد على حلّ ملح الطرطير والتصبغات الأخرى على الأسنان وإزالتها. علمًا بأن ترسبات الطرطير هي الأساس في تولد القلح.

٥- يتضمن مواد عطرية متعددة تشكل غلافًا أو طلاء فوق طبقة الميناء لتحميها من التشقق والتصدع، حيث يكون هذا التشقق كثغرة يبدأ فيها التنخر والتسوس.

٦- مواده العطرية الخاصة تطيب الفم وتجعل له رائحة زكية.

٧- فيه كمية مناسبة من فيتامين (ث) الذي له أثر كبير في مكافحة النزف عمومًا.

٨- الصموغ والنشاء والأملاح التي تتضمنه تساعد على توزيع المواد الفعالة فيه وتكون لها بمثابة السواغ وهو المادة الوسيطة التي تحل أو تمزج بها المواد الدوائية الفعالة.

٩- يقول الدكتور (كينيت كبوديل) إن فيه مادة تمنع تنخر الأسنان.

١٠- يحتوي على ٢٢ مادة فعالة: منها أملاح الحديد والكلس.

١١- أن تأثيره المحصن للفم والمطهر للأسنان أطول من تأثير معجون الأسنان.

لقد عرف الغرب مؤخرًا أثر السواك النافع على الفم والأسنان فشرعوا بمزج مسحوقه مع معاجين الأسنان، وصنعوا منه معاجين للأسنان سموها باسمه. ويكفي السواك تشريفًا وتكريمًا أنه دخل فم رسول الله ﷺ وأفواه آل بيته الطاهرين وصحابته الكرام والتابعين، وشرّعه ﷺ لهذه الأمة.

❋❋❋

أحب الأصباغ إلى النبي ﷺ الصفرة[١]

عن زيد - يعني ابن أسلم -: «**أن ابن عمر كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تمتلئ ثيابه من الصفرة، فقيل له: لم تصبغ بالصفرة؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، ولم يكن شيء أحب إليه منها، وقد كان يصبغ ثيابه كلها حتى عمامته**»[٢]. «**وعن ابن عمر أنه كان يصبغ ثيابه ويدهن بالزعفران، فقيل له: لم تصبغ ثيابك وتدهن بالزعفران؟ قال: لأني رأيته أحب الأصباغ إلى رسول الله ﷺ يدهن به، ويصبغ به ثيابه**»[٣].

لقد أمر رسول الله ﷺ بصبغ اللحى وقال: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**»[٤]، وكان ﷺ الأسوة الحسنة لأمته فكان يصبغ لحيته، ولم يكن شيء من الصبغ أحب إليه من الصفرة يصفر بها لحيته.

والحديث يدل على أن العلة في شرعية الخضاب هي مخالفة أهل الكتاب، وبهذا يتأكد استحباب الخضاب، وقد كان رسول الله ﷺ يبالغ في مخالفتهم ويأمر بها.

ويجوز أن يكون الصبغ بغير الصفرة كالحمرة أو بين السواد والحمرة مثلاً، وقد خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال ﷺ: «**يا معشر الأنصار؛ حمِّروا وصفِّروا وخالفوا أهل الكتاب**»[٥]، وقال ﷺ: «**إن أحسن ما غُيِّر به هذا الشيب؛ الحِنَّاء، والكَتَم**»[٦]، الكتم نبات بري قابض، له حبوب يستخرج منه صباغ بين السواد والحمرة. وصبغ الحناء أحمر والصبغ بهما معًا يخرج بين السواد والحمرة، وهذا الحديث يدل على أن الحناء والكتم من أحسن الصباغات التي يغير بها الشيب، وإن الصبغ غير مقصور عليهما لدلالة صيغة التفضيل على مشاركة غيرهما من الصباغات لهما في أصل الحسن، وهو يحتمل أن يكون على

---

(١) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ١١/١٧٢-١٧٣، ١٧٨، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٤/٨٠.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٢٩.
(٣) مسند أحمد، رقم: ٥٧١٧، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الخضاب.
(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٢١٨٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥٤٢.

التعاقب ويحتمل الجمع، قال أنس بن مالك: **«وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم، واختضب عمر بالحناء بحتًا»**[١]، وهذا يشعر بأن أبا بكر كان يجمع بينهما دائمًا، وعمر يخضب بالحناء خالصًا لم يخلط بغيره.

ولكن لا يصبغ بالأسود؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه، فقد أُتي بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا والثغام: نبت أبيض الزهر والثمر، يشبه به الشيب؛ فقال رسول الله ﷺ: **«غيِّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد»**[٢]، وقد ذهب علماء إلى كراهة الخضاب بالسواد، وجنح النووي إلى التحريم فقال: ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة ويحرم خضابه بالسواد على الأصح، وقيل: يكره كراهة تنزيه والمختار التحريم لقوله ﷺ **«واجتنبوا السواد»**.

قال رسول الله ﷺ: **«يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد، كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة»**[٣]. فهؤلاء قوم يغيرون الشعر الأبيض من الشيب الواقع في الرأس واللحية باللون الأسود كصدور الحمام التي هي في الغالب سوداء، وأصل الحوصلة المعدة والمراد هنا صدره الأسود. فهؤلاء لا يشمون ولا يجدون رائحة الجنة وريحها توجد من مسيرة خمس مئة عام كما في حديث.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب شيبه صلى الله عليه وسلم.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب.
(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥٤٨.

محبوبات ومكروهات متنوعة

محبوبات متنوعة

يحب النبي ﷺ تقديم عمل صالح بعد الزوال:

عن عبد الله بن السائب قال: كان رسول الله ﷺ يصلي قبل الظهر بعد الزوال أربعًا ويقول: «**إن أبواب السماء تفتح فأحب أن أقدم فيها عملاً صالحًا**»(١).

يقال: إن هذه الأربع لم تكن سنة الظهر، بل هي صلاة مستقلة كان يصليها النبي ﷺ بعد الزوال. وسبب ذلك انتصاف النهار وزوال الشمس. وكان عبد الله بن مسعود يصلي بعد الزوال ثمان ركعات، ويقول: إنهن يعدلن بمثلهن من قيام الليل. وسر هذا - والله أعلم - أن انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل، وأبواب السماء تُفتح بعد زوال الشمس، ويحصل النزول الإلهي بعد انتصاف الليل، فهما وقتا قرب ورحمة، هذا تُفتح فيه أبواب السماء، وهذا ينزل فيه الرب - تبارك وتعالى - إلى سماء الدنيا(٢).

أحب أهل النبي ﷺ إليه أمامة بنت زينب:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال: «**لأدفعنها إلى أحب أهلي إليَّ**»، فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة. فدعا النبي ﷺ أمامة بنت زينب فعلقها في عنقها(٣).

أمامة بنت زينب هي ابنة أبي العاص بن الربيع، وأمها زينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ.

إن من رحمة النبي ﷺ بأمامة وكرهه لكسر خاطرها أنه ﷺ في أحد الأيام قدَّم مراعاة خاطرها على المحافظة على المبالغة في الخشوع في الصلاة؛ فعن أبي قتادة قال: «**خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع**

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٥٣٣٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١/٣٠٩.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٤٥٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

وضعها، وإذا رفع رفعها»[1]، فكان من شفقته ﷺ ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقته، فيحتاج أن يحملها إذا قام.

واستنبط منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد؛ لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدم الثاني.

يعجب النبي ﷺ خدمة سعد:

عن سعد مولى أبي بكر، وكان يخدم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعجبه خدمته، فقال: «يا أبا بكر؛ أعتق سعداً»، فقال: يا رسول الله؛ ما لنا ماهنٍ غيره، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أعتق سعداً، أتتك الرجال» يعني السبي[2]. ماهِن: أي خادم، والمهنة: الخدمة.

يحب النبي ﷺ الإقامة بعرصتهم ثلاثاً[3]:

عن أبي طلحة: «أن رسول الله ﷺ كان إذا غلب قوماً أحب أن يقيم بعرصتهم ثلاثاً»[4].

كان رسول الله ﷺ إذا قاتل قومًا فغلبهم يحب أن يقيم بعرصتهم ثلاث ليال. العرصة: هي البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها.

قال المهلب: حكمة الإقامة لإراحة الظهر والأنفس ولا يخفى أن محله إذا كان في أمن من عدو طارق. وقال ابن الجوزي: إنما كان يقيم ليظهر تأثير الغلبة وتنفيذ الأحكام وقلة الاحتفال فكأنه يقول: من كانت فيه قوة منكم فليرجع إلينا. وقال ابن المنير: يحتمل أن يكون المراد أن تقع ضيافة الأرض التي وقعت فيها المعاصي بإيقاع الطاعة فيها بذكر الله وإظهار شعار المسلمين، وإذا كان ذلك في حكم الضيافة، ناسب أن يقيم عليها ثلاثًا؛ لأن الضيافة ثلاثة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.
(٢) مسند أحمد، رقم: ١٧١٧، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٥/١٣١-١٣٢.
(٤) مسند أحمد، رقم: ١٦٣٠٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

يحب النبي ﷺ العراجين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **«أن النبي ﷺ كان يحب العراجين، ولا يزال في يده منها»**[١].

العراجين جمع عُرجون وهو العود الأصفر الذي فيه الشماريخ إذا يبس واعوج. فكان النبي ﷺ يحب أن يحمل في يده عودًا ويستخدمه في بعض الأحيان في بعض الأمور؛ فمثلاً دخل ذات يوم إلى المسجد فرأى بصاقًا في قبلة المسجد فحكَّها بالعرجون، ثم أقبل على الناس ينهاهم عن البصاق في القبلة.

أحب الألوان إلى النبي ﷺ الخُضرة[٢]:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«كان أحب الألوان إليه الخُضرة»**[٣].

كان أحب الألوان إلى النبي ﷺ من الثياب وغيرها «الخضرة»؛ لأنها من ثياب الجنة. عن أبي رمثة، قال: **«انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فرأيت عليه بُردين أخضرين»**[٤].

وقيل: إن النظر إلى الخضرة والماء الجاري يقوي البصر؛ فلخصاصته بهذه المزية كان أحب الألوان إليه، قال ابن بطال: وكفى به شرفًا موجبًا للمحبة. وعن قتادة قال: خرجنا مع أنس إلى الأرض فقيل: ما أحسن هذه الخضرة، فقال أنس: كنا نتحدث أن أحب الألوان إلى المصطفى ﷺ الخضرة.

يعجب النبي ﷺ أن يسمع: يا راشد يا نجيح:

عن أنس بن مالك: **«أن النبي ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد، يا نجيح»**[٥].

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٥٥ .

(٢) راجع: فيض القدير للمناوي ٥/٨٢.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٦٢٣ .

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٣٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٣١٦.

كان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن فإذا خرج لحاجته يستحسن ويتفاءل أن يسمع: يا راشد؛ أي واجد الطريق المستقيم، يا نجيح؛ أي من قضيت حاجته[(١)].

يعجب النبي ﷺ لقاء العدو عند الزوال:

عن أبي أوفى قال: «**كان يعجبه أن يلقى العدو عند زوال الشمس**»[(٢)].

كان النبي ﷺ إذا خرج للقتال يحب أن يلقى العدو عند زوال الشمس في وقت الظهر؛ لأنه وقت هبوب الرياح ونشاط النفوس وخفة الأجسام كذا قيل وأولى منه أن يقال: إنه وقت تُفتح فيه أبواب السماء كما ثبت في الحديث: «**إن أبواب السماء تفتح فأحب أن أقدم فيها عملا صالحًا**»[(٣)]. وهذا بخلاف الإغارة على العدو فإنه يندب أن يكون أول النهار؛ لأنه وقت غفلتهم.

يعجب النبي ﷺ الفاغية:

عن أنس: «**أن رسول الله ﷺ كانت تعجبه الفاغية**»[(٤)].

الفاغية: قيل: هي نَور الحناء وتسميها العامة تمر حناء، وقيل: الفاغية والفغو نَور أي زهر الريحان.

يعجب النبي ﷺ لون الحناء:

عن كريمة ابنة همام قالت: دخلت المسجد الحرام فأخلوه لعائشة، فسألتها امرأة: ما تقولي يا أم المؤمنين في الحناء؟ فقالت: «**كان حبيبي ﷺ يعجبه لونه ويكره ريحه، وليس بمحرم عليكن بين كل حيضتين أو عند كل حيضة**»[(٥)].

---

(١) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٥/ ٢٠٠.
(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٩٨٧.
(٣) مسند أحمد، رقم: ١٥٣٣٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٤) مسند أحمد، رقم: ١٢٤٨٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.
(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٤٧٤٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

كان النبي ﷺ يعجبه لون الحناء ويأمر الرجال بصبغ الشيب به، قال ﷺ: «**إنَّ أحسن ما غُيِّرَ به هذا الشيب؛ الحناء، والكتم**»[١]. أما النساء فكان ﷺ يأمرهن بخضاب أيديهن به، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أوْمَت امرأة من وراء ستر، بيدها كتاب إلى رسول الله ﷺ، فقبض النبي ﷺ، فقال: «**ما أدري أيد رجل، أم يد امرأة؟**» قالت: بل امرأة، قال: «**لو كنت امرأة لغيرت أظفارك**» يعني: بالحناء[٢].

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥٤٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٥١٠.

مكروهات متنوعة

يكره النبي ﷺ أن تُعْرى المدينة [(١)]:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، فكره رسول الله ﷺ أن تُعرى المدينة وقال: **«يا بني سَلمة الا تحتسبون آثاركم؟» فأقاموا**[(٢)]. آثاركم؛ أي خطاكم.

لقد كانت ديار بني سلمة بعيدة من المسجد النبوي على أطراف المدينة فأرادوا أن يبتاعوا بيوتًا فيقربوا من المسجد من أجل الصلاة، فكره النبي ﷺ أن يعروا المدينة ويخلوا جوانبها ويتركوا البيوت خالية، فنبه بهذه الكراهة على السبب في منعهم من القرب من المسجد لتبقى جهات المدينة عامرة بساكنيها، واستفادوا بذلك كثرة الأجر لكثرة الخطا في المشي إلى المسجد.

فقد طلبوا السكنى بقرب المسجد للفضل الذي علموه منه، فما أنكر عليهم النبي ﷺ ذلك، بل رجح درء المفسدة بإخلائهم جوانب المدينة على المصلحة المذكورة، وأعلمهم بأن لهم في التردد إلى المسجد من الفضل ما يقوم مقام السكنى بقرب المسجد أو يزيد عليه.

يكره النبي ﷺ أن يطأ أحد عقبه:

عن ابن عمرو قال: **«كان يكره ان يطأ احد عقبه، ولكن يمين وشمال»**[(٣)].

كان النبي ﷺ يكره أن يمشي أحد خلفه، ولكن عن يمين وشمال، وكان يكره أن يمشي أمام القوم بل في وسط الجمع أو في آخرهم تواضعًا لله واستكانة وليطلع على حركات أصحابه وسكناتهم فيعلمهم آداب الشريعة، ويوافق هذا الخبر ما قاله جابر: **«كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته مشينا قدامه وتركنا ظهره للملائكة»**[(٤)].

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٢/ ١٤٠-١٤١.

(٢) أخرجه البخاري في أبواب المحصَر وجزاء الصيد، باب كراهية النبي ﷺ أن تُعرى المدينة.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٠٠٩.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٤٤٩٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

يكره النبي ﷺ الأكل من البهيمة المفعول بها[١]:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من وجدتموه وقع على بهيمة، فاقتلوه، واقتلوا البهيمة»**[٢]. فقيل لابن عباس: ما شأن البهيمة؟ قال: ما سمعت من رسول الله ﷺ في ذلك شيئًا، ولكن أرى رسول الله ﷺ كره أن يُؤكل من لحمها أو يُنتفع بها وقد عُمِلَ بها ذلك العمل.

وروى سفيان الثوري، عن عاصم، عن أبي رزين، عن أبن عباس أنه قال: من أتى بهيمة فلا حدٌّ عليه. قال أبو عيسى: والعمل على هذا عند أهل العلم، وهو قول أحمد، وإسحاق.

سئل ابن عباس: ما شأن البهيمة؟ أي لا عقل لها ولا تكليف عليها فما بالها تُقتل إذا فُعِل بها، فأجابهم ابن عباس بأنه لم يسمع من النبي ﷺ شيئًا من العلل والحكم في قتلها، وقال بأنه يظن أن النبي ﷺ كره أن يُؤكل من لحمها أو يُنتفع بلبنها وبشعرها وتوليدها وغير ذلك وقد عُمِل بها ذلك العمل المكروه والفعل الشنيع.

وقيل: إن قتل البهيمة لئلا يتولد منها حيوان على صورة إنسان، وقيل: كراهة أن يلحق صاحبها الخزي في الدنيا لإبقائها. وقيل: إن البهيمة إن كانت مأكولة تُقتل وإلا فوجهان: القتل لظاهر الحديث، وعدم القتل للنهي عن ذبح الحيوان إلا لأهله.

---

(١) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٦/٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٧٦.



الحب فطرةٌ في الإنسان تجعله طائعاً لمن يحبه، باذلاً كل جهده في سبيل إسعاده، متجنباً كل ما يكرهه المحبوب؛ طمعاً في نيل رضاه.

من هذا المنطلق كان حب الله من أصدق علامات الإيمان، وهو الدافع إلى حب رسول الله ﷺ وتتجلى مظاهر هذا الحب لله ورسوله في سير المؤمن على نهج الرسول ﷺ واقتفاء أثره والتأسي به في كل شؤون حياته، على أن أسمى آيات الحب أن يجعل المؤمن هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ، من هنا فهو يحب ما يحبه النبي ﷺ ويكره ما يكرهه، ولكن المؤمن بحاجة إلى مرشد يأخذ بيده ليضعها على ما يحبه النبي ﷺ وما يكرهه.

وقد جاء هذا الكتاب؛ ليسهل على المسلم الطريق في هذا المجال؛ كي يحب ما يحبه النبي ﷺ، ويكره ما يكرهه، وفي هذا الفوز برضوان الله وحبه، وهذا مبتغى أمل كل مؤمن.

ومكتبة العبيكان يسعدها نشر هذا الكتاب؛ ليكون عوناً للجميع على طاعة الله ورسوله؛ فيسعدوا في الدنيا والآخرة، كما ترجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى.


ISBN:978-603-503-510-1



موضوع الكتاب:
الحديث - جوامع الفنون